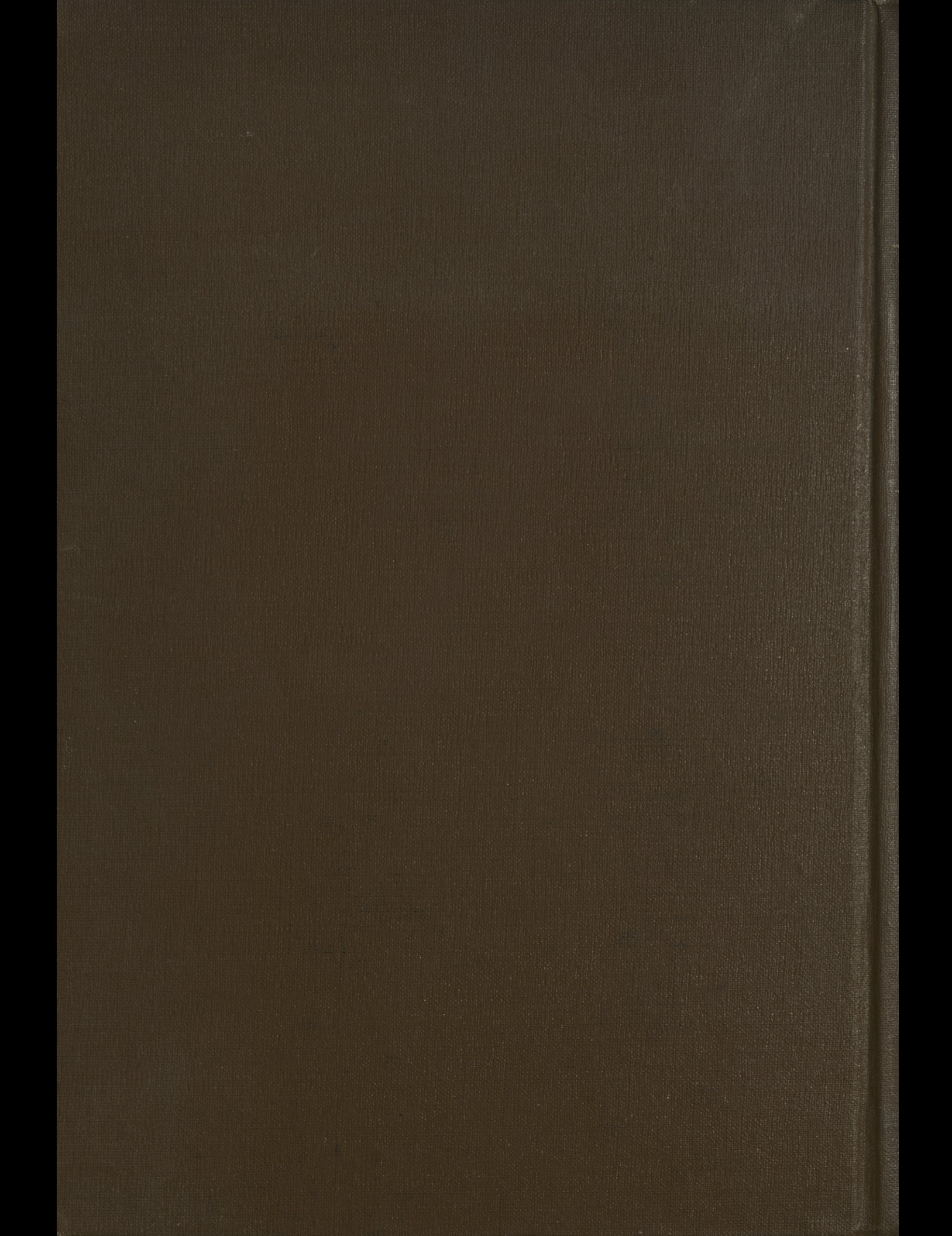




مجيد
صالح الكفر
بيوت - المزرعة

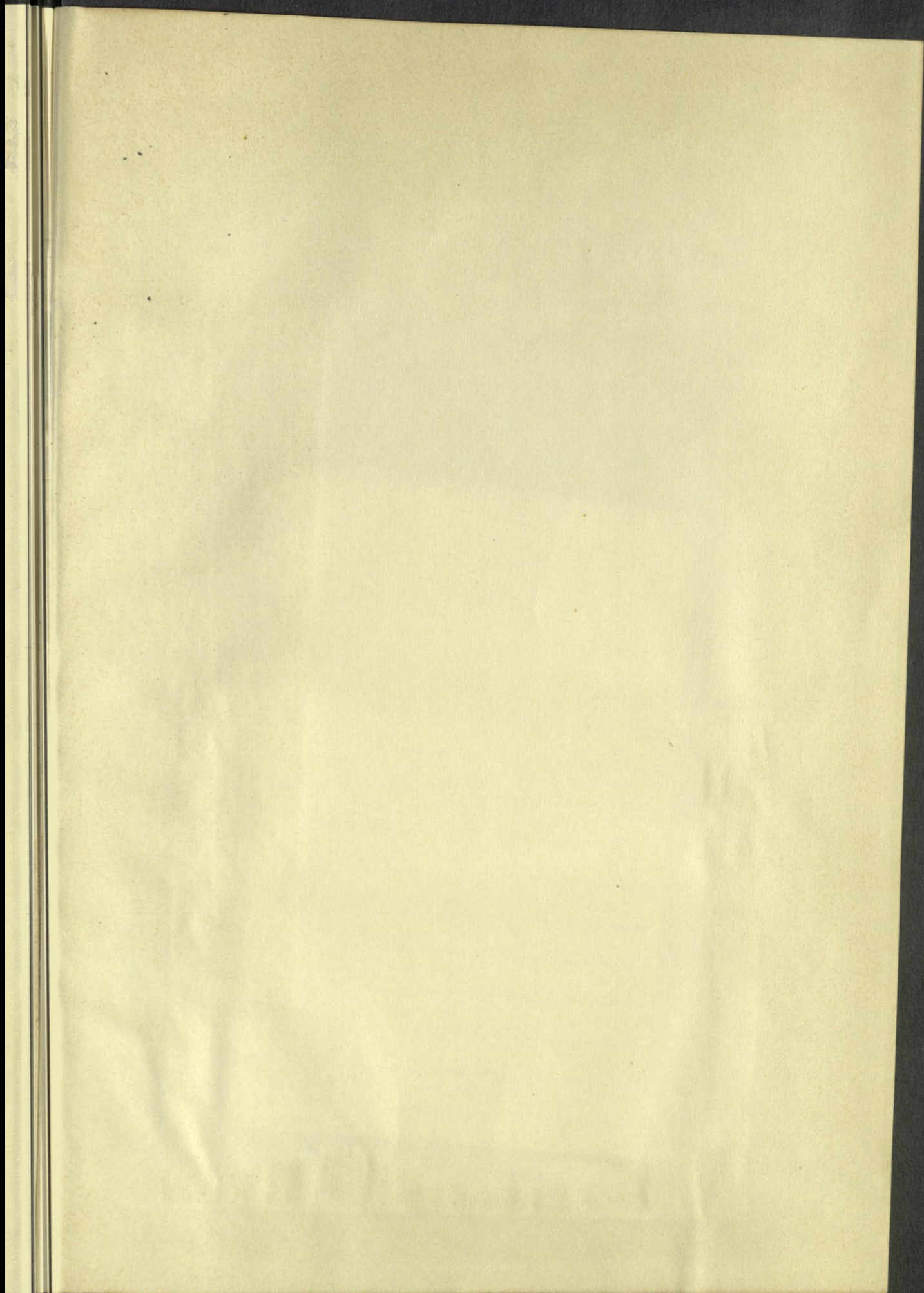
892.71:Al11zA

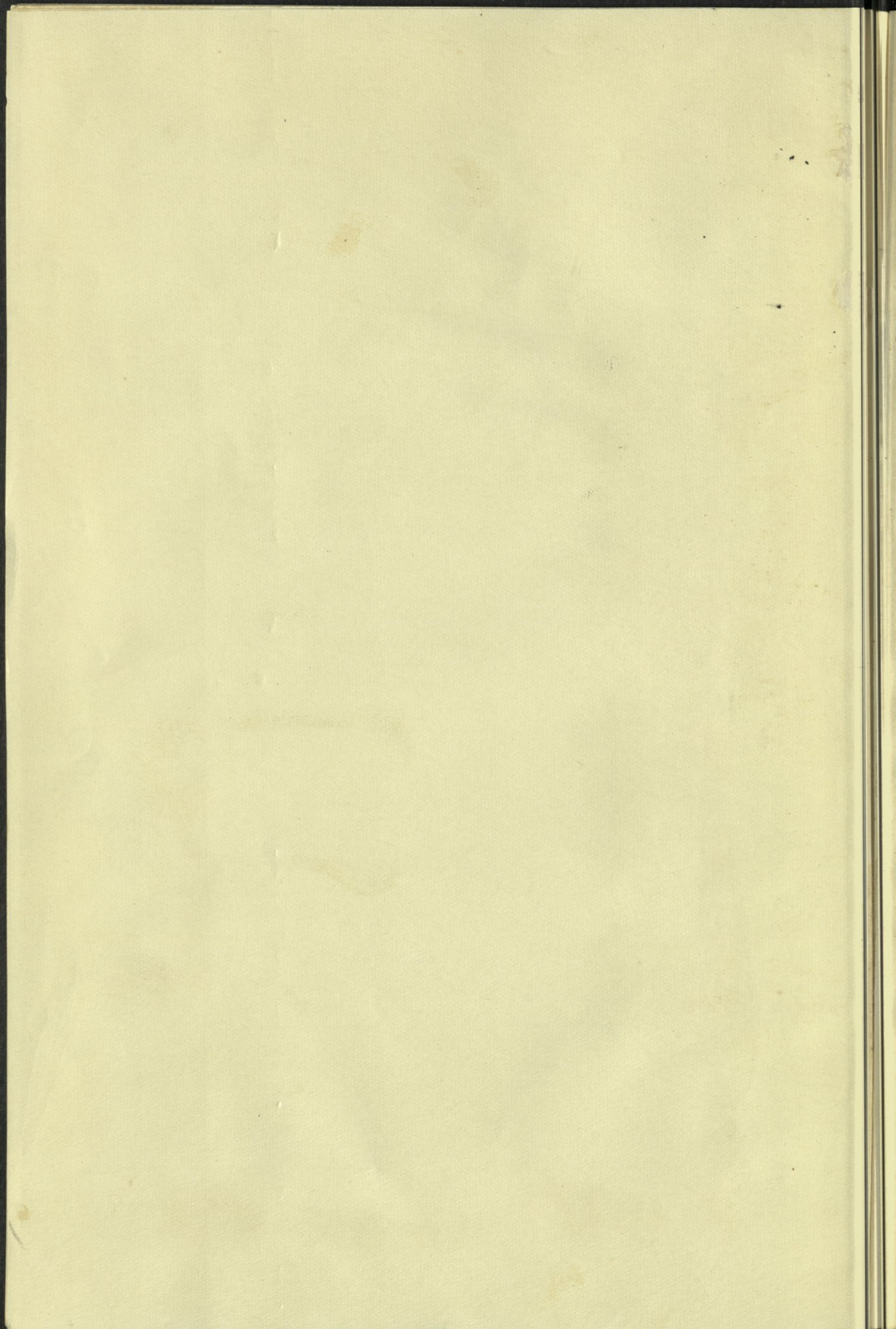
• الله ويردي، ميخائيل خليل •

• زهر الرب • شعر •

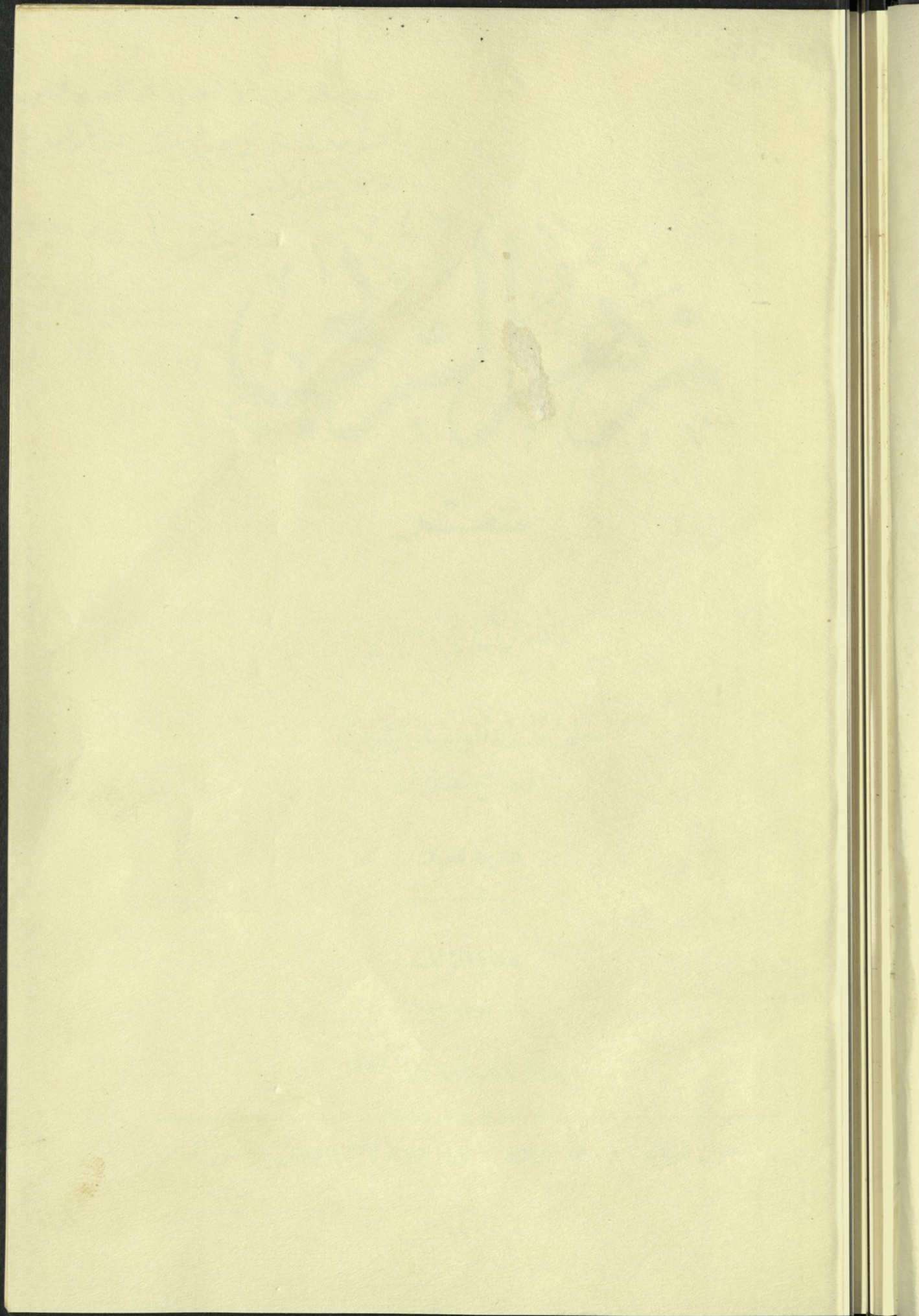
892.71

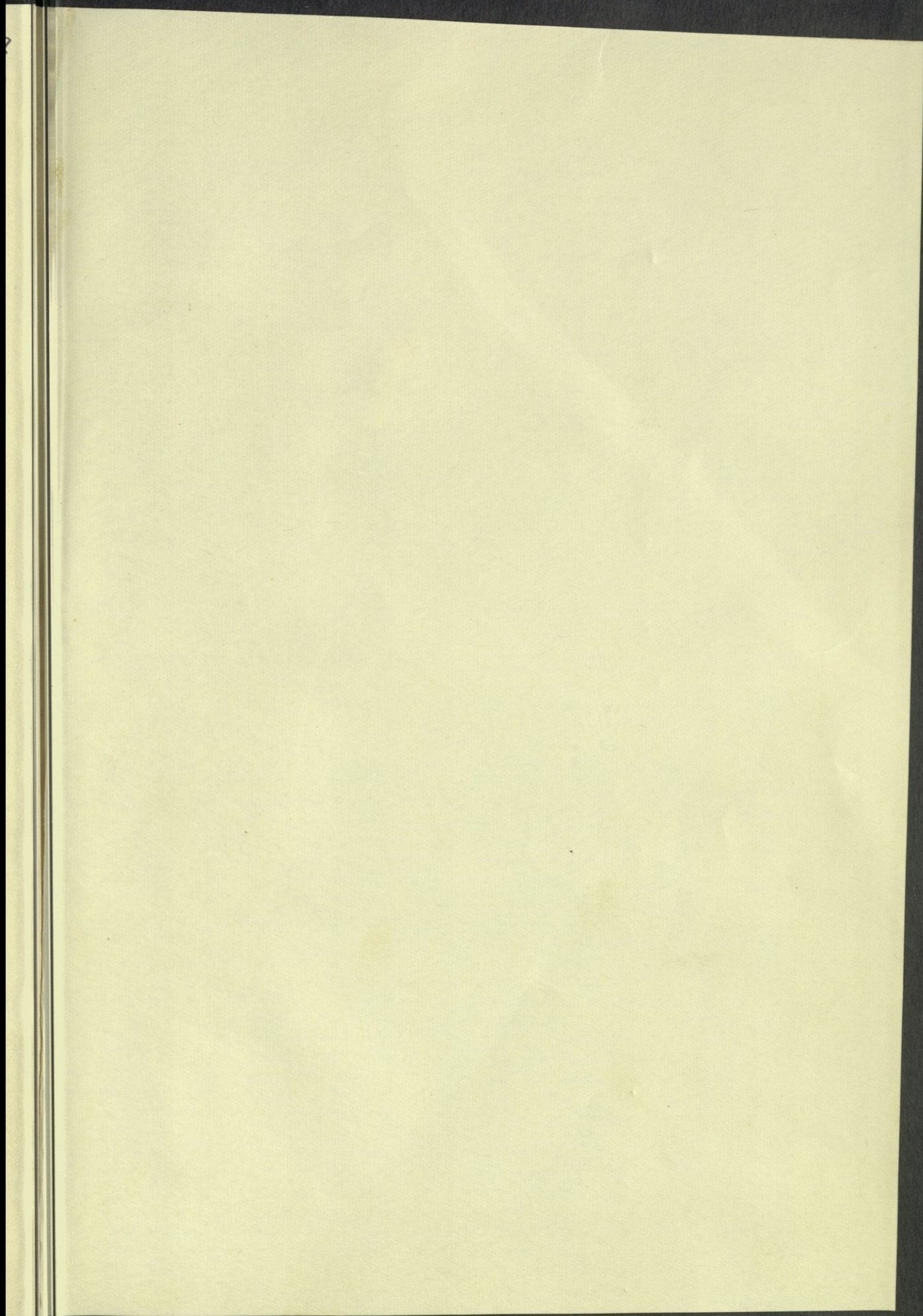
A 4113A





—





تقدمة من المؤلف الى مكتبة الجامعة
المصرية في بيروت مع المؤلف
واليد حذام

دمشق ١٩٥٤

نهر النيل

شعر

ميخائيل خليل الله ويردي

مؤلف فلسفة الموسيقى الشرقية
وبداية العروض

الحقوق محفوظة

هدايا المؤلف

المنبعة الهاشمية بدمشق ١٩٥٤

عنوان المؤلف : م . الله ويردي — ص . ب (٣٢٣) دمشق — سورية



فهارس الكتاب

ص ١٦ فاتحة الكتاب ص ١٧ كلمة المؤلف ص ٢٠ المقدمة

فهرس الموشحات

صفحة	الموشح	مطالع	بحره	عدد أبياته
٤٤	زهر الربى	يا هدى قومي انظري	مجزوء الرمل	٥٢
٦٨	نجمة الصبح	نجمة الصبح المنيره	« «	٢٣
٧٥	زهرة	دع عنك غطرسة	مجزوء الكامل المرفل	٤٠
٧٨	الحق والعاطفة	شدت العنادل	كامل	٤٠
٨٢	نداء الحب	غادتي هل ذكرت	خفيف	١٨
١٠٤	ظلال البحيرة	يا طيوف الحب	رمل	٦٠
١٢٢	ثورة على الحب	اقلعت عن حبي	كامل	٤٩
١٥٧	انشودة الحياة	سكنت روحي	رمل	١٠
١٥٨	المفكر	واطول شوقي	مخلع البسيط	١٢
١٦١	رؤيا الملك	حلم المليك	كامل مع مجزؤه	١٢
١٦٣	نشيد العلم	يا علمي أنت المنى	مجزوء رجز ورمل	٦
١٦٧	العبرة بالعمل	عجز الوالد	رمل وجديد	١٠
١٦٨	العاطفة المنقذة	ينفع المرء كل حين	خفيف	١٤
١٦٩	الطيب والفقير	قصد الفلاح ذيب	مجزوء الرمل	١٨
١٧٠	مآتم الميمول	ورث الجرو سليل	« «	٢٤
١٧٢	دار البقاء	ظلمة سادت على	رمل	٣٥

فهرس القصائد

صفحة	القصة	مطاميرها	قافيتها	بحرها	عدد أبياتها
١١٦	آلام الغرام	الحب يذكيه	بُه	مجتث	٧٧
١٢٩	يأسه	عذابي أليم	بها	طويل	٣٠
٦٤	المصير	من أعدّ العيش	ب	رمل	٦٠
١٤٠	الاقطاعية	فرخ من الجن	ب	بسيط	٣٧
١٤٣	التفاوت الهدام	بلادي هوى الدنيا	ب	طويل	٢٥
١٥٩	الوطن	وطني هو الأرض	تي	مجزوء الكامل	١٤
٧٢	صوت سورية	قفنا نحمد الأيام	دُ	طويل	٤٢
١٢٧	نادمة	عاش يهواها	دَه	رمل	١٧
٥٥	ذكرى المتنبى	سلام على ذكر	دِ	طويل	٧٦
١٣٦	نظامنا الاجتماعي	في نظام مرصع	دِ	خفيف	٥٨
١٠٩	غرام الفلاسفة	عشقنا وللعشاق	ر	طويل	٤٢
١٥٠	حياة العلماء	إن لم تعظنا	ر	كامل	٢٩
١١٢	عذاب العبقري	ذلك البدر	رَه	خفيف	٥٥
٨١	صراحة عاشق	إليكم حديثاً	رِ	طويل	١٢
٩٣	حكاية قلب	أطلت بك النجوى	رِ	طويل	١١١
١٦٢	منشد الدهور	قضيت العمر	رِ	هزج	١٧
٤٧	الشاعر الملهم	الشعر عاطفة	عُ	كامل	٦٠
٥١	حديث روح	طلاب الخلد	عـ	وافر	٥٥
١٥٤	مهندس السلام	نشر السلام	عـ	كامل	٧
١٥٦	الروح والمادة	أنكرت عيني	ع	رمل	٧

صفحة	التصنيف	مطالعها	قائمتها	بحرها	عدد أبياتها
١٦٠	راحة البال	إذا بت في يأس	ك	طويل	١٢
١٥٤	الجمالون	دنياك هو	ل	كامل	٧
٧٠	رجل المبدأ	جذل وقلبي	لا	كامل	٣٢
١٢٦	مستهتر	وغانية أخفى	لها	طويل	١٨
١٠١	المفتون	ايها الشاكي	له	رمل	٤٠
١٥٢	المستهزئون	قالوا أترجو	له	كامل	٣١
١٣١	فراق	هذا هواك فودّعي	ل	كامل	١٢
١٥٥	المدينة الفاضلة	لاخير في بلد	م	بسيط	٧
٣٥	وحي البردة	أنوار هادي الوري	م	بسيط	١٢٥
٨٦	نور الهدى	ذكرى ليالي الهوى	نا	بسيط	٦٢
١٣٢	الموسيقار	نصوغ من لاجع	نا	بسيط	٤٣
٩٠	عائدة	سلي عن مقامي	ن	طويل	٤٥
١٢١	انذار	غداً ابدل	ن	بسيط	١٢
١٣٥	طريق السلام	أولعت بالعدل	ن	بسيط	١٥
١٤٥	ذكرى الشهيد	لاتذرفا دمعا	نه	كامل	٨٠
١٦٤	أمير نيام نيام	يقول شيخ	وه	بسيط	١٦
١٦٥	المدح الكاذب	واها لشعبك	ته	كامل	١٠
٦٠	بلاء الدنيا	أنت يا دنيا	يه	مجزوء الرمل	٥٧
٨٤	ميّادة	خطرت وورد	يها	كامل	٢٥
١٥٥	فلسفة الخلود	لا بد من تغير	متعددة	رجز	٧
١٦٦	صورة رمزية	من أولعوا	متعددة	رجز	١٨

فهرس الخمسات

صفحة	الخمس	صاحب الأساس	القافية	صفحة	الخمس	صاحب الأساس	القافية
١٧٧	نيل المني	امرؤ القيس	بُ	٢٥٨	حبة الأعداء	الشاعر القروي	بي
١٨٠	الرفعة الروحية	عنتر	بُ	١٩٣	من هو ؟	أبو العتاهية	بيه
١٨١	مجران	عنتر	بُ	٢٠٨	زوال الهوى	المتنبي	بيه
١٨٧	الحب بعد الموت	قيس العامري	بُ	٢٥٦	الحب والشراب	الحيام / رامي	ب
١٨٨	التوبة الكاذبة	قيس العامري	بُ	ت			
١٩٧	المتعلقون	عبد القدوس	بُ	٢٣٠	هلال الشك	عمر بن الفارض	ت
١٩٨	ظلم الحبيب	أبو فراس	بُ	٢٣٢	جزاء الحب	البهاء زهير	ت
٢٠٦	يقظة العقل	المتنبي	بُ	٢٤٧	الحياة والموت	احمد شوقي	ت
٢١٨	تلفت القلب	الشريف الرضي	بُ	٢٦٥	اضحوكة الآتي	الياس فرحات	ت
٢٤١	ما ذنبي	 ؟	بُ	٢٦٥	غسل الجراح	جورج صيدح	ت
٢٥٨	فخص النفوس	الشاعر القروي	بُ	٢٤٩	النور والظلام	جبران	تبه
٢٤٠	عاقبة الدلال	 ؟	بها	ج			
٢٥١	الأمّة الغافلة	حافظ ابراهيم	با	٢٢٩	الحرب الأبدية	عمر بن الفارض	ج
١٩٦	الإيثار على الحبيب	البحتري	ب	ح			
١٩٦	العوبة الحب	البحتري	ب	٢٢٠	ذكرى	مهيار الديلمي	حا
١٩٧	المشيب	ابن المعتز	ب	٢٥٧	خط ومحا	بشارة الخوري	حا
٢٠٣	لولا الموت	المتني	ب	٢٥٣	سر الحظوظ	ايليا أبو ماضي	ح
٢٠٥	تعويند المجد	المتني	ب	٢٦٨	الحب والشعر	أنور العطار	ح
٢٠٨	ذم الدنيا	المتني	ب	٢٥٥	زوال الباطل	الحيام / رامي	ح
٢٦٣	لنة الأرواح	عمر أبو ريشة	ب	د			
٢٦٩	هوى الروح	الله ويردي	ب	١٩٢	اصدقاء	العباس بن الأحنف	د

صفحة	المخمس	صاحب الأساس	القافية	صفحة	المخمس	صاحب الأساس	القافية
٢٠٤	عهد الحسناء	المتنبي	دُ	٢٦٦	النداء الأخير	أنور العطار	رى
٢١٢	مجمع المتحذلقين	المتنبي	دُ	١٩٤	الصبر الجليل	أبو العتاهية	ر
٢٢٢	الوجد المفقود	الحلاج	دُ	٢١٨	أحلام الجبال	أبو العلاء المعري	ر
٢٥٢	خالد بن الوليد	شكيب ارسلان	دُ	٢٢٨	عاقبة الصبر	محمد بن يسير	ر
٢٦٤	أناهيد	شفيق معلوف	دُ	٢٣٦	الساھر	ابن سهل	ر
٢٦٧	الفن	أنور العطار	دُ	٢٥٠	سحر الطبيعة	الرصافي	ر
١٨٦	شرف الرئاسة	المنع الكندي	دا	٢٦٠	جراحة الإقرار	الشاعر القروي	ر
٢٠١	طبائع الناس	المتنبي	دا	٢٧١	النظام الفاسد	الله ويردي	ر
٢٢٧	الشوط الأخير	الأرجاني	دا	٢٧٣	سبيل التفاهم	الله ويردي	ر
١٧٨	رواية الأيام	طرفة بن العبد	د	س			
١٩٠	أيها اجدى	ابن الدمينه	د	١٩١	السكران الصاحي	الخليفة المأمون	س
٢١٢	قدر الشهادة	المتنبي	د	٢٣٤	نفوس العشاق	البها زهير	س
٢٢٧	الجهد الضائع	الأرجاني	د	٢٦٠	عشرة الناس	الشاعر القروي	س
٢١٥	تجربة الدنيا	أبو العلاء المعري	دِه	ع			
١٨٥	الفصة الباقية	أبو صخر الهذلي	رُ	١٨٤	الحزم الرفيع	أبو ذؤيب الهذلي	عُ
١٨٥	الحب الندي	أبو صخر الهذلي	رُ	١٩٤	بين الاقدام	أبو العتاهية	عُ
١٩٨	صلاة عاشق	أبو فراس	رُ	٢٠٢	الآثار الباقية	المتنبي	عُ
٢٢١	خفة الظل	البهلول	رُ	٢٢٢	محبة الله	الحلاج	عُ
٢٤١	الحب الخالد	؟ . . .	رُ	٢٥٠	وجه الله	الزهاوي	عُ
٢٤٢	الدنيا مزرعة	؟ . . .	رُ	٢٦١	الطمع	الشاعر القروي	عُ
٢٦٢	عرس المجد	عمر أبو ريشة	رُ	٢٥٩	الأشعاء	الشاعر القروي	عوا
١٨٤	العفو والإنتقام	أوس بن حبناء	رُ	٢٢٣	لائعذليه	ابن زريق	عُ
١٨٣	العظمة الحقيقية	سالم الأسدي	را	٢٧٠	نصيحة الاغنياء	الله ويردي	عُ
٢١٠	شفاعة الشعر	المتنبي	را	٢٥١	الله أكبر	حافظ إبراهيم	عا
٢٣٨	غاية الحياة	؟ . .	را	١٨٩	حكمة الدهور	قطري بن الفجاءة	ع

صفحة	المخمس	صاحب الأساس	القافية	صفحة	المخمس	صاحب الأساس	القافية
١٨٠	صفات الشجاع	عنتر	م	٢٠٠	المعلم	المتني	ن
١٩٩	اللذة في الألم	المتني	م	٢٢٥	جهل وحسد	الأيوردي	ن
٢٠٢	الحياة والموت	المتني	م	٢٣٣	آلام الحياة	البهاء زهير	ن
٢٠٦	ميزان الفهم	المتني	م	٢٣٥	الاخاء الانساني	محي الدين بن عربي	ن
٢١١	جزاء الاستقامة	المتني	م	٢٤٤	بين نارين	اسماعيل صبري	ن
٢١٩	نهاية الغرام	الشريف الرضي	م	٢٤٨	فتنة الجمال	أحمد شوقي	ن
٢٢٨	ضيعت ايامي	سيط الفارض	م	٢٦٣	نسيان الماضي	عمر ابو ريشة	ن
٢٧٢	جريح الغرام	الله ويردي	م	٢٧٣	باب النجاة	الله ويردي	ن
٢٧٢	رحلة العمر	الله ويردي	م	٢٦٤	الشاعر الملمم	عمر أبو ريشة	نيه
٢٣٣	التقلب	البهاء زهير	م	٢٥٧	حظ الجهول	الحيام / رامي	ن
٢٤٩	الصب المول	جيران	م				
٢٥٤	آلام الحياة	الحيام / رامي	م				
٢٦٢	المفن الدفين	عمر ابو ريشة	م				
٢٠٩	الأمل الضائع	المتني	ن	٢٢٦	حلاوة الجور	الايوردي	و
٢٢٤	مقارعة الزمان	الايوردي	ن	٢١٦	أولو الفضل	أبو العلاء المعري	ء
٢٤٠	سحر العيون	؟ . . .	ن	٢٦٦	أحلام وأصداء	أنور العطار	ء
٢٢٣	حياة الاديب	الحلاج	نه	٢٤٥	خمر الجمال	اسماعيل صبري	ياه
١٨١	فخر العرب	عمرو بن كلثوم	نا	٢١٧	ظلم الحكام	أبو العلاء المعري	وها
١٨٩	قاضي الهوى	جرير بن عطية	نا	٢٤٦	يا آسي الحلي	اسماعيل صبري	ياها
٢١٠	الدائم والزائل	المتني	نا	٢٢٥	حب لا يبلى	الايوردي	يا
٢٣٤	صحبة الكرام	البهاء زهير	نا	٢٣٩	حفظ الوداد	؟ . . .	يا
٢٣٦	الفنائة في الحب	ابن زيدون	نا	٢٧١	الجهاد الصحيح	الله ويردي	يا
٢٤٣	اقصر فؤادي	اسماعيل صبري	نا	٢٤٨	الطغاة	أحمد شوقي	ء
٢٦٧	ندامة	أنور العطار	نا	٢٣٧	قساة	صاحب البدائع	ء
٢٧٤	حب وسلوان	الله ويردي	نا	٢٤٧	بؤس الحكماء	حفي ناصف	ء
١٨٨	لارحمة في الحب	قيس العماري	ن	٢٥٣	القلوب المتحجرة	ايليا أبو ماضي	ء
١٩٥	طبع الكريم	ابو تمام	ن	٢٣١	الحب المتبادل	البهاء زهير	يه
				٢٤٦	نار الغرام	خليل مطران	يه
				٢٣١	اتفاق القلوب	عمر بن الفارض	ي

فهرس التناييات والتلاثيات

[illegible]

صفحة	العنوان	صفحة	العنوان	صفحة	العنوان
٣٠٧	المخدوع	٢٨٥	ل	٣٠٧	انتقام الموسيقى
٣٠٧	انتقام الموسيقى	٢٨٦	درم عمل ...	٣٠٨	الحسناء الجاهلة
٣٠٨	الحسناء الجاهلة	٢٨٨	الحق والجدل	٣١٢	المقامر
٣١٢	المقامر	٢٩٢	الخطأ والصواب	٣١٤	الخطيئة الجديدة
٣١٤	الخطيئة الجديدة	٢٩٢	ضياء الروح	٣١٦	حانة الدجالين
٣١٦	حانة الدجالين	٢٩٣	اكنزوا لكم	٣١٧	العقول الصغيرة
٣١٧	العقول الصغيرة	٢٩٤	إغراء الدنيا	٣١٧	العقم والانتاج
٣١٧	العقم والانتاج	٣٠٠	عاقبة الدنيا	٣١٨	الدجالون
٣١٨	الدجالون	٣٠٤	الاستقامة	٣٢٣	وحدة الدنيا
٣٢٣	وحدة الدنيا	٣٠٦	الأمانى العابرة	٣٢٦	رجال السياسة
٣٢٦	رجال السياسة	٣١٠	العادة مستحكمة	٣٢٧	هوى الشر
٣٢٧	هوى الشر	٣١٢	النقد		
		٣١٤	الإغراء الفاسد	سي	
		٣١٥	الإيمان بالبرهان	٢٩٩	شاعر القرن العشرين
		٣١٩	شعراء آخر زمان	٣٠٠	النجاة
		٣٢٠	الحكام المليون	٣٠٣	التجديد حياة
		٣٢٢	الراستاليه		
		٣٢٤	المبادئ والسياسة	ع	
		٣٢٦	مساواة الدول	٢٩٣	الأثانية
		٣٢٨	دعوى فاسدة	٢٩٦	الاطماع الهدامة
			خدمة السلام	٣٠٢	مسؤولية الإنسان
		م			
		٢٨٥	فخر الهزار	ف	
		٢٨٩	العلاج الحاسم	٢٨٧	ظلال الاخاء
		٢٩٧	المصلح الزاهد	٢٩٠	ضعف وعزم
		٢٩٧	القبضة الصحيحة	٢٩٧	صديق الحق
		٣٠١	غاية الحضارة	٣١٤	الفلسفة بالله
		٣٠٣	الوهم والحقيقة	٣٢٣	انتخابات
		٣٠٤	الشاعر	٣٢٨	عالم واحد
		٣٠٨	هوى الأوهام	و	
		٣٠٨	كاتم الهوى	٢٩٨	داء النواذب
		٣١٠	وآد العبقري	٣٢٤	الأخاء والسياسة
		٣١٣	المنبوذ	٣٢٨	وحدة البشرية
		٣١٧	النقد البريء		
		٣١٨	متحف	ك	
		٣٢٠	تهريج السياسة	٢٩١	الغنى الروحي
		٣٢١	واقع الحياة	٣٠٥	عودة الذكرى
				٣١٨	شبيه التينة

فهرس الشذرات

صفحة	المقطوعة	مطلعها	فانيتها	بحرها	عدد أبياتها
١٥٦	وحدة السكون	عندما تنفصل	د°	مجزوء الرمل	٥
٣٣١	النساء	يتجمعن وهن	ت°	رمل	٦
٣٣١	حب الغراب	دع عنك لومي	ر	بسيط	٤
٣٣٢	الذكر الخالد	ما احتيالي	ل	خفيف	٥
٣٣٢	عدل	كتاب الكفر	وه°	وافر	٥
٣٣٣	نتيجة الحياة	أين كنت	اه°	مجزوء الخفيف	٥
٣٣٣	زوال الشر	نغر المني	ل°	جديد	٥
٣٣٤	المزمور الأول	طوبى لمن	متنوعة	مجزوء الرجز	١٤
٣٣٥	صلاه	عرفتك يا ربى	تي	طويل	٤

فهرس الترييع

صاحب الاساس	طويل	مجزوء الرمل	قيس بن ذريح	محي الدين بن عربي
٢٧٥	ذكرى الحبيبة	أراني وقد عاد	ع°	
٢٧٥	ألم واشفاق	تركوني وسروا	ك°	

فهرس التشطير

٢٧٦	الأخلاق والأمهات	هي الأخلاق	ت	وافر	معروف الرصافي
٢٧٨	استغفار	دعني اقبل	يك°	مجزوء كامل	فؤاد الخطيب
٢٧٩	الاخلاص في الحب	انا من سكر	ل°	رمل	أبو الوائد بن الشرف
٢٨٠	ألم الفراق	غدا يتفرق	ع°	متقارب	أشجع السلمي
٢٨٠	العاشق اليأس	لم يبق لي	عا	كامل	أبو الفتح
٢٨١	مكارم الأخلاق	إذا رمت	ن°	طويل	الإمام الشافعي
٢٨١	الحفاظ على الصديق	إذا خاني	م	طويل	إسماعيل صبري
٢٨٢	كبرياء	حواء هل نلتقي	ف	بسيط	آدم ؟

فرمانی



مخبر غیبی لقا و روی

الهداء :

إلى الروح الموحية،

والى كل شاعر يقدر ، أهدي زهر الرب

دفعه ١/١/١٤٧٦ = ١٩٥٦/٨/٢٠

٣١



میرزا غلام الله ویردی

فاتحة الكتاب

قِيلَ : زَهْرُ الرَّبِّ سَبْعُ الزَّوَالِ
قُلْتُ : إِنَّ لَمْ يَحْبِذْ نَدَى وَظِلًّا لَا
تَمُوتُ ذِكْرِي شَوْقُ أَهْلِ الْخِيَالِ
عِنْدَ مَا يَذْكُرُ الْجَمَالَ الْجَمَالَ
لَا أَرَاهُ أَنْقَضَتْ كَمَرُ اللَّيَالِي
رُبَّ ذِكْرِي تَطْوِي سِنِينَ الْعُيُودِ

م . الله وبره

كلمة المؤلف*

كان والدي الطيّب الذكر الأستاذ خليل ميخائيل الله ويردي (١٨٦٨-١٩٤٥) خبيراً بالتربية والتعليم ، متضلّعاً من العربية والرياضيات ، وعلوم الدين والدنيا ، متمكناً من التركية واليونانية ، ملماً بالروسية . ولما رأى أن تلميذ المدرسة لا ينال كل يوم من التفات الأساتذة أكثر من عشر دقائق ، قرّر أن ينشئ تنشئة خاصة ، فبعد أن أتمت العلوم الابتدائية في مدرسة البنات ، باشر تدريسي البرامج الثانوية مع إضافات ، فعرفت شيئاً من علومه ، وكان يتطلب حلّ القضايا على عدة أشكال ، لاجراء المفاضلة واختيار الأصلى .

وفي السنة الثالثة من الحرب العظمى ، انتقلت والدتي المرحومة مريم نقولا عطا الله إلى دار البقاء (١٨٧٨-١٩١٦) وكانت الحرب في إبّان احتدامها ، والأيام حالكة السواد على أكثر الناس ، وفي السنة ذاتها استدعى والدي للخدمة الاحتياطية ، ولما أعفى عاد إلى أسرته ليتابع أعماله مع تعليمي ، أما اخوتي فأرسلهم إلى المدارس .

وبعد أن أتممت دراستي بدأت العمل محاسباً في المحال التجارية ، ولما افتتح معهد الحقوق بدمشق ، وددت الانتساب إليه ، وتعذّر عليّ ترك عملي ، فأخذت أطالع شرح المجلة وقانون التجارة وما تصل إليه يدي من أبحاث حقوقية ، فعهدت إليّ المحاكم بمهمات متعدّدة ، كنت أحاول فضّها بالحسنى ، وإلا فبالعدل والإنصاف .

ولم أنصرف إلى نزوات الشباب ، فأعمالي الكثيرة وتربيتي الخاصة ، أبعدتني عن المغريات ،

* وُلد في دمشق سنة ١٩٠٤ ، والكنية (الله ويردي) تركية معناها (عطا الله) .

فكنت أرفه عن نفسي بالمطالعة الدائمة ، ثم درستُ الموسيقى وعزفتُ النوبة على العود ، وأولعتُ بهوايات التصوير الشمسي ، وجمع الطوابع البريدية ، وإنشاء المقالات والمنظومات ، وتعلمت شيئاً من الفرنسية والانكليزية ، وشغفتُ بعلم ما وراء الطبيعة .

وفي سنة ١٩٣٠ تخرجتُ شقيق سمعان من جامعة بيروت الاميركية ، فأسست معه عملاً حرّاً ، لا نزال نتعاطاه إلى هذا اليوم .

وفي خلال سنوات (١٩٢٢ — ١٩٣٢) ساهمت بتأسيس النادي الأدبي ، والنادي الموسيقي السوري ، والرابطة الموسيقية ، وعملت على نشر الأدب والفن في محيطي . وفي سنة ١٩٣٢ انعقد مؤتمر الموسيقى في القاهرة ، ولما اطلعت على خلاصة أعماله ، أسفتُ لأنه لم يتوصّل إلى نتيجة حاسمة ، فصممتُ على حلّ ما حال دون نجاحه ، وأخذتُ أجهد نفسي في تمحيص علوم الموسيقى منذ خمسة وعشرين قرناً ، ولما ميزت الغث من السمين ، وعرفتُ النواقص والأخطاء ، شرعت سنة ١٩٣٧ بتأليف كتابي « فلسفة الموسيقى الشرقية » وأنجزتُ طبعه سنة ١٩٤٨ ، فصادف تقديراً ، وأعلن مرشحاً لجائزة نوبل في ١٩٥١/٢/٢٣ ولما نزل نظرياته قيد البحث والتمحيص .

والآن أقدم إلى أمنا الانسانية هذا الكتاب الجديد ، فالشعر والموسيقى صنوان ، يهدفان إلى غاية واحدة ، هي تثقيف عقول البشر وإيصالهم إلى السعادة ، مهما تعددت السبل وتنوّعت الوسائل ، وقد وضعتُ له مقدمة من روحه ، شرحتُ فيها بعض الأسباب التي أدّت إلى إخراجه ، وبعض النظريات والغايات التي كانت مسيطرةً على تفكيري أثناء تأليفه ؛ ويجدُ فيها المطالع عرضاً واضحاً لتلك الآراء التي أحسبها غاية الشاعر ، ومهمة العالم والأديب في عصرنا الحاضر ، فإذا كان ممن سمت نفوسهم وأحبّوا العدل والإنصاف ، وأدركوا أن التسامح والتساهل هما ميمنة طريق المحبة وميسرتها ؛ وإذا كان ممن لمسوا فوائد التضامن الاجتماعي ، وترفعوا عن المهارات التي لن تؤدّي إلى السلام ؛ وإذا كان ممن يلدّ لهم أن

يستعرضوا ما تشعر به النفوس الأبية من العواطف والانفعالات ، التي تذكي هوى الدنيا ممثلاً بهوى الحسان ، فتؤدي إلى نجاحٍ أو إخفاق ، تبعاً لما يصاحبها من هدوء وطمأنينة أو عواصف وظنون ، كأنها قوَّات موجبة وسالبة تصطرع وتتدافع حتى تصل بالمرء إلى الغاية التي خطتها له الأقدار ؛ فقد عرف مواضيع « زهر الربى » وغاياته ، فهي بعض أماني المؤلف وخيالاته ، وقد تصبح قريباً حقائق ملموسة ، يجد فيها البشر طريق الخلاص مما يتخبطون فيه من الأوهام وأسباب الشقاء .

فأرجو أن تجد أيها المطالع العزيز في كتابي هذا ، ما يبهج نفسك وينال إعجابك ، فيذكرك منه ما يروق لك ، وتتكرم بالتنبيه إلى ما تعثر عليه من نقص أو خطأ ، لأن العصمة لله .

صانك المولى يا أخي ! من مصير القوم الجاهلين ،
فإن أمجادهم تنتهي كأعمارهم ، عند أبواب القبور ،
أما أنت ، بحكم خلود ما أحيت ، فمن الخالدين ،
تستقبل صدر الأبد ، مجتازاً عبر الدهور .

م الله وبره

دمشق : ١ أيار ١٩٥٤ - ٢٨ شعبان ١٣٧٣



مُقَدِّمَةُ الْكِتَابِ

لما زرتُ مسجدَ محمد علي في القاهرة سنة ١٩٤٦ ، فتنتُّ بروعة ما فيه من بدائع الفن ، لا سيما بقصيدة « البردة » المنقوشة فوق نوافذه بخط جميل مذهب ، وتمنيت أن يُفتح عليَّ بقصيدةٍ مثلها تستحقُّ هذا النصيب .

وانقضتْ أعوام كانت تضطّرني خلالها مشاغل الحياة إلى العزوف عن أمنيّتي ، لا سيما أن أوقات فراغي القليلة ، كانت مخصصةً لإخراج « فلسفة الموسيقى الشرقية » .

بفظة في منام : وفي أواخر سنة ١٩٥١ رأيتُ فيما يراه النائم ، أنني في مسجد عالي الأقواس ، مزدان بنقوش عربية رائعة ، تكثر فيها الألوان البرتقالية والخضراء ، وبينما أنا مشدوه بما أرى ، ظهر أمامي في الجهة الجنوبية الشرقية كهلٌ وسيم الطلعة ، أصلع الرأس ، له عينان فائقتا الجمال ، ولحية كستنائية مستديرة ، وكان يرتدي قفطاناً من الحرير الأبيض فيه خطوط أشدُّ لمعاناً ، وبعد أن قرأتُ عليه السلام ، ذكرتُ أن قصيدة البردة كانت منقوشة فوق النوافذ ؛ فأجاب : لست الآن في القاهرة ، إنك في مقرّي . وإذا صرختُ عفواً ، دنا مني ببشاشةٍ قائلاً : أنتَ من أحبائي ، فكنْ مطمئناً ، أما البردة فقد فُتحَ عليك بمثلها ، ثم لمسَ جبّتي فشعرتُ بانقفاضةٍ واستيقظتُ من نومي .

ومي البردة : وبعد برهةٍ وجدتُ أنني على استعداد تام لتحقيق أمنيّتي ، فكتبتُ مطلع القصيدة :

أنوارُ هادي الوري في كعبة الحرم فاضت ، على ذكر « جيران بذى سلم »
وتتالت أبياتها بسرعة عجيبة ، وتمت في غضون ثلاثة أيام ، فتلوتها على مسامع كثيرين من الشعراء والأدباء الذين شرفوني بزيارتهم ، فقالوا إنها موقفة جداً .

ولما نُشرت للمرة الأولى في الرسالة ، نالت استحسان الأدباء ، وتناقلتها صحف ومجلات ،
وقدّم لها كثيرون بدراسات ، وقرّظوها بمدائح .

واتخذت جمعية التمدن الإسلامي بدمشق قراراً يعبر عن تقديرها لعملي ، وكذلك فعل
بعض علماء المملكة السعودية لدى المفوضية السورية هناك .

التقارب الديني : لقد أردتُ أن أشيّد بوحى البردة صرح مودّة خالدة بين المسيحيين
والمسلمين ، فالدين لله الذي تعالى عن إدراك البشر ، وأغلق بصيرة كل من يتفلسف فيه ،
ولعل من يدرك هذه الحقيقة لا يجد صعوبة في قبول ما وصلتُ إليه ، وإذا كنّا نعتبر
ميخا وحجي وملاخي من النبيين ، لا لشيء سوى أنهم كتبوا بضع صفحات في التوراة ،
فبالأحرى أن نعتبر محمداً (ص) في طليعة الأنبياء ، وقد آمن برسائله مليارات من البشر
منذ أربعة عشر قرناً حتى الآن ؛ وهل يمكن أن يقوم في الدنيا تقاربٌ ديني عام ، إذا لم
تؤيّد هذه الأمة الكبيرة ؟

مآثر الإسلام : كلنا يعلم أن الإسلام قدّم للعالم خدمات جلّي ، فقد دعا إلى العشر
والزكاة ، ونفّذ هذا النظام عملياً أمداً طويلاً ، ولو ظلّ نافذاً حتى اليوم ، لما تخبّط الناس بين
النظم الاجتماعية المتناقضة ، التي يهدّدنا اصطدامها بأعظم الويلات ؛ ثم إنه قضى على فظاعة
وأد البنات ، واشترع حقوق المرأة التي اقتبسها الغرب بعد مئات السنين ، ومحا نظم الجاهلية
وعبادّة الأوثان ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، ولم ينقض شيئاً من جوهر
الأديان الأخرى .

زهد الرسول : وكفاك علماً أن النبي (ص) مات ، وهو لا يملك من حطام الدنيا ،
سوى عصا وجلد شاة ، ودرع مرهونة وعدّة دريهمات ، أمر بتوزيعها على المعوزين ، وهكذا
لم يرث آل بيت النبي شيئاً من ماله ؛ فهل سُمع بمثل هذا الزهد عن عظيم أمة بيده الأمر
والنهي والحلّ والعقد ؟ أما مودّته للمسيحيين فحدث عنها بهذه الآية الباهرة :

« لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدنَّ أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأنَّ منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون » (ما — ٨٢) فكيف لا يتوجَّب علينا أن نقابل الإسلامَ بمثل منطوق هذه الآية ؟

هذا ما أوردته في « وحي البردة » بقصدِ توطيد الإخاء الإسلامي المسيحي ، وإن كنتُ أسفُ أحياناً لتصرُّفاتٍ ، يسيءُ بها إلى روح الإسلام بعضُ المنتمين إليه . وخلاصة القول أن لصاحب الرسالة فضلاً على كل عربي ، فهو سيِّدُ هذه الأمة وجامعُ شملها ، وحافظُ لغتها بالقرآن ، وفيه من الإعجاز والبيان ، ما يسمو بكل شاعر وكاتب ، يودُّ التعبير عن أفكاره باللغة العربية ، فلو تنبَّه كلُّ منهم لهذا السرِّ ، ودرس القرآن منذ حداثته ، لوصل إلى مثل ما وصلتُ إليه ، فهأنذا أقدمُ إلى العالم شعراً عربياً ، من مميزات أنه أفكار متجسِّدة ، يمكن أن تنقل بسهولة إلى أية لغة .

في عماد الشعراء : لقد شُغفتُ بالنظم منذ حداثتي ، ولي قصائد في مطلع شبابي ، لم أثبت منها في هذا الكتاب سوى القليل ، عملاً برأي القائلين : « على الشاعر إثبات شيء من منظوماته في مراحل حياته ، ليطلع الباحثون على تطوُّر أسلوبه وتفكيره » لذلك أثبتُ بعض ما نظمته يومَ لم أكن أحسبُ أنني سأصبحُ صاحب « زهر الربى » وأوَّلَ شاعري مسيحي يعارض « البردة » الذائعة الشهرة .

ويرى المطالع في قصيدة « الأخلاق والأمهات » أنني أولعتُ منذ حداثتي بالتشطير ، وبعده بالتخميس ، ثم أهملتُ هذه الناحية ، التي يدَّعي بعضهم أنها لا تستحقُّ الاهتمام ، وعدتُ إليها لما أنستُ من نفسي انطلاقاً واتفاقاً مع أيِّ شاعر مجيد ، فشهد كثيرون أنني خدمتُ الأدب العربي ، بعرضٍ جديد ، لأحسن ما تيسَّر لي انتقاؤه من أقوال شعرائنا ، على كثرِ عصور الأدب ، بعد تطعيمه بآرائي وأساليبي الخاصة ، وإحاطة صوره باطارات مناسبة .

فلنأس إذن رأيان في التخميس والتشطير ، وكلاهما صائب : فإذا كان العمل متنفقاً ومنسجماً مع شاعر الأساس ، واستطاع الخمس أو المشطر مناقشة الفكرة وتوسيعها ، أو تجميلها وتطعيمها بالجديد ، حتى تبرز على الأقل كصورة أُحيطت بإطار ، فقد أتى عملاً فنياً رائعاً ، لا يدرك شأنه إلا من عاناه ، أما إذا كان العمل خارجاً عن هذه الشروط فيُعتبر ترفيعاً وتكراراً ، وإطناباً في موضع الإيجاز ، ولا شك في أن هذا النوع لا يستحق أيَّ اهتمام .

اسلوبى وغانى : لقد تمشيتُ في « زهر الربى » مع واقع الحياة ، فلم أنظم إلا ما شعرت به وتأثرت ، ويخيل إليَّ أن أسلوبى يجتذب عشاق القديم من جهات ، وعشاق الجديد من جهاتٍ أخرى ، فعسى أن ينال رضى الفريقين ، وإنني لا أحكمُ لنفسي ، فالحكم على كل حال لأذواق القراء وتطور الأحوال ، وأنت ترى أنني تمشيتُ عن المديح والرثاء ، والخمرات والهجاء ، وملتُ إلى شعر الحياة والحكمة والغزل والقصة ، متبعاً قول شوقي رحمه الله :

« والشعرُ ما لم يكن ذكرى وعاطفةً أو حكمةً فهو تقطيع وأوزانُ »

فأسأل المولى أن يجعل من هذا الكتاب ، وسيلةً لنموِّ روح الإخاء والتحاب ، بين أبناء الشرق وسائر بني الإنسان ، وأن يُلهم قادة البشر تنفيذ آرائى ، بوضع نظامٍ عالمي ، يؤمن العدالة والكفاية مادياً ومعنوياً ، لكل فردٍ على هذه الأرض ، حتى يتحقق ، بصورة عملية لا كلامية ، تأمينُ الناس من خوف العوز والجهل والمرض ، فيتفادون حربَ الفناء ، التي تهددهم بالويل والثبور ، يومَ اصطدام المذاهب الاجتماعية المتناقضة .

نتائج الصرام : إن مطامع بعض الأفراد والأمم ، قد أوصلت دنيانا إلى أسوأ حال ، فبات الإنسان يحارب أخاه بقواتٍ هائلة لا تخضع لسلطانهِ ، وقد يؤدي هذا الجنون إلى انفجار الأرض ، أو انقلابها بتناقل أحد قطبيها ، وقد يسبب التهاب إحدى سلاسل المادة فينفك نظام هذه المعمورة ويفنى أهلها . وما من سبب لهذا البلاء ، سوى التهافت على هوى الدنيا ، التي تمثلتها عادةً حسناء ، عديمة الإخلاص ، صُغت في وصفها بعض القصائد .

راء الإنسانية : ولعل أعجب العجب ، تلك النداءات التي يُرسلها عظماء الأرض في المناسبات ، داعين الناس إلى الصلاة لأجل السلام ، بدلاً من كبح المطامع وإصلاح النظام ، فهل جهلوا أن المولى لا يُغيّر ما يقوم « حتى يغيّروا ما بأنفسهم » ؟ وهل تناسوا أن أسلافهم حطّموا الإنسانية قطعاً متناثرة كإناء الزجاج ، بالعقائد والطبقات ، والأوطان واللغات ، فعجز الناس عن إدراك السلام ، وقضيّ عليهم بالشقاء والركض وراء الأوهام ؟

أمنية السلام : إن إناء الإنسانية المحطّم ، يمكن أن يُصبّ في قالب جديد بأسلوب يختلف عما ألفناه ، عندئذٍ نصل إلى السلام ، وهو لا يتمّ بمجرد التمني ، بل بالسعي الحثيث وفق أسلوب علمي يعرفه القادة ويتجاهلونه ، فكأنهم يريدون سرّاً بقاء الإنسانية على حالها الحاضرة ، مُموّنين بالسعي لضمّ أجزاء الإناء المحطّم ، باللفّ والدّوران ، عن طريق الاتفاقات والمعاهدات ، وسوف يظلّون بعيدين عن السلام ، حتى يسلكوا الطريق القويمة التي تؤدي إليه . وهأنذا أرسمها بشكل نيرشائق ، فإذا لم يسلكوها ثبت أنهم غير جادّين في رغبتهم ، أما الذين سيسلكونها ، فإنهم يستطيعون أن يقدموا للعالم خير الضمانات على أمانها وجدواها ، وكلنا يعلم أن الذين تصرفوا بمقدرات البشرية ، وأوصلوها إلى ما هي عليه من اليأس والشقاء ، لم يقدموا أيّ ضمان ، ولم ينلهم أيّ عقاب .

وكما أن السلام المنشود لا يتمّ بالأقوال ، فهو أيضاً لا يتمّ بإملاء إرادة الأقوياء ، لأنّ كلّ نظامٍ يُفرض ، أو يوضع على غير أساس ، لا يلبث أن ينهار ، والطريق العلمية لإيجاد السلام العالمي ، تشبه حبة القمح التي لا يمكن أن تعطي غللاً قبل وضعها في الأرض ، ومضيّ المدة الكافية لنموّها . فما على السلطة العالمية إذا رامت الخلاص من الشرّ الحاضر ، إلا أن تشرع دون أيّ تأخير بوضع هذه الخطط قيد الدراسة والتنفيذ ، وقد شرحتها بمقالات ، نُشرت وترجمت وأذيعت في عدة مناسبات ، وإليك خلاصتها للعبرة والذكرى ، وقد تبقى حبراً على ورق ، ريثما يقضي الله أمراً كان مفعولاً .

« طريق المهرم »

أ - من الوجهة المادية :

- (١) - وضع حدٍّ أدنى للفقر وحدٍّ أعلى للثراء ، بقرارٍ من هيئة الأمم المتحدة ، ولا مانع في بادئ الأمر من أن يكون الحدان متفاوتين ، بالنسبة إلى مستوى المعيشة في كل دولة ، مع الحفاظ على التناسب بينهما ، وتعديله تبعاً لتطور الشعوب ، وتكثُّل الدول .
- (٢) - فتح الحدود وإزالة القيود ، والتعاون على اصلاح كل بقعة في الأرض .

ب - من الوجهة المعنوية :

- (١) - توحيد لغة الموسيقى — وقد شرحته في « فلسفة الموسيقى الشرقية » أما السبب في كونه الدرجة الأولى ، فلأنه مؤيدٌ ببراهين علمية ورياضية لا تُنقض ، وهو لا يمتُّ بصلة إلى مشاكل الأوطان والأديان واللغات ، فإذا لم يتفق الناس على قبوله ، فكيف يمكن أن يتفقوا على الدرجات العليا ، وهي غير مؤيدة بمثل تلك البراهين ؟
- إن هذه الدراسة الفريدة تعلمنا كيفية الإقلاع عن الخطأ والرجوع إلى الصواب في أشد القضايا الفنية غموضاً وتعقيداً ، فيمكن أن تتخذ كفتح لحلّ أية قضية يختلف فيها الناس ، فتشغلهم هذه الأبحاث مدة قرن على الأقل ، وينجم عنها تأليف كتب متعددة لمعاهد العلم والموسيقى في العالم كله ، وإيجاد آلات جديدة لتطبيق تلك النظريات ، مما يؤدي إلى تنقيح الألحان العالمية الرائعة ، مع الحفاظ على روحها وأسلوبها الإنشائي ، فيزداد جمالها أضعافاً ، وهكذا يتمتع الناس بموسيقى صافية ، خالية من الشوائب ، تبهج نفوسهم وتولد فيها هدوءاً وانسراحاً ، وتقرب بين أذواقهم بصورة أكيدة فعالة ، تجاري أحكام الطبيعة . ★

★ ولو وقفت أبحاث الموسيقى عند هذا الحد الخطير لهانت ، ولكن نظام التناسب الموسيقي عامٌ شامل ، لا يقتصر على الأنغام واهتزازاتها ، بل يتناول كل ما في الكون ، فهو نتائج فعل الحركة بالحركة ، وفق أشكال من سلاسل التناسب الموسيقي ، فالقدرة تولّد حركة ، أو هي متحركة بذاتها ، والعوامل الفاعلة بها كالحرارة والبرودة ، والنور والظلمة ، والضغط والانفلات ، والسرعة والبطء

(٢) — توحيد اللغات — وهو يتم بالاتفاق على واحدة يتكلم بها جميع البشر، لقاء مساعدات

النح ، حالات من سير الحركة ، فالقدرة تنتقل بهذا التفاعل إلى مرحلة أعلى ، حتى تصبح جاذبية مغناطيسية ، وهذه تنتقل إلى مرحلة أعلى ، فتغدو كهربائية موجبة أو سالبة ، ثم تفعل بها العوامل ، فتتكون منها ذرات مختلفة الأحجام ، تدور حول كل موجبة سالبة ، بكميات متباينة ، حسب حركات سلسلتها الموسيقية واختلاف عواملها ، فبتكامل تلك الذرات واتحادها تتألف العناصر ، ثم تتألف المواد الأخرى بالزج والتركيب ؛ وعليه فإن إطلاق طاقة الذرة ، أي رد الصورة إلى القدرة فجأة ، لا يعد أمراً خطيراً إزاء رد الصورة إلى القدرة على مراحل ، بمعرفة حلقات التناسب الموسيقي والعوامل الفاعلة في كل مرحلة ؛ ومتى طبقت هذه النظرية عملياً ، توصل العلماء إلى نقل المادة من صورة إلى أخرى ، وإلى إيجاد عناصر لا نعرفها الآن ، قد تكون موجودة في كواكب أخرى ، واعتقد أن هذه الأبحاث ستوجد للناس أعمالاً لا تنتهي ، وتخلق فيهم تفكيراً ساهياً يصرفهم عن جهالة الحروب .

ثم إن التناسب الموسيقي سيفيد الطب فائدة عظيمة ، يوم يصبح العلاج قضية رياضية غير قائمة على التجارب ، بل على الحقائق الثابتة ، فكل عضو في الجسم مبني على شكل من التناسب الموسيقي ، وليس المرض سوى خلل أصاب إحدى أو بعض حلقات ذلك التناسب ، فيمكن الرجوع إلى الأصل باستعمال عوامل على تناسب معاكس ، والبحث مدّسع خطير ، تنجم عنه دراسات لا حدود لها .

وكلنا يعلم أن الموسيقى تفيد في شفاء بعض الأمراض ، لكننا نجعل هل يتم الشفاء بفعل اهتزازات الاصوات ، وما بينها من تناسب نغمي متنوع الدرجات ، أم بتأثير أشكال الايقاع ، أم بقوة الفكرة الفنية أو الأسلوب الأنشائي في اللحن الذي سمعه المريض ؟ وإذا كانت الموسيقى وحدها تفيد ، مع أنها لا تؤثر في المرء إلا عن طريق حاسة السمع ، فإذا تكون النتيجة فيما لو سلطنا على المريض جيشاً من التناسب الموسيقي عن طريق الحواس الأخرى ، في وقت واحد ، كالألوان عن طريق البصر ، والروائح عن طريق الشم ، والتدليك عن طريق اللمس ، والأدوية والمأكولات والمشروبات عن طريق الذوق ؟

إن جميع هذه الوسائل ، إذا جاءت وفق سلاسل موسيقية لا تختلف عن تناسب النغم واتفاقاته ، تزيد التأثير في المريض ، فيمسي الشفاء سريعاً مضموناً حسب قواعد ثابتة ، ولا شك في أن شخصية كل فرد وأخلاقه ، قد تكونت وفق سلسلة من التناسب الموسيقي ، فقلت بحلقاتها عوامل مختلفة ، كالفرح والطمع والصحة والحرية ... واضدادها ، ومتى تنبه أطباء النفس لهذه الناحية ، سهل عليهم حل العقد ومداداة أمراض النفوس بالتناسب الموسيقي الذي لا تحصى فوائده . ويؤسفني أن هذه النظريات ، لا يمكن تطبيقها في بلاد ليس فيها معهد للأبحاث ، ولا مجمع علمي يهتم بمثل هذه الشؤون . وإذا علمنا أنفسنا بأننا سنصل يوماً إلى مثل ما وصلت إليه الأمم الراقية ، تكون تلك الأمم قد وصلت يومئذ إلى الكواكب ، بينما نحن لا نزال لاهين بفهرسة الكتب وتحقيق التراث ... فما علينا إلا أن نتعاون بجد وسرعة كي نعوض ما فات ، والا فلن يكون لنا شأن في خدمة الإنسانية عن طريق الأبحاث العلمية الحديثة .

(المؤلف)

يؤديها من تُختارُ لغتهم لهذه الغاية ، ولا مانع في بادئ الأمر من بقاء جميع اللغات الحية الآن ، لأنها ستُملُ مع الزمان ، حين تسمي اللغة العالمية بالنسبة إلى كل فرد كلغته الأساسية ، ولا فضل للغة على لغة ، فكلها ألفاظ وقواعد موضوعة بشرعة بشرية لأجل نقل الفكر ، ولا أهمية لها بالنسبة إلى العلوم والفنون . فإلى متى يملأ الناس أذهانهم بالعرض دون الجوهر ، وحيثما يتفرقون في سبيل الألفاظ ؟ .

(٣) — توحيد الأديان — وهو يتم بالاتفاق على دستور إيمان عالمي ، يرتكز على عبادة الله ، وحبّ القريب ، وعدم مقاومة الشر بالشر ، وما شاكلها من المثل العليا ، التي لا تناقض أيّ دين ، يُسنُّ بواسطة مجمع علماء ، يمثلون جميع السلطات الدينية ، مشهود لهم بعدم التعصب ، ثم يُدرّسُ في جميع معاهد العالم ، فيجدُ كلُّ دين أن هذا الدستور يوافقه في الأساس ، ويُقرّب ما بينه وبين سواه . وهكذا يخفُّ التعصب الديني بالتدريج حتى يزول ، فأكثر الفوارق خيالات وأوهام ، لا تقوم عليها براهين مقنعة .

هيئة الأمم المتحدة : ولا يخفى أن جميع هذه القضايا لا تتم إلا بقرارات من هيئة الأمم فهنا شغلها الطبيعي وواجبها الصحيح ، فمتى انصرفت إليه ، حقاً على كل فرد أن يؤيدها ، لأنها أجلُّ فكرة توصل إليها الإنسان . وإن كان تأليفها على الشكل الحالي خطأ ديناً ، فهي تضم الآن رجال سياسة يتصارعون لأجل تنفيذ مآرب حكوماتهم ، بينما يقتضي أن تتألف من فلاسفة مشهود لهم بالشرف والوجدان ، يمثلون شعوبهم شكلاً ، ولا يصغون إلا لصوت الحقيقة ونداء الضمير ، لأنهم يصبحون بدخول الهيئة مواطنين عالميين . عندئذٍ تقيّد كل أمة طوعاً باتّباع قرارات هيئة كهذه ؟ ومتى تمّ تنفيذ ما تقدّم عملياً ، ينبثق عنه بصورة آلية نظام حكم جديد ، تقبله جميع الشعوب بلا إكراه . وهكذا تنمو بذور السلام الدائم ، الذي هو ملكوت الله على الأرض ، فعلى كل مفكر أن يسعى له ، عملاً بقول السيد المسيح له المجد « طوبى لصانعي السلام ، فإنهم أبناء الله يُدعَوْنَ » .

مردب المستقبل : وقد يعترض بعضهم بأن هذا السلام يؤدي إلى الجمول ، ويمنع النشاط الذي تولده الحروب ، ولا شك في أنهم مخطئون ، لأن زوال الحرب بمعناها الحالي ، أي قتل الإنسان الإنسان حبا بالأطاع والنفوذ الزائل ، سيعقبه نشوب حروب من نوع جديد ، لا نهاية لها ، ولا حدا لما تولده من النشاط والإبداع ، هي حرب البشرية جمعاء ، ضد أسرار الطبيعة المحجوبة ، التي لا نعرف منها سوى القليل ، هي الحرب ضد الكوارث التي يمكن أن تصيب هذه الأرض ، فتقضي على حياة البشر كلهم ، تلك الكوارث التي تفك بنا ، ولكننا لم نشرع حتى الآن باستنباط أية وسيلة للنجاة منها ، فنحن عنها غافلون ، مع أن التفكير الجماعي ، يمكن أن يوصلنا إلى النتيجة المرجوة .

قوة الروح : إن المفكرين الملهمين ، من شعراء وأدباء وعلماء ، هم المهندسون والمنفذون ، هم قادة الانسانية الحقيقيون ، ولا يضيرهم أن يؤجل الغرضون تحقيق آرائهم ، لا سيما إذا كانوا مثلي ممن لا تدعمهم دول قوية ، فأنا بحكم المنشأ واللغة ، أنتسب إلى أمة ليس لها من القوة والغنى ما غيرها من الأمم ، ولكن لها تراثا روحيا تليدا ، لا تفوقها فيه أمة أخرى ، فما علينا بعد أن رأينا ما آلت إليه دنيانا من جراء تصادم الأطماع ، إلا أن ننشر على العالم تراثنا الروحي ، بالأساليب الحديثة ، حتى يقوم التناسب بين القوى المادية والمعنوية ، وهكذا تؤدي للبشرية أعظم خدمة في سبيل الوصول إلى الكمال .

واجب هذا الجيل : إن السلام الدائم لا يتم إلا بتطهير الفرد من أطماعه وعنعناته ، حتى تطهر منها الأمم أي مجموعات الأفراد ؛ وهل يمكننا أن نرتاح في حياتنا ، أو نترك لأبنائنا عالما أفضل ، إذا أورثناهم أمراضا النفسية والاجتماعية ؟ إنهم سوف يتخبطون بمثل مصائبنا ، ثم يورثونها أولادهم وهكذا دواليك ، فلا بد إذن من مجيء جيل يتحمل حرب الإنسان ضد نفسه حتى يُغيّر ما فيها ، ولعلّ جيلنا المنكود ، الذي عانى أهوال حربين عظيمتين عدا الحروب الصغيرة — وما زال يعاني مهاترات الحرب الباردة التي قد تجرّنا إلى حرب الفناء ،

بفضل القنابل الذرية والغازية ، وما يصحبها من أخطار التلاعب بالعوامل الطبيعية — هو الجيل الذي يتحتم عليه ، أن يكفر عن سيئاته بتحقيق تلك الحسنة ، أي بناء السلام على أسس علمية ثابتة ، قوامها تحرير الإنسان من أطماعه وعنناته ؛ فمن مصلحة جميع أبناء جيلنا المتعب ، بعد أن وصلنا إلى هذا الحد الخفيف في تهيئة أسباب الدمار ، أن يعملوا على التقارب والتحاب ، وإزالة الأسباب الأساسية التي قد تجرنا إلى الحرب العالمية الثالثة ؛ ولعل طيبة القلب تدفعني إلى الاعتقاد بطيبة قلوب أبناء المعسكرين الشرقي والغربي على السواء ، لأن كلا منهما لا يقبل أن يكون معتدياً ، ولكنها نظريات مختلفٌ عليها ، يمكن أن تُحلَّ بالتساهل والاقناع ، فسعادة الإنسان وازدهار حضارته ، هي الغاية العليا التي يتحلى بها كل شعب مفكر ، والفرد حجر في بيت الإنسانية ، فهل تقتل بعضنا لنهدم بيتنا بأيدينا ؟ أم نتحد لنحارب أعداءنا الحقيقيين الذين يعيقون سير الإنسانية نحو الكمال ، ويهددون حضارتنا بالزوال ...

نظريته تصطدم به : وإذا استقصينا الأسباب الخفية للصدام الذي نخشاه ، نجد أنها ليست عداءً متأصلاً بين شعوب المعسكرين ، بل خلافاً على نظريتين اجتماعيتين ، كلٌّ منهما تزعم أنها أصلح لحياة الإنسانية ، كما زعمت كلتا المرأتين أمام سليمان ، أنها أمُّ الطفل المهدد بالموت ، فأية النظريتين هي أمُّ الإنسانية المهددة ؟ إن إحداها تقول بتخفيف الفوارق الطبقة في الحياة المادية ولو أدى ذلك إلى استعمال الضغط ؛ والأخرى تقول ببقاء تلك الفوارق حفاظاً على حرية الفرد ، ولو أدى ذلك إلى تمكين الأقوياء من مصِّ دماء الضعفاء ؛ فإذا اقترب أحد المعسكرين من ناحية ، وجب على الآخر أن يقترب من الناحية الأخرى ، وهكذا يتم التفاهم بينهما ، ومهما كانت وعورة الطريق وفداحة النفقات ، فإنها أخفُّ وطأة من ويلات حرب ثالثة ، وأضمنُ عقبى لديمومة الحضارة الإنسانية ، فهل تتفق على الحلِّ الرياضي لهذه المشكلة ، بوضع حدٍّ أدنى للفقير وحدٍّ أعلى للثراء ، أم نظلُّ كالذئاب تقتل بعضها ، بعامل الجوع أو جمع الحطام ؟ هذا ما سيثبتهُ المستقبل القريب ، وفيه الحكمُ على درجة تفكير أهل الأرض واستحقاقهم للحياة ، تحت راية نظام يؤمن كلُّ فردٍ من مخاوف الغد ، ويقيد

كل حكومة بواجبها المفروض نحو كل فرد ، فهي مسؤولة عنه منذ سماحها بعقد قران والديه ، ومن الظلم أن تطالبه بواجبه نحوها ، إذا كانت مقصرة في أية ناحية من واجبها نحوه . ولعلّ الخلاف البادي بين المفروض والواقع هو الذي أدى الى تفاقم الصدام بين الروح والمادة .

مؤتمرات : ولعلّ أشدّ ما يملأ النفس ألماً وخيبة ، مؤتمرات يعقدها عمال بعض الدول الغنية ، داعين فيها إلى إيجاد تقارب بين الروح والمادة ، وهم يعلمون أن لا نتيجة لمسايعهم سوى التّخدير والتّمويه ، لأنهم إذا كانوا يستطيعون تنفيذ قراراتهم فلماذا لا يتبعون أقوم خطة تؤدي إلى الهدف ؟ وإذا كانوا لا يستطيعون التنفيذ ، فلماذا يعملون كآلات لإلهاء الناس ، وإبقاء البشرية على الحال الحاضرة أطول مدة ممكنة ؟ ترى ألا يعلمون أن الهيئات الدينية مازالت ترسل مواعظ هذا التقارب ، منذ مئات السنين ، فما جنت سوى النتائج المعكوسة ؟

الأغنياء والفقراء : إن الأقوياء الذين يمتلكون المادة ، ظنوا لكثرة ما سمعوا من الوعظ والارشاد ، أن المال الذي جمعوه حقّ لهم ، يريد الضّعفاء سلبه منهم عن أهون سبيل ، فاعتادوا سماع أنغام الوعظ المزعجة ، وازدادوا جشعاً وتمسكاً بحقوق مزعومة ، خفيت مصادرها ؛ وتناسوا أن المسال لله يمتحن به رقة النفوس ؛ فلم يبق أمام المعدمين ، بعد أن ملّوا البقاء على هذه الحال ، إلا الانخراط في المبادئ المضادة ، التي تستهجن فكرة الإحسان ، وتعلم أن المادة كالروح حقّ لكل إنسان ، تلك المبادئ التي ما زالت تنتشر وتتيقوى بدون دعاية ولا إعلان ، حتى أصبحت قوة مخيفة تهدّد الأغنياء بضيايع سلطانهم ، فراحوا يدرسون ليلاً نهاراً : هل تجدي الحربُ نفعاً مع أولئك المشاغبين ؟ ولما أدركوا أن الفقراء ، وقود الحروب ، لا يغنمون منها شيئاً ، وأن للفقر رابطة أشدّ من أية رابطة أخرى ، حسبوا ألف حسابٍ لتمنّع الفقراء عن قتل أنفسهم ، في سبيل الإبقاء على سلطانهم واستبدادهم ؛ ولما انتبهوا إلى أن الحرب الحديثة قد تقضي عليهم وعلى أموالهم وراء الساحات ، وأدركوا أن كفاح الطبقات المعدمة للتخلص من أرستوقراطية المال ، لن يختلف عن كفاحها في الثورة الفرنسية ، لما تخلّصت

من أرسوقراطية الدم ؛ فقد ازدادت مخاوفهم وصاروا يتلوّون كالتائبين في المهجير ، يلطفون ما بهم بمغاطس الحرب الباردة ، فليتهم يفهمون أن لا سبيل لاجتناب الصدام بين الفقر والغنى إلا بالاتفاق على حلول عالمية ، تضمن لكل فرد حق الحياة مادياً ومعنوياً ؛ وليتهم يدركون أن النصر لله لا للشيطان ، يعطيه لمن لا يعبدون ربّين ، متراكضين وراء المال ، متظاهرين بحبّ الله ، مقتربين منه بأفواههم ، أما قلوبهم فمبتعدة عنه بعيداً .

مفرد البشريّة : والخلاصة ان أي نظام اجتماعي ، له صفة العقيدة ، لا يمكن أن يزول بالقوة ، بل بإيجاد نظام أحسن منه ، يجتذب الناس إليه ، تتوفر فيه أسباب التعاون والاتحاد ، وتنضال فيه أسباب التّحاسد والشّقاق ، فما علينا نحن أبناء العالم الحرّ ، مناوئ الشيوعية ، إلا أن نبدع للدنيا نظاماً أفضل ، يدفع عن كل فرد مخاوف الفاقة بشكلٍ حاسم ، وإلا كنّا كمن يتّقي الموت بالعصا ، أو يعلّل الجوع بطبخ الحصى .

نراء الانسانية : أيها المفكرون ! إن البشريّة ذاقَتْ أهوال الحروب ، وخبرت نتائجها في فضّ المشاكل ، فما جنت ربحاً غير البكاء والدمار ، وما أفادت منها سوى تأخير السير نحو الكمال ، فلا تكادُ حربٌ تنتهي حتى تقع في أشدّ منها هولاً وشرّاً ، ولو أحصينا ما أنفق على الحروب من أتعاب وأموال ، لكانت تلك الوسائل المهدورة كافيةً لحوّل الجهل والفقر والمرض عن وجه الأرض ، كانت كافيةً لأن تمسح من كل عينٍ كلّ دمعَةٍ ، ومن كل قلبٍ كلّ حزنٍ وألمٍ ، وليدِ الظلم والبؤس والحرمان .

فيا حماة الانسانية ! إن الإنسانية المضطربة بحاجة إلى ألحان سليمة تهدئ أعصابها الثائرة ، إن الإنسانية العذبة بحاجة إلى أعمالٍ سلامٍ طويلة الأمد ، إن الإنسانية المتعبة بحاجة إلى ساسةٍ يسهّون المشاكل بالصراحة والاقناع ، لا بالدسائس والحروب ، وكفاهها من قادةٍ يحسبون العناد والمصالح شرفاً ، ثم يزعمون أن الشرف لا يرضى إلا بضحايا تُحرق على مذبحه ، كأنّ هذا الشرف الموهوم أعلى من العليّ عزّ وجلّ ، الذي قال فيه سفر المزامير :

« إنك لا تُسرُّ بالحرقات ، فالذبيحة أمامك روح منسحق » فويلٌ إذن للذين يصرفون
الناس عن حياة ملؤها الفنُّ والجمال ، ويدفعونهم إلى المذابح كالأنعام « يوم لا ينفع مالٌ
ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم » .

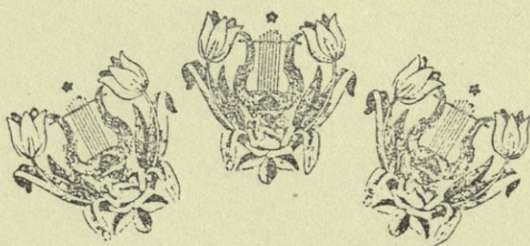
إن الشعلة التي تضاء في مركز الأملب ، وتنقل إلى أية مدينة يقام فيها أولمبياد ، ترعاها
أيدي كريمة بارة ، كيلا تنطفئ قبل أن تصل إلى المكان المعد لها ، هكذا الشعلة التي أضاءها
الخالق في بني الإنسان ، بغية إيصالهم إلى السعادة والكمال ، يجب أن ترعاها أيدي كريمة
بارة ، كيلا تنطفئ بالحروب الطاحنة ، والمهاترات العاصفة ، بل تظل في أمان ، ريثما تأذن
الحكمة العليا ، بأن تبني على الأرض ، ملكوتاً غير قائم على نعيم الأجساد الفانية ، بل على نعيم
الروح ، وسمو الفكرة المتألقة ، في النفوس الخالدة .

ميشيل انديويردي

دمشق : ٢٧ رمضان ١٣٧٣ الموافق ١٩٥٤/٥/٢٩

مؤلف زهر الربى





زهر الربى

الرّوضة الأوّل

الورد والأقحوان

قصائد وموشحات

مجلد السبعين



وَحْيُ الْبُرْدَةِ

مآثر العرب والإسلام ، والرسول الكريم محمد بن عبد الله ﷺ

أَنوَارُ هَادِي الْوَرَىٰ فِي كَعْبَةِ الْحَرَمِ
وَأَرْسَلْتَ نَعَمَ التَّوْحِيدِ عَنْ مَلَكٍ
فَمَزَجَ رُوحَكَ بِالرُّوحِ الَّتِي أَزْدَهَرَتْ
وَشَمَكَ الْعِطْرَ فَوَاحًا بِرَوْضَتِهَا
وَمَنْ يَهْمُ بِعَظِيمٍ يَتَّحِدُ مَعَهُ
وَالْحُبُّ صِنَوَانُ: حُبُّ الرُّوحِ خَيْرُهُمَا
يَا لَيْتَ أَحْلَامَ عُمَرِي لَمْ تَضِعْ بَدَدًا
وَلَيْتَنِي لَمْ أَهْمُ إِلَّا بِمَنْ عُرِفُوا
فَكَمْ حَبِيبٍ إِذَا خَالَفتَ فِكْرَتَهُ
وَمَنْ يُسَاقِ حَبِيبًا صَدَّ خَمْرَتَهُ
فَارْبَأُ بِنَفْسِكَ أَنْ تَنهَارَ مِنْ أَلَمٍ
وَأَجْعَلَ هَوَاكَ رَسُولَ اللَّهِ تَلَقَّ بِهِ

فَاضَتْ ، عَلَى ذِكْرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمٍ
كَالرُّوحِ مُنْطَلِقٍ ، كَالزَّهْرِ مُبْتَسِمٍ
يُغْنِيكَ عَنْ مَزَجِ دَمْعٍ سَاجِمٍ بِدَمٍ
أَلَدُّ مَنْ عَشَقَ رِيمَ الْقَاعِ وَالْأَكَمِ
بِالرَّأْيِ وَالْفِكْرِ قَبْلَ الْوَسْمِ وَالْأَرَمِ^١
فَلَا تَكُنْ لِلْهَوَىٰ الْفَانِي بِمُلْتَزِمٍ
بِحُبِّ قَصْرِ مِنَ الْأَوْهَامِ مُنْهَدِمٍ
بِرِقَّةِ الْقَلْبِ لَا بِالظُّلْمِ وَالْعَقَمِ
جَاذَاكَ بِالصَّدِّ قَبْلَ الْبَحْثِ فِي التَّهَمِ
وَسِحْرَ الْحَانَةِ يَنْدَمُ وَيَنْفَطِمِ
وَارْبَأُ بِحُسْنِكَ أَنْ يَرْبَدَّ مِنْ سَأَمِ
يَوْمَ الْحِسَابِ شَفِيعًا فَائِقَ الْكَرَمِ

(١) أَرَمَ الشيءَ أَرَمًا ، كطلب طلباً ، جمعه إلى بعضه ، ومنه الأرومة التي نغم جذوع الشجرة ، والمعنى أن الاتحاد الروحي أهم من الشكلي.

هَذَا رَسُولُ الْهُدَى فَأَرْشِفْ عَلَى ظَمَائِ
كَأَنَّمَا قَلْبُهُ يَنْبُوعُ مَرْحَمَةٍ
مِنْ وَرْدِهِ الْعَذْبِ عَطْفًا شَاقَ كُلِّ ظَمِي
مُسْتَبَشِرٌ بِالرُّؤْيَى جَذْلَانُ ^{١)} بِالنَّسَمِ

٢

يَا أَيُّهَا الْمُصْطَفَى الْمَيِّمُونَ طَالِعُهُ
وَحَدَّثَ رَبَّكَ لَمْ تُشْرِكْ بِهِ أَحَدًا
وَكَيفَ تُشْرِكُ بِالرَّحْمَنِ الْهَلَةِ
عَادَيْتَ أَهْلَكَ فِي تَخْطِيمِ بِدْعَتِهِمْ
كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِدَوْلَتِهِ
أَدَّى الرِّسَالَةَ حَتَّى ضَجَّ مِنْ سَأَمٍ
وَأَفْلَسَتْ بَعْدَ إِقْبَالِ جَهَنَّمِ
كَأَنَّ أَحْمَدَ بِالْأَصْفَادِ كَبَلَهُمْ
شَرَعَ عَلَى أَقْوَمِ الْأَرْكَانِ أَسَّسَهُ
غَذَّى عُقُولَ الْوَرَى حَتَّى أَتَاكَ لَهُمْ
وَعَلَّمَ الْعَرَبَ حَتَّى سَادَ نَسْلُهُمْ
كَأَنَّمَا الشَّرْعُ جُزْءٌ مِنْ نَفْسِهِمْ
« قَوْمٌ إِذَا اسْتُخْصِمُوا كَانُوا فَرَاغَةً »
قَدْ أَطْلَعَ اللَّهُ مِنْكَ النُّورَ لِلظُّلُمِ
وَلَسْتَ تَسْجُدُ بِالْإِغْرَاءِ لِلصَّنَمِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّ الرُّوحِ لِلرِّمَمِ ^{٢)}
مَنْ يَنْصُرِ اللَّهَ بِالْأَصْنَامِ يَصْطَدِمِ
سِوَاكَ مِنْ مُرْسَلٍ بِالْحَقِّ مُعْتَصِمِ
أَجْنَادُ إِبْلِيسَ وَأَشْتَدَّ الْأَمَى بِهِمْ
وَلَمْ تَجِدْ حَظَبًا فِي الْأَشْهُرِ الْحُرَمِ
فَارْتَدَّ جَيْشُهُمُ الْمَقْهُورُ بِالسَّدَمِ ^{٣)}
لِلْعَالَمِينَ نَبِيٌّ طَاهِرُ الشِّيمِ
عَيْشَ النِّعَمِ وَتَقَاثُمِ مِنَ الْأَثَمِ
هَامَ الْمَمَالِكِ وَأَرْتَاخَتْ لِعَدْلِهِمْ
فَإِنْ هُمْ وَعَدُوا اسْتَعْنُوا عَنِ الْقَسَمِ
وَإِنْ هُمْ قَسَمُوا أَرْضُوكَ بِالْقَسَمِ ^{٤)}

(١) النسَم : نفس الروح ، ونفس الريح حين تقبل بلين كالنسيم . (٢) الرمم : العظام البالية .
(٣) السدم : الهم مع الندم . (٤) الصدر : لصفي الدين الحلي .

وخلدوا ملوكهم ريان مؤتلقا
 إن الممالك إن شيدت على جشع
 وقد يملُ الفتي بالشيب من أرب
 أثون نار زفور جد محتدم
 لو أدرك المرء أن المال تاركه
 ولودرى العاشق المورثور كيف سلا
 كفاك هما فاهواء الدنيا غصص
 والزهد راحة فكر من متاعبه
 همننا بفان فأغرانا وأذهلنا

وكل ما شادت الأطماع لم يدم
 تفرس، ولا خير في الحيتان للبلم^{١)}
 ولا يملُ عبيد المال من بشم^{٢)}
 والمال يهوي بخلق جد مزدحم
 لمل صعبة خوان الوداد عمي
 أحبابه لم يبت يوما بقربهم
 تودي بصفوك مثل الشم في الدسم^{٣)}
 فإن دعانا وأهملنا ينتقم
 وأي قلب بحب الأرض لم يهيم؟

٣

يا أزهده الناس في الدنيا وفي يده
 عجبت كيف تمناني الجوع مرتضيا
 ولم تبال بتيجان مرصعة
 تقول ربي أجرهم من عمايتهم
 فاستضحك التوم هزءا وأستبد بهم
 كأن أفكارهم من طول ما شقيت

خزان الملك والأنصار كالأخدم
 حظ الفقير ولم تلتذ بالنعم
 ولم تكن للألى ضلوا بمرتسم^{٤)}
 وتصرف النفس نحو المورد الشيم^{٥)}
 وهم فصيرهم لحما على وضم^{٦)}
 ألفت بأرواحهم في وهدة الحطم^{٧)}

(١) تفرس : تصبح مفترسة والبلم : السمك الصغير . (٢) البشم : التخمعة . (٣) الفصص : الأحزان
 والهجوم . (٤) المرتسم : المقتل . (٥) الشيم : البارد . (٦) الوضم : الخشبة التي يقطع عليها اللحم ،
 ومعنى المثل : أذلهم وأوجعهم . (٧) وهدة الحطم : هوة النيران .

وَالنَّارُ حُرْقَةٌ نَفْسٍ مِنْ نَدَامَتِهَا
فَاسْلَمْ بِنَفْسِكَ إِنَّ الرُّوحَ يَمُوزُهَا
فَلَا طَعَامٌ مِنَ الْبَاسَاءِ يُنْقِذُنَا
وَهَلْ تُفِيدُكَ أَبْرَاجُ مُشِيدَةٍ
وَالْمَرْءُ يَفْنَى إِذَا لَمْ يَبْقِ مَأْمَرَةٌ
وَالْعُمْرُ إِنْ طَالَ يَوْمٌ لَا رُجُوعَ لَهُ
أَسَلَّمْتُ لِلَّهِ أَمْرِي فَهُوَ يَكْلُونِي
أَلَسْتُ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ أَفْضَلَهَا ؟
فَإِنْ يَغِيبُ عَنْكَ أَنَّ الْعَيْشَ مَرَحْمَةٌ
وَكَيْفَ تَسْمُو بِرُوحٍ بِالثَّرَى عَلِقَتْ

يَا بُؤْسَ مَنْ لَمْ يَحْذَ عَنْ شَرِّ مُغْتَنِمٍ
رَضِيَ الَّذِي عَلَّمَ الْإِنْسَانَ بِالْقَلَمِ
وَلَا لِبَاسٍ يَقِينَا شِرَّةَ الضَّرَمِ
وَالْمَوْتُ فِي الْقَصْرِ مِثْلُ الْمَوْتِ فِي الْخَيْمِ
تَحْيَا إِذَا بَاتَتْ الْأَجْسَادُ فِي الرَّجَمِ^{١)}
فَهَيَّ الزَّادَ قَبْلَ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ
كَأَزْهَرٍ فِي الْحَقْلِ وَالْأَطْيَارِ فِي الْعِلْمِ^{٢)}
وَبَارِي السَّكُونِ قَدْ حَلَاكَ بِالْحَكَمِ
فَكَيْفَ تُدْرِكُ أَنَّ الْفَوْزَ بِالْأَلَمِ ؟
وَكَيْفَ تَعْلُو عَلَى الْآسَادِ فِي الْأَجَمِ ؟

٤

أَقُولُ لِلْمُصْطَفَى أَعْظَمُ بِمَا ابْتَدَعَتْ
لَوْ يَتَّبِعُ الْخَلْقُ مَا خَلَقْتَ مِنْ سُنَنِ
وَلَمْ يَرَ النَّاسُ أَحْكَامًا وَفَلَسَفَةً
مَذَاهِبٌ أَحْدَثَتْ فِي الْأَرْضِ بَلْبَلَةً
أَيُّنَ الزَّكَاةُ وَأَيُّنَ الْعُسْرُ يَحْمِلُهُ

آيَاتُ بَرِّكَ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ نِعَمٍ
لَمْ يَفْتِكِ الْجَهْلُ وَالْإِعْوَازُ بِالْأُمَمِ
فِي الْأَجْتِمَاعِ سَتْلَقِيهِمْ إِلَى الْعَدَمِ
وَأَوْرَثْنَا بَلَايَا الْحَرْبِ وَالْإِزْمِ^{٣)}
أَهْلُ الْغِنَى لِلْأُلَى مَاتُوا مِنَ السَّقَمِ ؟

(١) الرجم : القبر . (٢) العلم : الجبل . (٣) الازم : الشدائد .

هَلْ كُنْتَ تُبْصِرُ مَا أَوْدَى بِعَالَمِنَا
أَمْ هَلْ تَنْبَأُتَ عَمَّا تَمَّ فِي زَمَنِ
نُبُوَّةِ حَارِبِ الْجَبَّارِ مُنْكَرِهَا
فِيَا نَبِيَّ الْهُدَى حَيَّتَ مِنْ عِلْمٍ
أَحْبَبْتَ دِينَكَ لِمَا قُلْتَ أَكْرَمُكُمْ
وَقُلْتَ إِنِّي هُدَى لِلْعَالَمِينَ وَلَمْ
فِي دِينِكَ السَّمْحُ لَا جَنْسٌ وَلَا وَطَنٌ
اللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْأَكْوَانُ فَانِيَةٌ
سُبْحَانَ مَنْ بِيَدَيْهِ الْمُلْكُ أَجْمَعُ

مِنْ قَبْلِ أَنْ فَاضَ بِالْوَيْلَاتِ وَالنِّقَمِ
تَسْوَدُهُ فِكْرَةُ الْإِحَادِ وَالنَّهَمِ؟
وَرَوَّعَ النَّاسَ بِالْتَّعْذِيبِ وَالْحُمَمِ
بِالطُّهْرِ مُتَّسِمٍ بِالْعَدْلِ مُدَّعٍ^{١)}
أَتَقَاكُمْ، وَتَرَكْتَ الْحُكْمَ لِلْحَكَمِ
تَلَجَّأُ إِلَى الْعُنْفِ بَلْ أَقْنَعْتَ بِالْكَلِمِ
فَكُلُّ فَرْدٍ أَخٌ يَشْدُو عَلَى عِلْمٍ^{٢)}
وَمَنْ يَلِدُ بِجَلَالِ اللَّهِ لَا يُضْمِ^{٣)}
وَيُرْجَعُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ بَعْثِهِمْ^{٤)}

٥

يَا عَبْقَرِيَّ الْوَرَى الْأُمِّيَّ هَلْ سَمِعْتَ
آيَاتِكَ الْغُرَّ إِعْجَازُ تَنْزِهِ عَنْ
كَأَنَّمَا النَّاسُ آلَاتٌ مُبَعَثَرَةٌ
مَنْ عِلْمَ الْجَاهِلِيَّ الْغَرَّ مَكْرُمَةٌ؟
مُحَمَّدٌ رَدٌّ مَنْ ضَلُّوا وَعَلَّمَهُمْ

مِنْ قَبْلِكَ الْعُرْبُ وَخِيَا جِدَّ مُنْسَجِمٍ
نِدٍّ، وَلَيْسَ دَعِيُّ الْحُبِّ كَالسَّدَمِ^{٥)}
أَخْرَجْتَ مِنْهَا جَمِيلَ اللَّحْنِ وَالنَّغَمِ
وَأَدُ الْبَنَاتِ أَمْ الْبَالِي مِنَ النُّظْمِ؟
حَقَّ النِّسَاءُ اللَّوَاتِي كُنَّ كَالرُّمَمِ^{٦)}

(١) العلم : سيد القوم وزعيمهم . (٢) العلم : المنارة . (٣) كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام (الرحمن ٢٦/٢٧) . (٤) فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون (يس ٨٣) . (٥) السدم : الشديد العشق . (٦) الرُمم : الجواري الكيسات .

يَا فَاخِرَ أُمَّتِنَا فِي الْأَرْضِ قَاطِبَةً
عَزَّزْتَ كُلَّ قِتَاةٍ حِينَ صَحَّتْ بِنَا :
فَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ نَادَى بِمَأْثَرَةٍ
خَاطَبْتَ كُلَّ ذِي حَسَبٍ قُدْرَتَهُ
وَكُنْتَ أَرَأَفَ بِالْمَسْكِينِ مِنْ دُوَلٍ
إِنْ كَانَ يَنْجَعُ طِبُّ النَّاسِ فِي جَسَدٍ
تَرْعَى الْيَتِيمَ وَتَرْعَى كُلَّ أَرْمَلَةٍ
فَارَعَ النُّفُوسَ الَّتِي ذَلَّتْ وَيَتَمِّهَا
وَهَبَ لَنَا مَبْدَأَ حَيَاةٍ وَتَضَحِيَةً
لَيْتَ الْإِخَاءَ الَّذِي فِي يَثْرَبٍ انْتَشَرَتْ
إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا أَلْفَتْهَا انْتَلَفَتْ
مَاذَا يُطَهِّرُ قَوِيٍّ مِنْ تَنَابُذِهِمْ ؟
أَجْفَوَةٌ وَرُعَاةٌ غَرَّهُمْ طَمَعُ
أَسْمَعْتَنَا فَنَسِينَا ، وَأَسْتَقَلَّ بِنَا
فَأَنْفَخْ بِنَا نَخْوَةً يَجْمَعُ أَوَاصِرَنَا
أَبْنَاءَ بَابِلَ أَفْنَتَهُمْ مَا ثَمَّهَا

وَسَيِّدَ الْمُصْلِحِينَ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
مَا أَوْلَدَ الْعِزُّ غَيْرَ السَّادَةِ الْحُشْمِ^{١)}
يُظَنُّهَا الْعَرَبُ مِنْ آلَاءِ بَعْضِهِمْ
وَلَمْ تَكُنْ بَغِيٍّ الْقَوْمِ بِالْبَرَمِ^{٢)}
رَأَتْ بِأَمْثَالِهِ سِرْبًا مِنَ الْغَنَمِ
فَأَنْتَ تَفْعَلُ بِالْأَرْوَاحِ كَالْحُشْمِ^{٣)}
رَعَى الْأَبَ الْمُسْتَفِيقَ الْبَاكِي مِنَ الْيَتَمِ
فَقَدْ الْكَرَّمَ عَيْنِي حُبَّ الْخَيْرِ وَالشَّمِ
بِهَا تَفَرَّدْتَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ قَدَمِ
رَايَاتِهِ ظَلَّ فِينَا غَيْرَ مُنْفَصِمِ^{٤)}
وَالْوُدَّ حَبْلٌ فَإِنْ تَصَرَّمَهُ يَنْصَرِمِ
وَالصَّدَّ يَلْقَى بِالْأَرْوَاحِ كَمَا لِرَشْمِ^{٥)}
كَأَنَّهُمْ عَنْ نِدَاءِ الْحَقِّ فِي صَمَمِ ؟
هُوَّى ، فَأَمْسَى عَزِيزُ الْقَوْمِ كَالْحَطَمِ^{٦)}
وَأَبْعَثْ بِنَا هِمَّةً يَا بَاعِثَ الْهِمَمِ
وَأَلْ فِرْعَوْنَ مَا شَادُوا سِوَى الْهَرَمِ

(١) الحشم : جمع حشيم . (٢) البرم : المتأفف الملول . (٣) الحسم : مشاهير الأطباء . (٤) يثرب : المدينة المنورة ، وقد آخى الرسول (ص) بين أغنيائها وفقرائها . (٥) الرشم : الأثر والعلامة . (٦) الحطم : المتكسر في نفسه .

وَتَدْمُرُ وَمَغَانِيهَا غَدَتْ خَرَبًا
يَا لَيْتَ مَنْ شَيَّدُوهَا لِلْغَنَاءِ رَأَوْا
زَالُوا وَزَالَتْ مَعَ الْآثَارِ عِزَّتُهُمْ
وَالْمُصْطَفَى خَالِدٌ فِي النَّاسِ مَا بَرَّغَتْ

٦

يَا أَيُّهَا الْعَرَبُ الْمَأْثُورُ مَجْدُهُمْ
أَيُّصْبِحُ الْخَيْرُ شَرًّا ، مِنْ تَخَاذُلِنَا
إِنَّ السَّكْرَامَةَ تَأْبَى أَنْ نَذِلَّ وَلَمْ
فَلَسْتَ جَمِعُوا أَمْرَكُمْ فَاللَّهُ وَحْدَكُمْ
وَشَرَعُ أَحْمَدَ بِالْقُرْآنِ هَذَّبَكُمْ
يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْفَخْرُ فَخْرُكُمْ
فَأَيَّدُوا بِالْفِعَالِ الْفُرَّ دِينَكُمْ
مَا الدِّينُ إِلَّا هَوَى فِي نَفْسٍ عَاشِقِهِ
سَيَّانٍ يَأْقُومُ مَنْ يَقْضِي بِلَا أَمَلٍ
صُوفِيَّةٌ أَذْرَكَتْهَا النَّفْسُ فَاَنْصَرَفَتْ
فَأَسْتَهْدَ بِالرُّوحِ فِي الْأَفْلَاكِ وَأَهُوَ كَمَا

مَا فَازَ بِالْمَجْدِ شَعْبٌ شِبْهُ مُخْتَصِمٍ
وَنَعْتَدِي نُهْبَةً الْغُرَبَانِ وَالرَّخْمِ ؟
نَهَضِمُ حُقُوقَ الْوَرَى كَالْهَائِجِ الضَّرِمِ^(١)
وَالْمَسْكُرُ فَرَّقَكُمْ فِي حَوْمَةِ الْجُسْمِ^(٢)
وَجَدَّ فِي أَمْرِكُمْ بِالْحُبِّ وَالسَّلَمِ^(٣)
وَنَحْنُ إِخْوَانُكُمْ فِي النُّطْقِ وَالْعِلْمِ^(٤)
فَقِيَمَةُ الْحُبِّ عِنْدِي أَعْظَمُ الْقِيَمِ
وَمَنْ يَبِيعْ بِالْهَوَى يَوْمَ النَّوَى يَلِمُ
وَمَنْ يَنَالُ الْمُنَى فِي عَالَمِ الْعَدَمِ
عَنِ الدُّنْيَا وَمَنْ يَهُوَ الْعُلَى يَصُمُ^(٥)
تَهْوَى الْمَلَائِكُ وَجْهَ اللَّهِ وَأُسْتَقِمُ

(١) الإرم : الحجارة المنصوبة للدلالة . (٢) الضرم : الجائع ، ويراد به المستعمر . (٣) الجسم :
الأموال الجسام ، جمع جسم . (٤) السلم : لاسم من السلام . (٥) العلم : الراية . (٦) يصم : يمتنع .

وَقُلْ لِمَنْ أَذْمَتِ الْاَهْوَاءُ مُهْجَتَهُ
رَمَتْ فُؤَادِي بِسَهْمِ الْحُسْنِ فَاتَمَّةٌ
نَدَّتْ اَنَاشِيدُهُ نِيرَانِ لَوْعَتِهِ
إِنْ لَمْ يُخَلِّدْ فُؤَادِي الْحُبُّ فَالْتَمَسِي
عَلَّ الْمَنِيَّةُ تَنْسَانِي كَمَا نَسِيتُ
أَمَّا أُكْتَفَيْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِمُحِبِّهِمْ ؟
فَأَعْجَبُ لَصَبِّ جَرِيحِ ثَابِتِ الْقَدَمِ
فَفَرَّجَتْ عَنْ عَلِيلِ بِالْجَمَالِ رُمِي
يَا نَفْسُ كَهْفًا يَبْطِنُ الْأَرْضِ وَأُعْتَصِمِي
عَرَائِسُ الْبَحْرِ صَيْدَ النَّسْرِ فِي الْقِمَمِ ١)

٧

يَا نَفْحَةً مِنْ جَنَّاتِ الْخُلْدِ سَارِيَةً
إِنِّي مُحِبٌّ وَمُحَبَّبٌ وَلَوْ زَعَمُوا
فَالنَّاسُ مِنْ آدَمٍ بِالْمُصْطَفَى اجْتَمَعُوا
يَا أَجْمَلَ الْخَلْقِ سِيَمَاءَ ، وَأَظَرَفَهُمْ
عَشِقْتُ مِنْكَ صِفَاتٍ جَلَّ مُبْدِعُهَا
يَرْنُو فَيَمْنَحْنَهُ وَحِيًّا يُخَلِّدُهُ
وَرُبَّ نَجْمٍ مُنِيرٍ يَسْتَفِي بِكُمْ
وَحُسْنُ مُشْعَرِي بِكُمْ مِنْ شَمْسِكُمْ قَبَسُ
فَإِنْ أَجَدْتُ بِهِذَا الطَّلَّ مَدَحَكُمْ
حَيَّاكَ رَبِّي بِآيَاتٍ مُفَصَّلَةٍ
كَالْوَرْدِ يُلْثَمُ فِي الْأَسْحَارِ مِنْ أَمَمٍ ٢)
أَنَّ الْمَحَبَّةَ بِالْأَنْسَابِ وَالرَّحِمِ
وَشِرْعَةُ الْحُبِّ أُمُّ النَّاسِ فَأَتِمِّمْ
طَبْعًا وَأَوْفَاهُمْ بِالْعَهْدِ وَالذِّمِّ
كَالْعِيدِ تَفْتِنُ لُبَّ الشَّاعِرِ الْفَهْمِ
وَرُبَّ حُبٍّ مُثِيرٍ جَاءَ بِالْعَظَمِ
«فَأَنْتُمْ الشَّمْسُ لَمْ تُدْرِكْ وَلَمْ تُرَمِ» ٣)
وَالنَّبْعُ مَا سَالَ لَوْ لَا صَيَّبُ الدِّيمِ ٤)
فَكُلُّ مَعْنَى بِكُمْ كَالْهَاطِلِ الْعَرِمِ
وَالنَّاسُ أَعْجَزُ عَنْ إِدْرَاكِ رَبِّهِمْ

(١) القمم : الأعالي . (٢) امم : قرب . (٣) عجز البيت : للشيخ نجيب الحداد . (٤) الدِّيم : جمع ديمة ، وهي المطر المدرار .

لَكِنَّهَا صُورَةٌ بِالشَّعْرِ أَرْسُمَهَا لَأَمْسَجِرَ بِهَا إِنَّ بَيْتُ كَالْحُلُمِ
يَا هَادِي الْفِكْرِ أَهْدَاهُ إِلَهُ إِلَى عِبَادِهِ مِنْهُ مِنْ فَضْلِهِ الْعَمَمِ
إِنْ يَمْدَحُوكَ بِأَيَاتٍ مُنْمَقَةٍ فَأَنْتَ تَفَرِّقُ قُلُوبِي عَنْ قُلُوبِهِمْ
تَبَارَكَ اللَّهُ لَوْ شَاءَتْ مَرَاحِمُهُ لَشَعَّ نَوْرُكَ بَيْنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
إِنْ لَمْ تَكُنْ بِوَكِيلٍ فَاشْفَعَنَّ لَنَا بِحَقِّ تَرْدِيدِنَا التَّوْحِيدَ فِي الْحَرَمِ^١

* * *

صَلَّى إِلَهُ عَلَى نَحْيَاكَ فِي مُهَجٍ تَحْيَا بِهَا كَحَيَاةِ النُّورِ فِي السُّدُمِ^٢
صَلَّى إِلَهُ عَلَى مَثْوَاكَ مَا صَدَحَتْ وَرَقَاءُ أَوْ هَيَنْمَتْ عِطْرِيَّةُ النَّسَمِ
صَلَّى إِلَهُ عَلَى ذِكْرَاكَ مُمْتَدِّحًا حَتَّى تَوْثَّمَ صَلَاةَ الْبَعَثِ بِالْأُمَمِ

١٩٥١



(١) قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ، فن اهتدي فانما يهتدي لنفسه ، ومن ضل فانما يضل
عليها وما انا عليكم بوكيل (يونس ١٠٨) (٢) السدم : جمع سديم ، حيث تتكون النجوم .

زَهْرُ الرَّبِّي

يَا هُدَى ! قُومِي أَنْظُرِي زَهْرَ الرَّبِّي عِنْدَ الصَّبَاحِ
إِنَّهُ أَحْلَامُ نَفْسِي لَبِسَتْ ذَاكَ الْوِشَاحِ
ثُمَّ غَنَّتْ لِلرِّيَّاحِينَ أَنَاشِيدَ الرِّيَاضِ
وَتَشَنَّتْ كَالْكُنَّارِيِّ بِسِيقَانِ مِرَاضِ

تِلْكَ أَزْهَارُ الرَّبِّي رَمَزُ زَوَالِ وَأَهْتِاجِ
أَهْمَلُوهَا فِي الْبَرَارِي بَيْنَ أَشْوَكِ السِّيَاجِ
وَهِيَ أَبْهَى مِنْ سُلَيْمَانَ بَدَا فِي مَجْدِهِ
إِنَّهَا الشَّعْرُ الَّذِي نَاغَى الْهَوَى فِي مَهْدِهِ

* *

فَإِذَا أَغْفَتَ عَلَى صَدْرٍ وَوَافَلَهَا الذُّبُولُ
أَيَقِنَ الْمَفْتُونُ أَنَّ الزَّهْرَ أَوْهَامُ تَزُولُ
وَكَيْفَ كَانَ الْعِطْرُ ، وَهُوَ الزَّهْرُ فِي عُرْفِ الْأَبْدِ
عَلَّمَ الْأَوْهَامَ أَنَّ تَلْبَسَ فِي الرُّؤْيَا جَسَدُ

إِنَّهَا الدُّنْيَا ، كَأَحْلَامٍ يَرَاهَا النَّاسُ نَامُونَ
 سَيَظَرُ الْوَهْمُ عَلَيْهَا وَأُطْمَأَنَّ الْعَابِسُونَ
 وَنَدَى الْوَهْمِ الَّذِي وَلَدَ فِي نَفْسِي الطُّمُوحُ
 بَاحٌ بِالسِّرِّ لِأَزْهَارِي ، وَمِثْلِي لَا يَبُوحُ
 فَتَعَرَّى الْأَمَلُ السَّاهِي لَدَى السِّرِّ الْعَظِيمِ
 وَتَعَالَى مِنْهُ نُورٌ بَدَدَ الْإِيْلَ الْبَهِيمِ
 فَتَمَثَّلْتُ فُؤَادِي فِي ذُرَى الْحُبِّ يَطِيرُ
 وَأَمَانِي الْحُبُّ كَالشَّيْبِ لَهَا عُمْرٌ قَصِيرُ
 أَمَلٌ حَاشَ كَطَيْفٍ وَمَضَى مِثْلُ الظَّلَالِ
 أَيْتَهُ ظِلٌّ مُقِيمًا وَنَفَى عَنَّا الْمَلَالِ
 فَاتَّخَذْنَا مِنْهُ ظِلًّا وَتَحَدَّيْنَا الْمَنُونَ
 يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ لَا وَلَا نَجَّى بَنُونَ
 يَوْمَ يَلْقَى الْمَرْءُ مَا يُضْنِي وَلَا صَوْتٌ يُجِيبُ
 فَيُنَادِي بِالتَّيَاعِ هَلْ أَرَى طَيْفَ الْحَيِّبِ؟
 فَإِذَا الْأَمَالُ وَلَّتْ وَقِطَارُ الْأَنْسِ سَارُ
 هَيَّا الْعَاقِلُ خَيْرَ الزَّادِ وَأَحْتَلَّ الْقِطَارُ

سَفَرٌ ، كُلُّ خَيْرٍ لَمْ يَسَافِرْ مِثْلَهُ
إِذْ يَحْنُ الْمَرْءُ لِلْأَرْضِ الَّتِي حَنَّتْ لَهُ

وَهُنَا أَصْبَحْتُ لَحْنًا لَيْسَ يَحْوِيهِ مَكَانٌ
لَمْ يَزَلْ حَيًّا بِأَسْمَاعِ الْوَرَى طُولَ الزَّمَانِ
وَهُوَ فِي الْأَفْلَاكِ لَاهٍ عَنْ أَغَانِي الْعَاشِقِينَ
أَيْنَ أَهْوَاءِ الْبَرَايَا وَخَيَالَاتِ السَّنِينَ؟

لَيْسَ لِلْفَنِّ نَصِيرٌ لَيْسَ لِلشَّعْرِ عَرُوسٌ
عَاشِقُ الرُّوحِ فَقِيرٌ وَمُنَى النَّاسِ فُلُوسٌ
وَقِوَامُ الْعَدْلِ إِزْهَاقُ حُقُوقِ الضُّعَفَاءِ
لَوْ مَنَحْنَا الضُّعْفَ سَيْفًا لَأَذَلَّ الْأَقْوِيَاءُ

وَلَا ضَحَى الْعَبْدُ حُرًّا وَأُنْقَضَتْ دُونَ جِدَالِ
دَوْلَةِ الْمَالِ الَّتِي جَارَتْ وَشَارَفْنَا أُلْكَمَانَ
أَتُرَى صِرْنَا عَبِيدًا لِضَلَالَاتِ الْعِبَادِ
أَمْ تُرَى خُلِدَ فِي الدُّنْيَا أَمْرُؤُ سَادَ وَشَادَ؟

عَبَثًا نَرْجُو نَعِيمَ الرُّوحِ فِي آفَاقِهِ
وَضَحَايَا الْبُؤْسِ مَا زَالَتْ عَلَى إِمْلَاقِهِ

إِنَّ مَنْ يَشْتِاقُ نَوْرَ الْفِكْرِ فِي أَفْلَاكِهِ
يُنْقِذُ الْوَرْدَ الْمُنَى مِنْ أَذَى أَشْوَاقِهِ

فَاذْكُرِي يَا نَفْسُ مَا أَسْتَهْوَاكِ مِنْ زَهْرِ الرَّبِّي
حُسْنُهُ أَمْسَى زَوَالاً وَهُوَ فِي شَرْخِ الصَّبَا

إِنَّ مَنْ يَهْوَى جَمَالَ الشَّكْلِ يَذْري مُنْتَهَاهُ
وَالَّذِي يَهْوَى جَمَالَ الرُّوحِ لَا يَذْري مَدَاهُ

صَانِكَ الْمَوْلَى بِفَضْلِهِ وَتَوَلَّاكَ هُدَاهُ
تَسْتَظِلُّينَ بِظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ سِوَاهُ

١٩٥٠

الشَّاعِرُ الْمَلْهُم

أَبْصَرُوهُ فَلَمْ يُكْرِمُوهُ ، سَمِعُوهُ فَلَمْ يَأْبَهُوْا لَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ

الشَّعْرُ عَاطِفَةٌ بِرُوحِكَ تَلْمَعُ وَالْحُبُّ أَزْهَارُ بِرَوْضِكَ تُمْرَعُ
وَمَرَامُ نَفْسِكَ أَنْ تَرَى مَا لَا يُرَى وَتُذِيعَ بَيْنَ النَّاسِ مَا لَمْ يَسْمَعُوا
تَهْوَى الْحَقِيقَةَ وَالظَّلَامُ يَحْفُفُهَا لَا الْفَجْرُ لَاحَ ، وَلَا الْكَمَانَةُ تَنْفَعُ
أَتُصِيبُ مَا حَجَبَ الظَّلَامُ مِنَ الرُّؤْيِ وَسِرَاجُ غَيْرِكَ فِي الظَّهِيرَةِ يَخْدَعُ
يَا شَاغِلَ الدُّنْيَا بِقُوَّةٍ وَحْيِهِ إِنَّ الْعَصِيَّ عَلَى بَيَانِكَ طَمِعُ

رَفَقًا بِآيَاتِ الْبَلَاغَةِ وَالنُّهْيِ
 وَكَفَالًا فَخْرًا أَنْ تَظَلَّ مُحَلَّقًا
 لَوْ كَانَ أَهْلُ الرَّأْيِ مِثْلَكَ لَمْ يَسُدُّ
 هَا مِنْ رَجَانِ الْفِكْرِ يُرْسِلُ نَوْرَهُ
 يَا قَاضِيَ الْفَنِّ الْجَمِيلِ وَبَاعِثَ
 أَنْتَ الْمُصِيبُ إِذَا الْعُقُولُ تَطَاخَنَتْ
 تَتْلُو بَيَانَكَ مِثْلَمَا يُتْلَى الْهُدَى
 فَكَأَنَّ مَجْدَكَ فِي الثَّرِيَّا مُشْرِقٌ
 وَكَأَنَّ فَنَّا فَخْرُ كُلِّ مُوَاطِنٍ
 وَالْفَوْزُ حَظُّ الْعَامِلِينَ فَمَا الْعُلَى
 وَالْمَجْدُ عَاقِبَةُ الْمَجْدِ فَلَيْتَ لِي
 عَمَلٌ لِمَجْدِ اللَّهِ يُرْجَى نَشْرُهُ
 لَا عِشْتُ فِي زَمَنِ إِذَا ضَاعَتْ بِهِ
 فَالْجَهْدُ خَلَدَنِي وَبَيَّضَ صَفْحَتِي
 إِنَّ خَطَا قَوْمٍ فِي الصُّخُورِ فَعَالَهُمْ
 وَارُبَّ مُفْتَنٍّ يُعْطَرُ أَمَّةً
 دُنْيَا الْمَخَافِ لَا تَدُومُ فَكُلُّنَا

آيَاتِكَ الْجَلِيَّةُ أَلَذُّ وَأَنْصَعُ
 وَكَفَى شُهُودَكَ أَنَّ نَجْمَكَ يَسْطَعُ
 بَاغٍ وَلَا حَكَمَ الْوَرَى مُتَصَنِّعُ
 وَإِمَامُهُ الْحَبْرُ الْجَلِيلُ الْأَرْوَعُ
 الْمَجْدُ التَّلِيدُ بِحُجَّةٍ لَا تُدْفَعُ
 مَا ضَرَّ رَأْيِكَ أَنْ يَضِلَّ الْمَجْمَعُ
 أَثَرًا عَلَى الدُّنْيَا ، وَمِثْلَكَ يُبْدِعُ
 وَإِلَيْكَ إِنْ حَارَ الْهُدَاةُ الْمَرْجِعُ
 كَالْبَدْرِ يَسْرِي وَالْعُرُوبَةُ تَتَّبِعُ
 إِلَّا الْجِهَادُ ، وَمَا الْحَيَاةُ تَوَجَّعُ
 أَيَّامٌ أَبْدَعُ مِنْ لِحَاقِي يَشْفَعُ
 جَلَّ النَّدَاءُ ، وَقَلَّ مَنْ يَتَطَوَّعُ
 قِيمُ الْجَمَالِ وَأَفْلَحَ الْمُتَبَرِّقُ
 حُبُّ الْفُنُونِ وَمَنْ بِهِ لَا يَقْنَعُ ؟
 فَالْفَنُّ أَدْعَى لِلْخُلُودِ وَأَمْتَعُ
 عَصَفَتْ بِرَوْضَتِهِ الرِّيحُ الْأَرْبَعُ
 خَبْرٌ يُذَاعُ ، وَوَحْدَةٌ تَتَفَرَّعُ

أَجْمَعْتُ أَنْ أَحْيَا لِعِزَّةِ أُمَّتِي
 قَسَمًا بِرُوحِ الْفَنِّ مَا مِنْ رَوْعَةٍ
 أَضْنِي فُؤَادِي أَنْ أَعِيشَ مُنَاضِلًا
 لِكِنَّ عَزَمِي فَوْقَ كُلِّ مُلَمَّةٍ
 إِنَّ الطَّبِيعَةَ بِالضِّيَاءِ ضَمِينَةٌ
 يَا بَنَ الْكَرِيمَةِ وَالْكَرِيمِ كِفَاكَ مِنْ
 أَنْعَشْتَ أَفْنِدَةَ الْعِبَادِ وَنَوَّرْتَ
 فَهَفَا لِصَوْتِكَ قَلْبُ كُلِّ مُفَكِّرٍ
 فَرَأَوْكَ وَحَدَّكَ لَا وَرَاءَكَ فَيَلْقُ
 وَمِنْ الْمَوَاقِفِ مَا تَشِيبُ لَهُوْلَهُ
 فَتَوَهَّمُوكَ مِنَ الْأَسَاطِيرِ الَّتِي
 وَتَهَيَّبُوا فِيكَ النُّبُوغَ وَأَكْبَرُوا
 أَنْتَ الَّذِي مَا زِلْتَ تُعْلِنُ صَارِخًا :
 لِلْفَقْرِ حَدٌّ كَالْتَرَاءِ ، فَعِنْدَمَا
 فَإِذَا مَقَالُكَ مَاسَةً بِرَاقَةٍ
 وَالنَّصْرُ حَظُّكَ فِي الْخَنَامِ فَلَا تَخَفْ
 لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا اضْطَرَبَتْ وَلَا

وَالْغَافِلُونَ عَلَى الْمَطَامِيعِ أَتَجَمَعُوا
 إِلَّا أَتَيْتُ بِهَا فَلَمْ يَتَوَرَّعُوا
 أُعْطِيَ الْوَرَى نُورِي ، وَدَهْرِي يَمْنَعُ
 وَصُرُوحُ أَفْكَارِي أَعَزُّ وَأَمْنَعُ
 وَلَعَلَّ نَوْرَ الْمُسْلِمِينَ تَبْرُعُ
 أَوْهَامِ دَهْرِكَ عِطْرُكَ الْمُتَضَوِّعُ
 أَرْجَاءُ نَفْسِكَ بَارِقَاتُ لَمَعُ
 وَإِذَا بِقَوْمٍ أَنْصَتُوا وَتَطَلَّعُوا
 يَرْمِي النَّبَالَ وَلَا أَمَامَكَ مِدْفَعُ
 لِمَسْمُومِ الشَّبَابِ وَيَرْهَبُ الْمُتَدَرِّعُ
 فَاضَتْ جَدَاوِلُهَا وَغَابَ الْمَنْبَعُ
 وَحَيًّا يَفِيضُ بِهِ الْخَيَالُ الْمُبْدِعُ
 حَقُّ الضَّعِيفِ لَدَى الْقَوِيِّ مُضِيعُ
 تَقِفُ الْمَطَامِيعُ لَنْ تَسِيلَ الْأَدْمَعُ
 لَقِيتَ زُجَاجَهُمْ فَرَاحَتْ تَقَطُّعُ
 أَنْتَ الْمُنْظَمُ وَالْحَكِيمُ الْأَبْرَعُ
 عِيشُ يَلَدُ إِذَا أُعْتَرَاهُ نَصْدَعُ

وَالْعُمْرُ مُحْدُودٌ ، وَمَالُكَ مَا اشْتَرَى
مَا ضَرَّ أَهْلَ الْأَرْضِ أَنْ يَتَعَاوَنُوا
يُغْنِيكَ عَنْ قَتْلِ الْمُسِيِّ صَدَاقَةٌ
فَلَقَدْ تُصِيبُ الْعَادِيَاتُ رُبْعَنَا
إِنْ كُنْتَ تَدْرِي مَا الْحَيَاةُ فَلَا تَكُنْ
ذَهَبَتْ هِيَ كُلُّ بَعْلَبِكَ وَأَهْلِهَا
يَا لَيْتَهُمْ تَخِذُوا الْإِخَاءَ شِعَارَهُمْ
تَتَكَسَّرُ الْأَمْوَاجُ دُونَ جَلَالِهِ
وَالنَّاسُ مِنْ خَوْفِ الصَّدَامِ نَعَامَةٌ
ضَاقَتْ بِهِ الدُّنْيَا كَأَنَّ رِحَابَهَا
وَمَضَتْ عَنَادِلُ رَوْضِنَا فَأَحْتَلَّهُ
وَالْمَرْءُ لَا يَنْفَكُ عَنْ أَهْوَائِهِ
نَهَوَى السَّلَامَةَ ، وَالْعَدَالَةَ تَقْتَضِي
وَكَأَنَّ عُشَّاقَ السَّلَامِ مَرَاكِبُ
وَالرِّزْقُ يُلْقَى فِي الْبَحَارِ سَفَاهَةً
أَيْنَ الْعَلِيمِ بِطَبِّ أَوْجَاعِ الْوَرَى
وَالْحَرْبُ تُقْنِي الْعَالَمِينَ فَلَا تَكُنْ
يَوْمًا يُضَافُ ، وَلَا دَوَاءٌ يَنْجَعُ
فَلَحَقَ يَزَارُ وَالذُّهُورُ تَلْعَلِعُ :
وَعَنِ التَّفَرُّقِ ، جِيرَةٌ وَتَجَمُّعُ
وَنِظَامُ هَذَا الْكَوْنِ قَدْ يَتَزَعَّزَعُ
كَالْجَائِلِينَ تَسَاءَلُوا : هَلْ نَرْجِعُ ؟
وَكَأَنَّ مَنْ نَظَرُوا الْخَرَائِبَ لَمْ يَعُوا
فَهُوَ الْمُهَذَّبُ وَالْخَطِيبُ الْمِصْقَعُ
فَيَزُولُ قَبْلَ الطَّامِعِينَ الْمَطْمَعُ
وَالْحُرُّ عَنْ حُبِّ الْأَذَى يَتَرَفَّعُ
لِبَنِي الْمَطَامِعِ وَالنَّقَائِصِ مَرْتَعُ
بَعْدَ الْمُغْنَيْنِ الْغُرَابُ الْأَبْقَعُ
حَتَّى يَنْقِيَهُ النَّظَامُ الْأَرْفَعُ
إِصْلَاحَ أَنْفُسِنَا ، فَهَلَّا نَسْمَعُ !
مَوْجٌ يَحُطُّ بِهَا وَمَوْجٌ يَرْفَعُ
وَالْقَوْمُ مِنْ غَرَقِ الْمَرَاكِبِ رُوعُوا
فَالْعِلْمُ يُخَيِّ وَالْجَهَالَةُ تَصْرَعُ
يَمِّنُ بِالْأَمْرِ الْوَرَى يَتَمَتَّعُ

« وَإِذَا حَصَلْتَ مِنَ السَّلَاحِ عَلَى الْبُكَاءِ
بِئْسَ الْمَصِيرُ مَصِيرُ مَنْ لَا يَرْعَوِي
فَحْشَاكَ رُعْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَقَرُّعُ »^{١)}
حَتَّى يُفَاجِئَهُ الْقَضَاءُ الْمُفْجِعُ

إِنَّ السَّلَامَ الْعَالَمِيَّ هَوَىٰ بِهِ
كَالشَّمْسِ تُرْسِلُ نُورَهَا فَيَنَالُهُ
عَدْلٌ يُدَاسُ ، وَسُلْطَةٌ لَا تُرَدُّعُ^{٢)}
مَنْ يَعْْبُدُ الْمَوْلَىٰ وَمَنْ يَتَمَنَعُ^{٣)}

١٩٤٨

حَدِيثُ رُوح

طِلَابُ الْخُلْدِ حَرَّرَ كُلَّ وَاعٍ
وَطَبَعَ الرُّوحَ يَنْفِرُ مِنْ قُبُودٍ
وَلَيْسَ الْجِسْمُ سَارَ إِلَىٰ انْحِطَاطٍ
فَخُذْ مِنْ حِكْمَةِ الْأَيَّامِ زَادًا
وَقِفْ نَبْثُ شَكَاوَانَا وَنَبْثُ
صَوَابِي ! إِنِّي مَازَنْتُ أَحْيَا
أُنَاجِيكُمْ عَلَى أَمْوَاجِ رُوحِي
فَإِنَّ الْهَيْكَلَ الْمَنْظُورَ فَإِنْ
وَعَشَقُ الْأَرْضِ قَيْدَ كُلِّ سَاعٍ
وَطَبَعَ الْجِسْمِ يَقْضِي بِأَنْصِياعٍ
كَمِثْلِ الرُّوحِ سَارَ إِلَىٰ أَرْتِفَاعٍ
وَدَعِ دُنْيَاكَ جُهْدَ الْمُسْتَطَاعِ
عَنِ الْجَسَدِ الدَّفِينِ بِقَيْدِ بَاعٍ
وَلَيْلُ الرَّمْسِ لَمْ يَحْجُبْ شُعَاعِي
وَإِنْ عَافَتْ يَدِي حَمَلَ الْيَرَاعِ
وَإِنَّ الْهَيْكَلَ الرُّوحِيَّ وَاعٍ

(١) البيت الغنائي . (٢) كهيئة الأمم المتحدة مثلاً . (٣) من يخضع للحق ومن يتمرد عليه .

وَمَا نَفَعُ الْحَيَاةَ إِذَا تَسَاوَى
 رِبَاعُ الْخُلْدِ يَمْلَأُهَا جَمَالٌ
 فَمَا هَبَّتْ بِهَا النَّسَمَاتُ إِلَّا
 حَدَائِقُ بِهِجَةٍ فَاضَتْ نَعِيمًا
 فَلَا تَأْسَفُ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا
 أَلَيْسَ الْمَالُ وَالْأَطْمَاعُ شَرًّا
 أَلَيْسَ بَنُو السَّمَاءِ بَنِي أَيْكُمُ ؟
 بَنُو حَوَاءٍ مِنْ مَاضٍ وَآتٍ
 وَدُنْيَاكُمْ كَمَلَهِيَ لَيْسَ فِيهِ
 تَرَاتٍ فِيهِ أَطْيَافُ الْأَمَانِي
 مَتَاعُكَ مِنْ مَبَاهِجِ زَائِلَاتٍ
 وَمَنْ تَرْضِيهِ أَسْبَابُ الدُّنْيَا
 فَلَا تَكُ كَالْأُلَى تَحْمُوا لَدَيْكُمْ
 وَلَا تَحْفِلُ بِفَانِي الْمَلِكِ تَغْنَمُ
 وَقُلْ لِلرُّوحِ إِنَّ سَارَتْ بِوَادِي
 « فَإِنَّكَ إِنْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ

مَصُونُ السَّرِّ بِالْخَبَرِ الْمُدَاعِ ؟
 مِنَ الْأَنْوَارِ مُزْدَهَرُ التَّلَاعِ
 عَلَى أَنْعَامِ هَاتِيكَ الرَّبَاعِ
 وَأَوْدِيَّةٌ خَلُوفٌ مِنَ الْأَفَاعِي
 شَهِدْتَ مَجِيَّ خَاتِمَةِ الْمَسَاعِي
 سَيَبْتَلِعُ الْوَرَى شَرًّا أُبْتَلَاعُ ؟
 وَكَانُوا قَبْلَكُمْ أَسْرَى الْخِدَاعِ
 كَرُّ كِبَابٍ تَسِيرُ إِلَى اجْتِمَاعِ
 سِوَى صُورِ النِّقَائِصِ وَالنِّزَاعِ
 مُحَلَّقَةٌ كَأَطْيَافِ سِرَاعِ
 غُرُورٍ لَنْ يُودَّيَ لَاتُفَاعِ
 كَمَنْ تُفْنِيهِ أُنْيَابُ السَّبَاعِ
 فَبَاتُوا عِنْدَنَا مِثْلَ الْجِيَاعِ
 فَدَارُ الْخُلْدِ كَالْمَلِكِ الْمُشَاعِ
 ظِلَالِ الْمَوْتِ : وَيُنْحَكِ لَا تُرَاعِي
 عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي »

وَمَنْ حَسِبَ انفِصالَ الرُّوحِ هَوَلاً
فَقَدْ عَابَ المَنُوبَ وَلَمْ يُوقَفْ
سَيِّئُهُمْ مِنْ مُقَارَعَةِ اللَّيَالِي
وَكَمْ رَأَيْ تَأَصَّلَ كَأَعْتِقَادِ
وَرَأَيْ خَالَهُ وَهَمَّ فَأَضْحَى
فَلَا تَفْخَرْ بِبَاسٍ أَوْ بِمَالٍ
وَقُلْ يَا رَبِّ ! أَنْقِذْنِي فَإِنِّي
مَشَى خَيْرُ الرُّعَاةِ عَلَى بَقَايَا
وَكَمْ حَمَلٍ يَرَى السَّكِينِ بَرّاً
حَنَانِكَ رَبَّنَا ! وَأَعْطِفْ عَلَيْنَا
أَلَمْ تُبْدَعْ وَرَاداً ذَاتَ شَوْكِ
فَهَلْ عُدْتُ مَزَايَاهَا ذُنُوباً
كَذَاكَ الْمَرْءُ يُولَدُ بِالْخَطَايَا
وَيَخْضَعُ لِلْمُقَدَّرِ وَهُوَ يَشْكُو
فَيُمْسِي يَابِساً كَأَخِي جِهَادٍ
وَلَيْسَ يَضِيعُ مِثْقَالُ فَتَخْشَى
كَأَنَّ الشَّخْصَ طَيْفٌ مِثْلُهُ

وَعَاتَبَ صَاحِبَ الْأَمْرِ الْمُطَاعِ
لِفَهْمِ الْقَصْدِ مِنْ هَذَا الصَّرَاحِ
وَيَسْأَلُ مِنْ مُدَامٍ أَوْ سَمَاعِ
يُبَدِّلُهُ أَنْفَى عِنْدَ النَّزَاعِ
يُسِيرُ رَوْحَهُ مِثْلَ الشَّرَاحِ
فَمَا أَغْنَاكَ عَنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ
أَرَى نَفْسِي كَشَاةٍ فِي الْمَرَاغِ
قَطِيعِ خَالٍ فِيهِ خَيْرٌ رَاحِ
وَيَحْمَارُ ضَارِعاً فِي كُلِّ دَاعٍ :
فَمَنْ يَمْلِكُ يُسَامِحُ أَوْ يُرَاعِ
وَلَيْلَا ذَا أَفْتِرَارٍ وَالْتِمَاعِ
أَمْ أَلَسَقَتْ بِحُكْمٍ وَأَبْتِدَاعٍ ؟
فَتَمْتَرِجُ الْغَرَائِزُ بِالطَّبَاعِ
تَصَارِيفَ الْحَيَاةِ بِلا انْقِطَاعِ
يَرَى أَعْمَالَهُ دُرّاً بِقَاعِ
وَلَوْ أَخَفَّتْهُ أَسْوَارُ الْقِيَالِ
عَلَى الْأَسْتَارِ الْحَنَانُ الْوَدَاعِ

يُغَادِرُ دَارَهُ ، وَالْخُلْدُ أَبْقَى ،
وَمَا رِبْحُ الْغِنَى الرُّوحِيَّ إِلَّا
وَمَنْ يَهْمِلُ فَعَالَ الْخَيْرِ يَحْصِدُ
أَعْيُذُكَ أَنْ تَظُنَّ الْخُلْدَ مِلْكَاً
فَرَبُّكَ حَدَدَ الْأَعْمَالَ أَسَا
فَلَا خَوْفٌ مِنَ الْآفَاتِ فِيهَا
وَلَا قَلْبٌ يُبَاعُ وَلَا دُمُوعُ
وَلَا طَمَعٌ وَلَا أَلَمٌ أَحْتِيَاجُ
هُنَا يَخْنُو التَّقِيُّ عَلَى عَتِيٍّ
مَوَازِينُ يَحَارُّ الْعَقْلُ فِيهَا
إِذَا مَرَّتْ بِهَا الْأَرْوَاحُ لَاحَتْ
فَقَدْ شَبِعَ كُلُّ نَفْسٍ مِنْ هُدَاهَا
جَزَاكَ اللَّهُ عَنْ خَيْرٍ بِخَيْرٍ
فَلَوْلَا الرَّحْمَةُ الْمُظْمَى لَأَمْسَتْ
فَمَا شَعَرَ الْمُفَارِقُ بِالتَّبَاعِ
فَتَى طَلَبَ السَّكَمَ مِنَ الرِّضَاعِ
مِنْ اللَّذَاتِ غَائِلَةً الضِّيَاعِ
لِمَنْ بَاعُوهُ بَيْعاً بِالذَّرَاعِ
لِدَوْلَتِهِ بِمَدْلٍ وَاقْتِنَاعِ
وَلَا حَرْبٌ تُهَدَّدُ بِأَنْدِلَاجِ
وَلَا حُبٌّ يُكَانَأُ بِأَمْتِنَاعِ
وَلَا هُمْ أَرْتَحَالٍ وَأَصْطِرَاعِ
وَيُغْنِي الْفَهْمُ عَنْ سَيْفِ الشُّجَاعِ
تُخَالِفُ مَا أَلْفَتْ مِنْ أُسْتِرَاعِ
كَمَرَاتِهِ ، وَأَنْتَ عَلَى أُطْلَاعِ
وَأَيُّ هُدًى تَوْفَّرَ بِالتَّبَاعِ ؟
وَأَغْضَى إِنْ تَقَصَّرَ فِي الدَّفَاعِ
جِنَانُ الْخُلْدِ كَالْأَمَلِ الْمُضَاعِ

١٩٤٦



ذِكْرُ الْمُتَنَبِّي

في مهرجانه الألفي ، الذي أقيم في دمشق سنة ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م .

سَلَامٌ عَلَى ذِكْرِ الْعُلَى سَالِفِ الْعَهْدِ
وَيَبْعَثُ فِينَا نَفْحَةً يَعْزِيَةً
وَيَجْمَعُ أَبْنَاءَ الْعُرُوبَةِ نُطْقُهُمْ
وَكَمْ مُرْتَقَى صَعَبِ الْمَسَالِكِ مُوهِنِ
فَلَا تَحْسَبُوا الْأَيَّامَ أَمَلَتْ مُرَادَهَا
تُنَادِي بِهَذَا الشَّعْرِ عِزَّةَ أُمَّةٍ
كَأَنَّ الضَّنَى وَقَفَتْ عَلَيْهَا لِأَنَّهَا
فَتَلَمُعُ فِي تِلْكَ النُّفُوسِ كَرَامَةٍ
لَتَنْ تَتَحَدَّ نَمْلِكَ وَلَيْسَ يَصُدُّنَا
فِيَا بِهِجَةَ الدُّنْيَا إِذَا انْضَمَّ شَمْلُنَا
مَرَامٌ بِآذَانِ الشَّبَابِ دَوِيَّةُ
أَرَى كُلَّ قَصْدٍ قَاصِرٍ أَدُونِ قَصْدٍ مَنْ
وَأَبْقَى ثَنَاءً لَيْسَ تَبْلِي جَدِيدُهُ

فَإِنَّ أَذْكَارَ الْمَجْدِ يُذْكَرُ هَوَى الْمَجْدِ
فَتَقْضِي عَلَى دَاءِ التَّفَرُّقِ وَالْحَقْدِ^١
لِأَنَّ اللِّسَانَ الْحَيَّ خَيْرٌ مِنَ الْحَدِّ^٢
تَمَّهَدَ بِالْإِقْدَامِ وَالْمَبْدَأِ الصَّلْدِ
سَنَمَلِي عَلَيْهَا مَا تُكِنُّ وَمَا تُبْدِي
تُتَاوِئُهَا الدُّنْيَا فَتُضْنِي وَلَا تُرْدِي
تُهَيِّئُ مَاءَ الْوَرْدِ لِلْأَعْيُنِ الرُّمْدِ
كَمَا يَسْبِقُ الْإِبْرَاقُ دَمْدَمَةَ الرَّعْدِ
عَنَادُ ذَوِي الْأَطْمَاعِ أَوْ كَثْرَةُ الْجُمُودِ
وَشِدْنَا بِنَاءَ الْمُلْكِ بِالْعَدْلِ وَالْجِدِّ
وَحَقٌّ لِمَنْ يَسْعَى الْوُصُولُ إِلَى الْقَصْدِ
سَعَى لِلْمَعَالِي قَبْلَ سُكْنَاهُ فِي الْأَحْدِ
سُنُونُ بَلَغْنَ الْآنَ أَلْفًا مِنَ الْعَدِّ

(١) يعرب : ابن قحطان وبنوه العرب العاربة . (٢) الحد : ما يفصل بين الشيئين كحدود الدول .

إِذَا كَانَ طَيْبُ الذِّكْرِ سِرَّ خُلُودِنَا
 فَمَا الْمُتَنَبِّيُّ بَعْدَ ذَا الْيَوْمِ غَابِطُ
 وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ أَرْتَدَّ ذِكْرُهُ
 نَشَرْنَا عَلَى الدُّنْيَا طَرَائِفَ فَخْرِهِ
 فَمَا لِلَّذِي غَنَى الزَّمَانُ بِشِعْرِهِ
 إِلَى الْمُتَنَبِّيِّ فَلَيْسَ كُلُّ عَاشِقٍ
 هُوَ الشَّاعِرُ الْبَاقِي بِكُلِّ فَرِيدَةٍ
 يُصَعَّدُ فَوْقَ الْمُبْدِعِينَ خَيَالُهُ
 وَيُضْرَمُ فَيَمْنَنُ يَقْتَفِيهِ حَمَاسُهُ
 وَمَنْ كَانَ يَلْقَى الْأُسْدَ فِي حَوْمَةِ الْوَعْيِ
 بِعَاطِفَةِ الْإِنْسَانِ يَنْقَادُ عَقْلُهُ
 وَلَا عَيْبَ فِي قَلْبٍ يُقَلِّبُهُ الْهَوَى
 أَقُولُ لِمُغْتَرٍّ يَمِيسُ زَمَانُهُ
 فَلَا تَنْتَقِدْ يَوْمًا رَأَى عَكْسَ أَمْسِهِ
 وَلَا تَتَّخِذْ مِنْ دَوْلَةِ الشُّعْرِ رَافِدًا
 وَكَانَتْ حَيَاةُ الْوَرْدِ فِي نَفْحَةِ الْوَرْدِ
 زِيَادًا عَلَى إِنْشَادِ يَتِيمِهِ فِي حَشْدٍ^(١)
 مَعَ الْمُتَنَبِّيِّ فَأَنْتَشَى الدَّهْرُ بِالسَّرْدِ
 كَنَشْرِ بَيَاضِ السَّيْفِ مِنْ ظُلْمَةِ الْغَمْدِ
 أَيْسَكَّتُهُ رَيْبُ الْمَنُونِ عَنِ الْحَمْدِ ؟
 جَمَالَ بَنَاتِ الْفِكْرِ يُخَمِّدُ لَطْفُ الْوَجْدِ
 إِذَا ضَنَّتِ الْأَجْيَالُ بِالشَّاعِرِ الْفَرْدِ
 فَيَحْيَا حَيَاةَ النَّجْمِ مِنْ شِدَّةِ الْبُعْدِ
 وَلَكِنَّهُ يُغْرِي الْمُجَلِّينَ بِالزُّهْدِ
 أَيْدِرِكُهُ فِي الْخُلْدِ خَوْفٌ مِنَ الْأُسْدِ ؟
 وَمَا مِنْ عَظِيمٍ عَاشَ خِلْوًا مِنَ النَّقْدِ
 كَمَا فَعَلَتْ بِالرَّوْضِ غَائِلَةُ الْبَرْدِ
 بِمَضَرٍّ مَضَى : مَا الْمَضَرُّ لِلْمَضَرِّ بِالْنَدِّ
 رُؤَى النَّاسِ مَوْجُ الْبَحْرِ فِي الْجَزْرِ وَالْمَدِّ
 غِنَى الرُّوحِ يَغْنِي الْمُجْتَهِدِينَ عَنِ الرَّفْدِ^(٢)

(١) أنشد سيف الدولة بيتي زياد النابغة الذبياني « ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم... » أمام جمع من الناس ، فرد المتنبّي بأربعة أبيات « رأيتك توسع الشعراء نبلاً » غبط بها زياداً ، أي حسده دون أن يتعنى زوال النعمة عنه . والقصة مفصلة في شرح اليازجي ص ٤٣٨ .
 (٢) الرفد : العطاء .

كثيرون عُشَّاقُ التَّبَاهِي فَلَا تَكُنْ
بُنَاةً رَفِيعَ الْمُلْكِ لِأَذْوَا بِشَاعِرٍ
وَأَنْعَشَ قَوْمًا ظَالِمِينَ كَأَنَّهُ
إِلَى الْمُتَنَبِّي فَلَيْسَ كُلُّ ظَالِمٍ
فِيَا شَاعِرَ الْإِبْدَاعِ وَالْقُوَّةِ الَّذِي
وَحَلَّى ثُرَانًا لِلْعُرُوبَةِ لَمْ يَكُنْ
أَتَجَمُّعُنَا الْفُضْحَى وَتُفْسِدُ بَيْنَنَا
أَرَى أَوْجَعَ الْأَلَامِ عِشْرَةَ مَا كَرِ
فَتَبًّا لَهُ إِنْ قِيلَ : عَوْنٌ وَمُرْشِدٌ ،
وَمَا الْعَبْدُ إِلَّا مَنْ طَغَتْ شَهَوَاتُهُ
لَيْتَنِي تُبْصِرُوا فِي سَاحَةِ الذُّلِّ أُمَّةً
فَمَا مَاتَ مَنْ تَأَقَّتْ إِلَى الْمَجْدِ نَفْسُهُ
أَشَدُّ الْأَذَى مَا لَا بَسَ النَّفْعَ شَكْلُهُ
وَمَنْ يَتَوَدَّدُ لِلْمُعَلَّلِ بِالْمُنَى
كَفَى الْمَرْءَ نَفْعًا أَنْ يُكْرِمَ نَفْسَهُ
إِلَى الْمُتَنَبِّي فَلَيْسَ كُلُّ رَاغِبٍ

كَوَارِثِ أَمْوَالٍ يُبَاهِي أَخَا كَدٍّ
فَأَرْسَلَ حَيَّ الْحَمْدِ فِي زَائِلِ الْجُهْدِ
نَسِيمُ الصَّبَا الرِّيَّانُ قَدْ هَاجَ مِنْ نَجْدٍ
يُشَارِفُ حِيَاضَ الْمَجْدِ سَائِغَةَ الْوَرْدِ
بَنَى هَيْكَلًا لِلشَّعْرِ يَعْبُقُ بِالنَّدِّ
مِنْ الدُّرِّ بَلَّ أَغْلَى ، وَأَحْلَى مِنْ الشَّهْدِ
مَآرِبُ خَنَاسٍ وَمُسْتَعْمِرٍ وَغَدٍ ؟
يَرِيشُ سِهَامَ الْكَيدِ مَسْمُومَةَ الْحَدِّ
وَوَاهَا لِرَبِّ الْبَيْتِ يَأْتُمُّ بِالْعَبْدِ
فَضَرَ بَنَى الْإِنْسَانَ ضَرَّ الْعِدَى الْاُدِّ^(١)
تُسَاقُ بِسَوْطِ الضِّيمِ مَغْلُولَةَ الْأَيْدِي
وَلَوْ وَأَدَاوَا أَمَالَهُ أَهْوَلَ الْوَادِ^(٢)
وَشَرُّ ضَلَالِ الْمَرْءِ مَا كَانَ عَنْ عَمْدٍ
يُعَاقِبُ عَلَى بَذْلِ الْمَوَدَّةِ بِالصَّدِّ
وَمَنْ يَأْبَحُمَلِ الضِّيمِ يُكْرِمُ بِلَا بُدٍّ
بِنَفْضِ غُبَارِ الذُّلِّ يَقْرَأُ فَيَسْتَهْدِ

(١) جمع : ألد . (٢) الواد : دفن الشيء حياً كما كان يفعل الجاهليون بيناتهم .

أَرَاهُ ، وَقَدْ أَصَمَى الزَّمانُ فُؤادَهُ
أَسِيرَ غَرَامٍ يَحْسَبُ الوَعْدَ ذِمَّةً
فَيَضْرِبُ فِي رَحْبِ الفِضاءِ مُخاطِراً
فَكَبَّرَ عَلَى شِعْرِ الفُروسَةِ بَعْدَهُ
أَرَاهُ طَرِيحاً فِي الفِياثِ مُضَرَّجاً
وَمَنْ عَاشَ مِثْلَ النَّسْرِ فِي قِصَّةِ النُّهى
كَأَنَّ عُيُونَ الغَدْرِ كَانَتْ وَلَمْ تَزَلْ
فِي أُمَّةِ الأَمْجادِ لَا مَسَكِ الرَّدَى
وَإِنْ أَخْلَفَتْ بَعْضُ الشُّعوبِ وَعُودَهَا
« إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدٌ »
وَصَانَ بِلاداً أَنْبَتَ المَجْدَ تُرْبُها
يُرْنَمُ شِعْرِي مِنْ جَلالِ الفَنِّ فِكْرُهُ
وَمَنْ أَظْلَمَتْ عَيْنَاهُ لَمْ يُرْجَ عَدْلُهُ
إِلَى المُتَنَبِّى كَانَ شَوْقِي مُسِيرِي
وَلَوْ لَا أَهْتَمَامِي بِالْبِلاغَةِ لَمْ تَجِدْ
أُغْنِي نَشِيدَ العُربِ شَأْنَ مُتَيِّمٍ

فَنَاحَتْ عَلَى آثَارِهِ قَافَةُ الجُرْدِ ،^(١)
وَخِذْنِ الوَفَا يَنْتَظِمْنَ نَاكِثِ الوَعْدِ
وَيُقْتَلُ فِي لَيْلٍ مِنَ الجَهْلِ مُسَوِّدٍ
أَمَّا يَفْتَدِيهِ كُلُّ يَنْتِ مِنَ الفُودِ؟^(٢)
كَأَنَّ لَمْ يُطَاعِنَ بِالْعَوالي وَلَمْ يُرِدْ
أَيَنْجُو مِنَ الغَدَارِ وَالْمَصْرَعِ الإِدِّ؟^(٣)
تُمَارِسُ خَنْقَ الفَضْلِ كَالطُّفْلِ فِي المَهْدِ
فَإِنَّ الرَّدَى بِالْغَدْرِ كَالْغَدْرِ بِالْمَهْدِ
فَإِنَّ وَعُودَ العُربِ ضَرْبٌ مِنَ النِّقْدِ
فَكَلَّلَ هَذَا الشَّعْبَ بِالْغَارِ وَالرَّندِ^(٤)
بِحَيْشٍ مِنَ الأَبْطالِ وَالْفَتِيَةِ المُرْدِ^(٥)
وَيَفْخَرُ بِي مَنْ كَانَ بِالفَهْمِ ذَا جَدٍّ
وَلَسْتُ بِمَنْ لَا عَدْلَ فِيهِ بِمُعْتَدٍّ
وَمِنْ عَادَةِ الأَشْرَاقِ تَنْمِيَةِ الوُدِّ
لَهَنْدَسَةِ الأَلْفَاظِ مِنْ قِيَمَةٍ عِنْدِي
فَتُصْنَعِي لَهُ الدُّنْيَا وَتُنْشِدُهُ بَعْدِي :

(١) القافة: متبعو الآثار والجرد الحيلولة السابقة. (٢) الفود: الموت. (٣) الأد: الفظيع المنكر.

(٤) صدر البيت: للسموئل. (٥) جمع أمرد: وهو الشاب طر شاربه ولم تنبت لحيته.

إِذَا جَاءَنَا مُسْتَنْجِدٌ ضَاعَ مَا لَهُ يُشَارِكُ فِي النُّعْمَى وَيَرْفُلُ بِالْبُرْدِ^١
 وَيَشْهَدُ إِكْرَامًا فَيَشْهَدُ عَنْ هُدَى لِأَخْلَاقٍ شَعْبٍ خَيْرٍ طَيِّبِ الْجَدِّ
 بَنَى الْحَرَمَيْنِ الطَّاهِرَيْنِ فَحَسَبُهُ الَّذِي وَهَبَا لِلْعَالَمِينَ مِنَ السَّعْدِ
 وَلَمَّا بَنَى أَعْلَى وَأَرْخَى لِظِلِّهِ فَمَدَّ مِنَ الْغَرْبِ الْقَصِيَّ إِلَى الْهِنْدِ
 فَيَا لَكَ مِنْ شَعْبٍ عَظِيمٍ إِبَاؤُهُ فَإِنْ تَقَبَّلَ الشُّكْرَانَ تَقَبَّلَ عَلَى الرَّدِّ
 وَإِنْ عِشْتَ ذَا بَأْسٍ فَلَسْتَ بِمُعْتَدٍ وَلَكِنَّكَ السَّاعِي إِلَى الْأَمْنِ وَالرَّغْدِ
 مَعَالِكَ عَاشَتْ بِالْجِهَادِ وَأَيُّنَعَتْ بِآبَائِكَ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ وَالْوُلْدِ
 وَكُلُّ شَهِيدٍ لَا تَجْفُ دِمَاؤُهُ وَكُلُّ شُجَاعٍ شَامِخِ الرَّأْسِ كَالطَّوْدِ
 فَلَا تَنْسَ أَنْ الْفَوْزَ عُقْبَى مُجَاهِدٍ إِذَا طَلَبَ الْعَلِيَاءَ لَمْ يَرْضَ بِالضَّدِّ
 وَدَعَّ عَنْكَ إِرْجَافَ الْجَبَانِ فَإِنِّي رَأَيْتُ حُمَاةَ الْمَجْدِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ
 مِنَ الْمُتَذَبِّبِي شَيْخٍ كُلُّ مُفَاخِرٍ « عَلَى الْمُنْبَرِ الْعَالِي أَوْ الْفَرَسِ النَّهْدِ »^٢
 إِلَى كُلِّ بَانٍ فِي ذُرَى الْمَجْدِ قُبَّةٌ وَكُلُّ أَبِي النَّفْسِ مُسْتَوْجِبِ الْحَمْدِ
 فَيَا نَهْضَةً كَانَ الْإِبَاءُ مُثِيرَهَا لَكَ الشَّرْقُ دَارٌ فَأَمْلَيْمَهَا مِنَ الرُّشْدِ
 بِشِعْرِ حَكِيمٍ يُوقِظُ النَّاسَ نُورُهُ كَوْهَجِ الضُّحَى الْفَتَانَ وَالشَّمْسُ فِي الرَّادِ
 وَنَهْجِ زَعِيمٍ يَرْحَمُ الْمَوْتَ بِاسْمَا وَيَسْتَبِقُ الْأَحْدَاثَ بِالْعَمَلِ الْمُجْدِي
 وَذِكْرِ أَبِي الْعُرْبِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ سَيَحْتَلُّ مَجْدُ الْعُرْبِ نَاصِيَةَ الْمَجْدِ

١٩٣٦

(١) البرد: جمع بردة، وهي الكساء الفاخر. (٢) النهدي: الفرس الجسيم الجميل القوي، وعجز البيت للمعنى.

بَلَاءُ الدُّنْيَا

أَنْتِ يَا دُنْيَا حَرِيَّةٌ بِمَرَاثِي الْعَبَقْرِیَّةِ
مُذْ غَدَا الْجِبَالُ أَسْيَاداً یَسُوسُونَ الرَّعِیَّةَ
وَطَفَى التَّدْلِیسُ مُخْتَالاً فَبَذَّ الْأَلَمِیَّةُ
أَظْلَمَ التَّارِیخُ مِنْ تِلْكَ الْحَکَايَا الْأَصْمَعِیَّةِ
وَعَدَا نَاشِرُ نُورِ الْفِکْرِ مَجْهُولَ الْمُسَوِیَّةِ
وَقَضَى فِي الْفَنِّ أُسْتَاذُ الْحُرُوفِ الْأَبْجَدِیَّةِ

يَا رَعَاكَ اللَّهُ ! مَا الْفَنُّ أَكْتِسَابًا بَلْ سَجِيَّةٌ
جُودَةٌ الْإِنْتَاجِ خَيْرٌ مِنْ نُعُوتِ مَجْمَعِيَّةِ
لَيْتَ مَا يَحْمِلُهُ الْيَعْسُوبُ مِنْ رُبِّ الْخَلِیَّةِ
كَانَ زَادَ الْمَجْمَعِ الْعَالِي وَحَلَّوَاهُ الشَّهِيَّةِ
لَدَعُونَاهُ إِذَنْ : دَارَ الْعُلُومِ الْعَالَمِيَّةِ
وَحَسْبُنَا مَاءُهُ الْأَسِنَّةُ خَرَّأَ بَابِلِيَّةِ
فَتَى تَصْحُو مِنَ النَّوْمِ الشُّعُوبُ الْعَرَبِيَّةُ ؟

لَيْسَتْ الْأَخْوَاضُ أَعْلَى مِنْ يَنَابِيعِ النَّقِيَّةِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا فُصُولٌ مَسْرُوحِيَّةٌ
كَمْ تَطَلَّبْتُ نَعِيمًا مِنْ مَجَالِهَا الْبَهِيَّةِ
فَرَأَيْتُ الْكُلَّ كَأُظْلٍّ اخْتَفَى عِنْدَ الْعَشِيَّةِ

قِيلَ : لَمْ يَصُبْ إِلَى مَالٍ وَلَمْ يَحْفَلْ بِمِثَّةِ
تَخَذَ الْفَنِّ حَبِيبًا وَالْأَنَاشِيدَ حُلِيَّةً
وَأَبْتَنَى دَارَ خُلُودٍ بِعَمَانِيَةِ السَّنِيَّةِ

فَأَجَبْتُ : أَلْفَنُ نِبْرَاسُ تَرَاءَى لِلْبَرِيَّةِ
هُوَ لِلرُّوحِ غِذَاءٌ وَلِلْسَيِّمَاتِ نَدِيَّةٌ

أَيُّهَا اللَّحْنُ الْمُدَوِّي بَنِينَ أَبْنَاءِ الْمَنِيَّةِ
يَا مَنَارَ الْخُلْدِ ! حَيَّاكَ الْهُدَى أَحْلَى تَحِيَّةِ
قَدْ مَلَأْتَ النَّاسَ نُورًا مِنْ مَصَابِيحِ خَفِيَّةِ
فَعَسَى أَنْ يُذَرِّكَوَا فِيكَ الْمَسَرَّاتِ الْهَنِيَّةِ
أَوْ لَيْسَ الْمَجْدُ إِبْدَاعَ الصِّفَاتِ الْأَدَبِيَّةِ ؟

ضَلَّ مَنْ يَسْعَى لِبَذْخٍ وَنَوَى أَسْوَأَ نِيَّةٍ
كَعَمَلِ خَزَنَةِ الْمَالِ وَمَا فِيهِ بَقِيَّةٌ ...
حَاجَةُ الْمَرْءِ كَفَافٌ مِنْ حُطَامِ الْمَدِينَةِ
وَأَكْتِنَازُ الْمَالِ ضَرْبٌ مِنْ جُنُونِ الْوَثْنَةِ

كَمْ ضَعِيفٍ يَدْعِي الْفَوْزَ عَلَى الْأَيْدِي الْقَوِيَّةِ
وَمَجَالُ الْقَوْلِ لِلْوَاقِعِ لَا لِلنَّظَرِيَّةِ
أَتَظَلُّ الْأَرْضُ وَالْخَيْرَاتُ لِلْبَاغِي مَطِيَّةٌ ؟
سَلَبُ حَقِّ الْعَيْشِ أَذْهَى مِنْ شُرُورِ الْبَرَبَرِيَّةِ
لَيْسَ فِي الْجُوعِ مَكَانٌ لِدُرُوسِ فَلَسْفِيَّةِ
يَطْلُبُ الْمُعْوِزُ وَالْبَاكِي حُلُولًا عَمَلِيَّةَ

مُنْتَهَى الْمَسْكِينِ كَالْمُوسِرِ رَبِّ الْعُنْجُمِيَّةِ
فَلْتَرْتِ « نَحْنُ - أَنَا » تَنْفَصِلِ الدَّعْوَى الْعَصِيَّةِ
سَيِّدُ النَّاسِ مُنْجَبِي النَّاسِ مِنْ تِلْكَ الْبَلِيَّةِ

أَفْسَدَ الْمَالُ الْبَرَايَا فَأَنْظَرُوا عُقْبَى الْقَضِيَّةِ :
أَصْبَحَ الْمَلِكُ كِبَانِيهِ بَقَايَا أَمْرِيَّةِ
وَأَقْضَى النُّوحُ وَوَدَّ الذَّنْبُ لَوْ تَرْضَى الضَّحِيَّةِ
بِئْسَ مَا صَارَ إِلَيْهِ الظُّلْمُ مِنْ حَالِ زَرِيَّةِ

إِنَّ فِي الْفَانِي لِمَنْ يُوَلَّعُ بِالْفَانِي أَذِيَّةٌ
وَمِنْ الْأَطْمَاعِ مَا يَعْصِفُ بِالنَّفْسِ الرَّضِيَّةِ
مَرْكَبٌ تَصْدِمُهُ أَمْوَاجُ أَهْوَاءِ عَتِيَّةِ

فَأَحْذَرِي الْأَهْوَاءَ أَعْدَاءَكَ ، يَا نَفْسِي الْغَنِيَّةُ !
يَا ابْنَةَ الْفَنِّ الَّذِي يَحْيَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً
يَا ابْنَةَ الْأَنْوَارِ وَالْأَزْهَارِ ، يَا لَحْنَ الْبَرِيَّةِ
يَا مَدَارَ الْفَخْرِ فِي الْمَحْيَا وَمَا بَعْدَ الْمَنِيَّةِ

فَازَ بِالرَّاحَةِ مَنْ يُصْلِحُ أَحْوَالاً شَقِيَّةً
وَلَيْتَ أَعْيَا كَمَنْ هَامَ بِصَحْرَاءِ خَلِيَّةٍ
مَلَكَ الدُّنْيَا الَّذِي يَمْتَلِكُ النَّفْسَ الْأَيَّةَ
وَأَغْنَى بِالرُّوحِ لَا بِالْمَالِ مَنْ يَرْجُو رُقِيَّةً

فَلْيَصُنْ رَبِّي بِلَادِي مِنْ شُرُورِ الْأَشْعَبِيَّةِ
رَيْثَمَا يَقْضِي بِإِنصَافٍ ضَحَايَا الْبَشَرِيَّةِ

١٩٤٩



المصير

مَنْ أَعَدَّ الْعَيْشَ فَوْقَ السُّحُبِ لَيْسَ يَخْلُو مِنْ دَوَائِي النَّصَبِ
 فَأَلَامَانِي كُلَّمَا ثَارَتْ بِهِ أَضْرَمَتْ نَاراً خَلَتْ مِنْ لَهَبِ
 وَاللَّيَالِي ، وَلَيْثِنْ طَاوَلْنَهُ لَيْلَةً تَمْضِي وَلَمَّا تَوُبِ
 لَا تَبْتَ فِي أَسْرِ هَمٍّ دَائِمٍ : طَلَبِ الدُّنْيَا وَخَوْفِ الْعَطَبِ
 إِنَّمَا الدُّنْيَا ابْتِذَالٌ كُلُّهَا مِثْلُ دَمْعِ الْعَاشِقِ الْمُنْسَكِبِ
 لَسْتُ أَهْوَى بَعْدَ مَا شَاهَدْتُهَا غَيْرَ أَنْ أَرْسُمَهَا فِي الْكَتَبِ
 تِلْكَ ذِكْرِي لِفَتَى مَرَّ بِهَا فَرَأَى مِنْهَا عَظِيمَ الْعَجَبِ

قُلْ لِمَنْ يَأْلُمُ مِنْ أَتْعَابِهِ كَثْرَةُ الشَّكْوَى أَسَاسُ التَّعَبِ
 إِنَّ مَنْ لَمْ يُكْتَبِ النَّصْرُ لَهُ يَتَوَلَّاهُ أَطْلَابُ الْغَلَبِ

لَسْتُ أَذْرِي هَلْ أَنَا مِنْ مَعْشَرِ أَلْفُوا الْحَرْبَ وَحَمَلِ الْقُضْبِ
 أَمْ قُسُوسٍ مَجْدُوا الضَّعْفَ وَمَا أُغْرِمُوا إِلَّا بِنَصْبِ الصُّلْبِ
 أَمْ قُضَاةٍ حَكَمُوا عَنْ عِفَّةٍ وَنَفَوْا بِالْعَدْلِ شَرَّ الْكُرْبِ
 أَمْ تِجَارٍ لَاحِقُوا أَرْزَاقَهُمْ كَخَرُوفٍ فِي مَكَانِ عَشْبِ

كُلُّهُمْ عَاشُوا فَهَلَّا أَدْرَكُوا كَمْ وَرَاءَ الْقَبْرِ مِنْ مُنْتَحِبٍ
أَمْ قَضَوْا لَاهِينَ لَمْ يَذْكُرُوا لَذَّةَ الْحُزْنِ وَعُقْبَى الطَّرَبِ؟
كَمْ جَهْلٍ شَدَّهُ بِي قَدَرُهُ شَدَّ أَسْبَابِ الرِّضَى بِالْفَضَبِ
سَارَ فِي الْأَرْضِ عَلَى غَيْرِ هُدًى هُمُهُ قَنْصُ ضَعِيفٍ وَغَبِي
فَإِذَا مَدَّ لَهُ شَخْصٌ يَدًا صَادَفَتْ فَخَا فَلَمْ تَنْسَحِبِ
هَاجِمَ الْمَسْكِينِ فِي مَأْمَنِهِ وَسَبَى مَا عِنْدَهُ مِنْ سَلَبِ
وَأَعْتَدَى وَأَخْنَالَ فِي أَعْمَالِهِ وَتَهَادَى بِالثِّيَابِ الْقُشْبِ
وَتَرَدَّتْ بِالْمَعَاصِي نَفْسُهُ فَبَدَأَ فِيهَا كَذِبَ كَلْبِ
وَتَدَنَّتْ مِثْلَهُ أَخْـلَاقُهُ كُلُّ شَرٍّ نَاشِئٍ عَنْ سَبَبٍ...
إِنَّ مَنْ قَدْ ذُكِرَتْ أَوْصَافُهُ صَارَ يُدْعَى تَاجِرًا ذَا نَشَبِ
مَالُهُ وَالنَّارُ صِنَوَانٍ ، وَمَا قَدْ أَتَاهُ فَرْكَامُ الْحَطَبِ
كَلَّمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَنْذِرُهُ رَاغِبًا فِي خَيْرِهِ أُسْتَهْزَأُ بِي
فَكَأَنَّ الْمَالَ قَدْ قَالَ لَهُ : لَا تَخَفْ ، مَا الْمَوْتُ بِالْمُقْتَرَبِ
إِنَّهُ يَرْهَبُ قَصْرًا بِإِذْخَا فَأَعْتَصِمْ فِيهِ بِأَقْوَى الطُّنْبِ
وَتَصَامَمَ عَنْ حَزَنِ صَارِيخِ وَتَجَبَّرَ وَادَّرَعَ بِالصُّحْبِ^١
لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ زَلْزَالٌ وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ ذُو ذَنْبِ^٢

* * *

(١) جمعُ صحاب جمع صاحب . (٢) يعتبر النجم المذنب نذير شر .

مَرَّتِ الْأَيَّامُ كَالْمَاءِ جَرَى فِي الْفَيَافِي مِنْ قَدِيمِ الْحَقَبِ
وَعَدَا التَّاجِرُ شَيْخًا مُدْنِفًا عَذْبَتُهُ عَادِيَاتُ الْوَصَبِ
فَارْتَأَى اسْتِدْعَاءَ جَارٍ زَاهِدٍ كَانَ يَلْقَاهُ بِصَدْرِ رَحَبِ
وَرَجَا مِنْهُ حَدِيثًا ، قَائِلًا : أَيُّهَا الْجَارُ الرَّفِيعُ الْأَدَبِ
قَدْ فَتَنْتَ النَّاسَ أَنِّي أُلْتَفَتُوا بِمَعَانٍ وَلِسَانٍ ذَرِبِ
فَارْشُمْنِي لِي خُطَّةً تُنْقِذُنِي إِنِّي كَالْيَاسِ الْمُضْطَرِبِ

* * *

قَالَ : خُذْنِي كَيْسَالٍ وَأُعْتَقِدْ أَنِّي مَا كُنْتُ بِالْمُكْتَشَبِ
صِدْقُ قَوْلِي شَاهِدٌ عَدْلٌ عَلَى أَنِّي أَكْرَهُ طَرُقَ الْكَذِبِ
لَسْتُ أُدْعَى تَاجِرًا بَيْنَ الْمَلَا مَنْ دَعَا الْبَذْرَ سُهَى لَمْ يُصَبِ
إِنِّي أَسْبُرُ آلَامَ الْوَرَى مِثْلَ دَرْبِي مَا وَرَاءَ الْحُجُبِ
وَفُنُونِي زِينَتِي إِنْ يَفْخَرُوا بِحَصَى الدَّرِّ وَجَمْعِ الذَّهَبِ
حَسِبْتَنِي غَادَةً فِي سِرِّهَا بِسَمَةِ الْفَجْرِ عَلَى ثَغْرِ صَبِي
وَرَأَتْ بِي وَرْدَةً فِي رَوْضِهَا حُلْمَ الزَّهْرِ عَلَى رَمْسِ نَبِي
فَإِذَا اسْتَهْوَتْ فُؤَادِي شَهْوَةً فَتَرْتُ نَفْسِي وَلَمْ تَنْجَذِبِ
فَكَأَنَّ قَدْ شَبِعَتْ فِي سَيْرِهَا مِنْ أَمَانٍ وَأُكْتَفَتْ مِنْ أَرْبِ
وَعَدَتْ نَشْوَى وَكَمْ مِنْ غِبْطَةٍ تُسْكِرُ الْمَرْءَ كَبِنَتِ الْعِنَبِ

شَهَوَاتُ النَّفْسِ أَغْلَالٌ لَهَا :
كُلُّ قَيْدٍ مَعْنَوِيٌّ ذِلَّةٌ
مَا صَفَاءُ الْعَيْشِ إِلَّا رَغْبَةٌ
وَمَشَتْ فِيهِ عَلَى هَامِ الْعُلَى
إِنَّمَا الْأَرْوَاحُ فِي أَذْوَارِهَا
أَيُّ رِبْحٍ مِنْ حَيَاةٍ تَنْقُضِي
فَأَبْذُلِ الْمَالَ لِكَيْ تَكْنِزَهُ
كَمْ أَجِيرٌ لَكَ لَا تَعْرِفُهُ
فُكَّ أَغْلَالِ سَجِينٍ يَثْبُ !
ذَلَّلَ الْقَيْدُ أَسْوَدَ الْهَضَبِ
عَانَقَتْ رَوْحًا رَفِيعَ الطَّلَبِ
لِيرَى مُبْدَعَهُ عَنْ كَثَبِ
تَتَنَقَّى بِاحْتِمَالِ النُّوبِ
فِي أَنْجَارٍ كُلُّهُ كَاللَّعِبِ
لَا تُورَثُ دِرْهَمًا ذَا نَسَبِ
مَاتَ عَنْ إِرْثٍ فَلَمْ تَتَحَبِّبْ

* * *

فَبِكَيْ التَّاجِرُ مِنْ أَقْوَالِهِ
وَرَأَى آمَالَهُ مِنْ مُعْمَرِهِ
قَالَ لِلزَّاهِدِ لَا يَنْفَعُنِي
أَنْتَ أَسْمَى مِنْ مَقَامِي مَنْزِلًا
لَيْسَ فِي عَيْنَيْكَ نَارٌ إِنَّمَا
طَالَمَا نَاصَرْتَ فِي مُعْتَرِكِ
مَلَكَتْ آيَاتُكَ الْغُرُ النَّهْيُ
وَأُرْتَوَى مِنْ سَلْسَبِيلِ عَرَبِ
كَلِيلٍ أَسْرَعَتْ فِي الْهَرَبِ
كُلُّ مَالِي ، فَالْعُلَى بِالرُّتَبِ
أَنْتَ أَسْتَـَـاذِي ، بَأْمِي وَأَبِي
إِنْ رَمَى لِحْظُكَ غِرًّا يَذُبُ
مَطْلَبًا حَقًّا وَلَمْ تَتَدَبَّ
وَعَدَا شِمْرُكَ فَنَحَرَ الْعَرَبِ

١٩٣٥

نَجْمَةُ الصُّبْحِ

نَجْمَةُ الصُّبْحِ الْمُنِيرَةِ أَنْتِ وَدَّعْتَ النُّجُومَ
وَتَصَدَّرْتَ أَمِيرَةً فَوْقَ شَفَافِ الْغُيُومِ

فَأُطِّلِي مِنْ عُلَاكِ
لِمُحِبٍّ إِنْ رَأَاكَ
رَحَلْتَ عَنْهُ الْمُسُومَ

وَأُبْعَثِي فِي النَّاسِ مِنْ إِشْعَاعِكَ الزَّاهِي رَجَاءً
فَلَقَدْ مَلَ فُؤَادِي بَعْدَ أَنْ وَلَّى الْوَفَاءُ
أَمَلٌ مَاتَ عَلَى الْأَرْضِ فَأَحْيَيْتَهُ السَّمَاءُ

مَا عَسَاكَ تَنْشُدِينَ مُنْذُ تَجْهُولِ الْعُصُورِ
أَجْدِيداً تَأْمَلِينَ مِنْ مِيَاهِ وَصُخُورِ؟
إِنَّ أَشْبَاحَ السَّنِينَ وَأَنَاشِيدَ الدُّهُورِ
مِنْ سُرُورِ وَأَنِينِ وَغَـرامِ وَنُفُورِ
تَتْرُكُ الذِّكْرَ الْحَزِينَ طَيِّ أَعْمَاقِ الصُّدُورِ

وَإِذَا فَكَّرْتُ فِي الدُّنْيَا وَأَتَمَّابِ الْبَشَرِ
وَبَارَاءِ وَعَادَاتِ لَهُمْ تَوْحِي الضَّجَرِ
زِدْتُ بُعْدًا عَنْ مَآسِ سَافِرَاتٍ وَعَبَرِ

نَجْمَتِي ! مَا كُنْتُ يَوْمًا كَالنَّجُومِ السَّائِرَةِ
أَنْتِ مِثْلِي تُدْرِكِينَ الْعَاطِفَاتِ النَّائِرَةِ
فَأَسْمَعِي مَاذَا تُغَنِّي الصَّادِحَاتُ الطَّائِرَةِ
وَأُنْظُرِي كَيْفَ عِنَاقُ الْمَائِسَاتِ الزَّاهِرَةِ
نَمَّ سِيرِي بِسَلَامٍ ، لَا تَظَلِّي حَائِرَةَ

كُلُّ هَذَا زِينَةٌ عَابِرَةٌ ، وَالْأَصْلُ رُوحُ
وَكَأَنَّ الْحُسْنَ مِنْ آتٍ إِلَى مَاضٍ يَنْوَحُ
قُوَّةٌ تَلْبَسُ شَكْلًا وَكَمَا تَأْتِي تَرُوحُ

١٩٣٣



رَجُلُ الْمَبْدَأِ

جَذَلَ ، وَقَلْبِي لَا يَزَالُ عَلِيلاً ، أَجْلَى الْهُمُومِ وَبَاتَ فِيهِ نَزِيلاً ،
فَتَكَاثَفَتْ فِي جَوْهِ سُحُبًا عَلَى قِمِّ الْمُنَى ، وَتَضَافَرَتْ إِكْلِيلًا ،
قَدْ كَانَ يَرْتَعُ صَادِحًا بَيْنَ الرَّبِّيْ وَيَرَى الْوُجُودَ وَمَا يَضُمُّ جَمِيلًا ،
فَإِذَا بِهِ وَالْدَّهْرُ كَدَّرَ صَفْوَهُ يُنْسِي وَيُضْبِحُ يَأْسًا مَغْلُولًا ،
لَلْمَقَامِ مَعَ الظَّلَامِ وَلَمْ يَكُنْ بَذَرُ الْمُنَى وَجَاهَهُ مَمْلُولًا ،
مِنْ أَجَلِهِ عُدَّ الْهَوَىْ غَذَبًا وَلَوْ ذَاقَ الْمُحِبُّ الْيَأْسَ وَالتَّنَكُّيلًا ،
كَمْ مِنْ شَهِيدٍ فِي الْأَنَامِ ضَحِيَّةٍ لِلْمَبْدَأِ السَّامِي قَضَى مَجْهُولًا ،
وَالْمُجْرِمُونَ سَطَوْا عَلَيْهِ فَأَتَخَنُوا فِيهِ الْجِرَاحَ ، وَعَذَّبُوهُ طَوِيلًا ،
لَوْ كَانَ لِلْوُجْدَانِ حُكْمٌ عِنْدَهُمْ لَمْ تَلَقَ يَوْمًا لِلنِّزَاعِ سَبِيلًا ،
نُكْرَانُهُمْ حَقَّ الْأَدِيبِ وَفَضْلُهُ أَمْسَى عَلَى مَا يُبْطِنُونَ دَلِيلًا ،
فَبِمَسْكَرِهِمْ يَدْنُونَ مِنْهُ سَاعَةً وَبِمَجُورِهِمْ يَنَازُونَ عَنْهُ جِيلًا ،
إِنَّ النَّزَاعَ هَوَى الْمَطْمَعِ أَصْلُهُ وَلَمَلَّ صَبْرَكَ مِنْ زَمَانِكَ عِيلاً ،
قَدْ يُدْرِكُ الْإِنْسَانُ أَجَرَ جِهَادِهِ إِنْ كَانَ يَنْفَقُهُ عَارِفُوهُ جَمِيلًا ،
زَيْنُ الْفَتَى أَخْلَاقُهُ ، وَفَخَارُهُ أَنْ يَعْرِفَ التَّحْرِيمَ وَالتَّحَايِلًا ،
وَإِذَا أَتَاهُ الْقَاصِدُونَ رَأَوْا بِهِ شَهْمًا كَرِيمًا يَكْرَهُ التَّذْجِيلًا ،
يَخْنُو عَلَى الضُّفَاءِ إِشْفَاقًا وَيَعْمَلُ بِالْعَتَاةِ الصَّارِمِ الْمَصْقُولًا ،

إِنَّ الرِّجَالَ اثْنَانِ ، فَأَخْتَرُ مِنْهُمَا
 « فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ »
 حُبُّ الْعِظَائِمِ مَوْرَثٌ عُشَّاقُهَا
 فَأَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْمَبَادِيِّ تَتَّخِذُ
 فِيهِمُ الْأُلَى لَا يَمْكُرُونَ لِيَرْبَحُوا
 وَهُمْ الَّذِينَ إِذَا أَحَسُّوا ذِلَّةَ
 عَظُمَتِ نُفُوسُهُمْ فَكَانَتْ مَقْدِسًا
 فَإِذَا بِهِمْ يَتَدَرَّجُونَ إِلَى الْعُلَى
 لِي مَبْدَأُ أَهْوَاهُ ، لَسْتُ أَخُونَهُ
 حَارَتْ بِهِ الْأَقْوَامُ فَأَنْقَسَمَتْ إِلَى
 وَأَثَابَنِي الْجَهْلُ عَنْ شَغْفِي بِهِ
 وَالْمَبْدَأُ السَّامِي بِنَفْسِي حَاكِمٌ
 نُورٌ يَرَى الْعُمَيَانَ فِيهِ ظُلُمَةٌ
 هَانَتْ لَدَيْهِ الْحَادِثَاتُ كَأَنَّهَا
 فَتَا مَرَّ الْأَعْدَاءُ ضِدِّيَ مِثْلًا
 وَسَأَلْتُ مَا ذَنْبِي فَقِيلَ تَقَرُّدٌ
 مَنْ جَرَّ حَمْدًا لَا ذَنْبِي وَذُبُولًا
 كَانَتْ لِإِصْلَاحِ الْفَسَادِ رَسُولًا^١
 أَمَدَ الْحَيَاةِ مَتَاعِيًا وَنُحُولًا
 مَثَلًا ، وَرَتَّلْ فَضْلَهُمْ تَرْتِيلًا
 وَهُمْ الْأُلَى لَا يُخْلِفُونَ مَقُولًا
 تَرَكَوا الْغَنَائِمَ وَالْهَوَى الْمَعْسُولًا
 وَبَدَأَ تَرْفَعُهُمْ فَكَانَ جَلِيلًا
 وَمِنْ الْمَبَادِيِّ يَمْتَنُّونَ خَبُولًا
 أَوْ أَرْتَضِي عَنْهُ الْحَيَاةَ بَدِيلًا
 شَيْعَ تَعَلَّلُ أَمْرُهُ تَعْلِيلًا
 لِقَبًا يُمَثِّلُ جَهْلَهُمْ تَمْثِيلًا
 يَسْتَأْهِلُ التَّكْرِيمَ وَالتَّبَجُّيلًا
 وَمَحَاسِنُ لَمْ تَأْلَفِ التَّجْمِيلًا
 فَرَحُ الدَّجَاةِ حِينَ يَلْقَى الْفِيلًا
 تَرَكَ اللَّثَامُ ابْنَ الْكِرَامِ قَتِيلًا
 ذَنْبُ الْمَلِيحَةِ أَنْ تَكُونَ الْأُولَى

صَوْتُ سوريّة

قنّا نَحْمَدُ الأَيَّامَ إِن كَانَ يُحْمَدُ سُكُونٌ عَلَى شَكِّ يَثُورُ وَيَحْمَدُ
 وَإِلَّا فَهَبُّوا كَالنُّسُورِ تَسَابَقَتْ لِنَحْقِيقِ آمَالِ الْبِلَادِ وَرَدَّدُوا:
 كَفَانَا فَخَاراً أَنَّنَا إِخْوَةٌ مَعاً « إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ سَيِّدٌ »^{١)}
 وَقُولُوا لِنُؤَابِ الْعُرُوبَةِ كُلِّهِمْ: عَقَدْنَا عَلَيْكُمْ مَأْمَلاً، فَتَعَهَّدُوا
 فَمَا فِيكُمْ بَاغٍ يَبِيعُ ضَمِيرَهُ وَإِنْ نَمَّ مُحْتَالٌ وَضَلَّ مُفْسِدُ
 فَسُنُّوا لَنَا مَا فِيهِ خَيْرٌ لَّانَّا سَنَمْضِي وَإِيَّاكُمْ إِلَى حَيْثُ نَقْصِدُ
 أَرَى الْوَطَنِيَّ الْحَقَّ مَنْ رَدَّ غَارَةً وَنَقَدَ مِيثَاقاً بِهِ نَتَّقِدُ
 فِيهَا غَارَةُ التَّقْلِيدِ، وَالْجَهْلُ مُطْبِقٌ، وَهِيَ غَارَةُ الْفَقْرِ الَّتِي تَتَهَدَّدُ
 وَهِيَ شَبَحُ الْأَطْمَاعِ، فِينَا مُكَشَّرٌ، وَهِيَ شَبَحُ الذِّلِّ الَّذِي يَتَوَعَّدُ
 أَلَا، فَاطْرُدُوا الْأَشْبَاحَ عَنَّا فَإِنَّهَا نَذِيرُ الْبَلَايَا، وَهِيَ بِالْعَزْمِ تَطْرُدُ
 لَقَدْ أَرْعَجْتَنَا وَأَسْتَلَّانَتْ قَنَاتِنَا، أَلَيْسَ لِرَدِّ الْكَيْدِ يَا صَاحِبُ مَوْعِدٍ؟
 لَعَلَّ لِبَمَثِ الْمَجْدِ فِي الْعُرْبِ سَاعَةً يَزُولُ بِهَا مُسْتَعْمَرٌ وَمُعَرَّبٌ
 فَهَلَّا أَفْدَيْتُمْ مِنْ أَذَى الضَّيْمِ عِبْرَةً وَهَلَّا رَأَيْتُمْ مَا رَأَاهُ مُحَمَّدٌ؟
 إِذَا لَمْ نُهَيِّ لِلْمَسَلِمَاتِ عُدَّةً فَلَيْسَ لَنَا فِي سُدَّةِ الْمَجْدِ مَقَمٌ

(١) للسموءل .

وَكَمْ فَاحِصٍ أَخْلَقْنَا قَالَ : إِنَّهَا
فَمَا نَحْنُ مَنْ يَرْضَى لَجَارٍ مَذَلَّةً
وَلَا نَحْنُ مَنْ يَنْسَى يَدَا أَوْ مَبْرَّةً
إِلَى اللَّهِ نَشْكُو مَا أَصَابَ دِيَارَنَا
وَمَا الذَّنْبُ إِلَّا غِرَّةٌ وَتَنَابُذُ
« أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ »
وَيَحْسَبُهُ الْأَعْدَاءُ غِرًّا مُقَصِّرًا
نَمُوتُ وَلَا نَرْضَى أَنْتِدَابًا لِأَنَّا
فِيَا وَطَنِي ! إِنَّا الْفَرَنْسِيْسَ أُمَّةٌ
تَرَاقِبُ مَسْعَانَا وَتَذْكُرُ وَعْدَهَا
فَقُولُوا لَهَا : إِنَّا نُرِيدُ تَفَاهُهَا
وَإِنَّا فَرَضْتُ ذُلًّا عَلَيْنَا فَإِنَّا
فَهَلْ يَلْتَفِعِي أَحْرَارُهَا قَتْلَ أُمَّةٍ
أُولَئِكَ أَسْبَادُ بَنَوَا بِجِهَادِهِمْ
وَبَثُّوا هَوَاهَا فِي الشُّعُوبِ فَسَطَّرُوا
نُرِيدُ لَهُمْ ، وَاللَّهِ ، مَا لَا يُرِيدُهُ
وَيَرْمِيهِمْ مِنْ مَكْرِهِ بِقَنَابِلِ

مِثَالُ النَّدَى لَكِنَّا الدَّهْرُ أَرْمَدُ
وَلَا نَحْنُ مَنْ لِلْجَوْرِ ضَحَّوْا وَعِيدُوا
فَهَلْ لِكِرَامِ الْأَرْضِ فِي نَصْرِنَا يَدٌ ؟
فَقَدْ تَنْفَعُ الشَّكْوَى وَيَنْجُو الْمُقَيَّدُ
فَهَلْ وَحَدَّ الْعُرْبِ الْأَبَاةَ مُوَحَّدُ ؟
يَجُورُ عَلَيْهِ غَاصِبٌ مُتَشَرَّدُ^(١)
وَقَدْ يَطْمِسُ التَّارِيخَ وَهُمْ مُجَرَّدُ
حَمَلْنَا لَوَاءَ الرُّشْدِ وَالْدَّهْرُ يَشْهَدُ
وَفِيهَا مِنَ الْأَحْرَارِ مَا لَا نَعُدُّ^١
وَإِنَّا الْغَدَّ الدَّانِي لِنَعْمِ الْمُؤَيَّدُ
فَإِنَّا نَفَذْتُ عَهْدًا فَذَلِكَ أَحْمَدُ
سَنَرَفُضُهُ ، أَمَّا الدَّلِيلُ فَيُلْحَدُ
إِذَا لَمْ تَكُنْ غَيْرَ الْكَرَامَةِ تَشْدُ ؟
حُرِّيَّةِ الْإِنْسَانِ مَا لَيْسَ يُجْحَدُ
لَهُمْ فِي سَجَلِ الْفَضْلِ ذِكْرًا يُخَلَّدُ
لِدَوْلَتِهِمْ نَدُّ يَضُرُّ وَيَحْسَدُ
تَقْوُضُ مِنْ بُسْتَانِهِمْ وَتُجَرَّدُ

وَمَنْ رَامَ خَيْرًا وَأَزْدِهَارًا لِقَوْمِهِ
فِيَا أَيُّهَا الْأَخْرَارُهَا رَوْعَةُ أَسْمِكُمْ
فَمَنْ غَيْرُكُمْ أَوْلَىٰ بُوْدٌ بِلَادِنَا
وَمَا نَحْنُ مِمَّنْ يَجْهَلُ الْحُكْمَ جَدَّهُ
وَمَا نَحْنُ مِنْ يَهُوَىٰ حَيَاةٍ رَخِيصَةٍ
وَمَا الْمَجْدُ نَوْحٌ وَادٌّ كَارٌ مُشَوِّقٌ
فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا الْجَدُّ، وَالْعِلْمُ سُورُهُ،
سَأَسْمَىٰ إِلَىٰ مَجْدٍ يَعَزُّ مِثَالَهُ
مَرَامٌ أَنَادِي الْعُرْبَ أَنْ يَقْتَدُوا بِهِ
كَأَنَّ فُنُونِي حَذَرْتَنِي وَأَشْفَقَتْ
وَتُغْرِي فُؤَادِي بِالْخُلُودِ فَإِنْ أَمْتُ

يَسِيرُ عَلَىٰ آثَارِهِمْ وَيُشِيدُ
وَتَارِيخِكُمْ، فَأَقْضُوا بِمَا نَحْنُ نَعْدُ
وَمَنْ غَيْرُكُمْ أَهْدَىٰ، إِذَا رَاحَ يُرْشِدُ
وَلَكِنَّا بِالْجَدِّ سَوْفَ نُجَدِّدُ
فَمَنْ إِرْتِنَا الْمَجْدُ التَّلِيدُ الْمُؤَبَّدُ
يَغْذِيهِ وَهُمْ حَابِرٌ وَتَرْدُدُ
فَيَخْلُدُ بِأَعْمَالٍ تُقِيمُ وَتُقْعِدُ
فَلَا يَدَّعِيهِ نَاسِخٌ أَوْ مُقَلِّدُ
وَمِثْلِي إِذَا رَامَ الْعِلَاءَ يُجُودُ
عَلَىٰ الْمَجْدِ أَنْ يَبْلَىٰ فِرَاحَتُ تَغْرُدُ
يُبْرِزُ بَقَائِي فِي الْحَيَاةِ التَّفَرُّدُ

١٩٣٥



نزهة

مقدمة لديوان « ظلال الأيام » مهداة إلى الشاعر الأستاذ أنور العطار

دَعْ عَنْكَ غَطْرَسَةَ الْعُتَاةِ وَأَقْضِ الْحَيَاةَ مَعَ الْحُدَاةِ
وَأَسْجُدْ كَعِبَادِ النُّجُومِ أَمَامَ فَاتِنَةِ الْهُدَاةِ
فَالْعِطْرُ فَاحٌ بِخِذْرِهَا مِثْلَ الْبُخُورِ مِنَ الصَّلَاةِ
أَخْفِيفُ رُوحٍ فِي الدُّجَى أَمْ شَدُو حَادٍ فِي الْفَلَاةِ؟
طَرَبُ كَأَلْحَانِ الْمَلَائِكِ أَذْهَلَتْ جَمْعَ الرُّعَاةِ
قَالَتْ أَنَا شَيْدُ الْهَوَى : عَنْ « أَنْوَرَ الْعِطَارِ » هَاتِ
يَا غَادَةَ لَعِبَتْ بِلَبِّي إِنِّي شَيْخُ الدُّهَانِ
وَقَدْ اسْتَرَاخَ الْفِكْرُ بَعْدَ الْحُبِّ مِنْ أَلَمِ الْحَيَاةِ

* * *

وَأَتَتْ عَرُوسُ الشَّعْرِ تَنْثُرُ فِي الْبَرَايَا أَيْ طَيْبِ
حَافَتْ مَقَاصِيرَ الْغِنَى وَتَخَيَّرَتْ كَهْفَ الْأَدِيبِ
عَشِقَتْ لَطَافَةَ رُوحِهِ وَرَوَّاعَ الْفِكْرِ الْخَصِيبِ
فَوَشَّاحَهُ الشَّفَافِ أَبْهَى مِنْ حُلَى الثَّوْبِ الْقَشِيبِ

هَتَفَتْ بِهِ وَالْعُرْيُ مَذْهَبُهُ : أَعِشْتَ بِلا رَقِيبٍ ؟
وَالْهَفَفَ قَلْبِي أَنْتَ تَبْدُو كَالْبَرِيِّ عَلَى الصَّلِيبِ
وَتَعَانَقَا مِثْلَ النَّسِيمِ يَمِيسُ بِالْفُضْنِ الرَّطِيبِ
وَأَسْتَقْبَلَا عَرْشَ الْخُلُودِ بِمَوْكِبِ الشَّعْرِ الْمَهِيبِ

* * *

إِنِّي لَأَلْقِي الْعَبْقَرِيَّةَ رَهْنِ دِيْوَانِ طَرِيفِ
جَمَعَ النُّعُومَةَ وَالْجَمَالَ ، بِأَيِّ أُسْلُوبِ ظَرِيفِ ؟
فَكَأَنَّ أَحْلَامَ الْحَيَاةِ تَرَاقَصَتْ بَيْنَ الدُّفُوفِ
وَالنَّايِ وَالْأُوتَارُ تَعْرِفُ لَحْنَ « أَوْرَاقِ الْخَرِيفِ »
يَا فَرَحَةَ الْأَرْوَاحِ فِي طَيْرَانِهَا وَصَدَى الْحَفِيفِ
شَيَّدَتْ قَصْرًا لِلْعُرُوبَةِ لَيْسَ مِنْ حَجَرٍ صَفِيفِ
لَكِنَّهُ بَاقٍ بَقَاءَ الْفَنِّ وَالشَّعْرِ اللَّطِيفِ
يَحْيَا حَيَاةَ الزَّهْرِ فِي قَارُورَةٍ أَبَدِ الْمُنِيفِ

* * *

وَالْعُمُرُ مَدْرَسَةٌ وَكَمْ تَرَكَ الْأَوَائِلُ لِلْأَوَاخِرِ
وَلِكُلِّ عَصْرِ دَوْلَةٌ وَرِجَالُهَا وَالْدَّهْرُ سَاخِرُ
يَتَهَالَكُونَ عَلَى الْقُشُورِ وَيَغْفُلُونَ عَنِ الْجَوَاهِرِ

كَمْ يُغْرَمُونَ بِبَاطِلٍ وَالْحَقُّ مِثْلُ الصُّبْحِ سَافِرٌ
وَيُنْحَ الْعَوَادِي كَمْ تُغَالِي فِي مُقَارَعَةِ الْعَبَاقِرِ
أَدَبُ الْقَرِيحَةِ زَائِلٌ وَنَتَاجُهُمْ فِي الدَّهْرِ سَائِرٌ
وَشَهَادَةُ الْأَجْيَالِ خَيْرٌ مِنْ مَقَايِيسِ الظَّوَاهِرِ
وَكِفَاكَ مَنْ قَسَمَ الْحُظُوظَ وَفِي الْوَرَى خَطَّ الْمَصَايِرِ

* * *

وَتَنَالَتْ الْأَفْكَارُ هَامَةً بِأَفَاقِ السَّمَاءِ
فَكَأَنَّهَا الْأَشْبَاحُ قَدْ حَامَتْ عَلَى دَارِ الشَّقَاءِ
وَطَبِيعَةُ الْأَشْيَاءِ تُغْرِى النَّاسَ طُرًّا بِالْبَقَاءِ
يَتَهَيَّبُونَ حَمَى الْخُلُودِ وَيُوجِسُونَ مِنْ الْفَنَاءِ
فَرَأَيْتُ أَنَّ الظِّلَّ أَصْدَقُ عِبْرَةٍ لَاحَتْ لِرَأْيِ
وِظْلَالِ مَا تَلِدُ الطَّبِيعَةُ تَخْتَفِي عِنْدَ الْمَسَاءِ
لَكِنْ « أَنْوَرَ » خَالِدٌ كَالرُّوحِ مَالِئَةٌ الْفَضَاءِ
وِظْلَالُهُ تَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ وَارِفَةُ الرُّوَاءِ

١٩٤٨



الحقُّ والعاطفة

« كلمة الحق للعاطفة »

شَدَّتِ العنادُ يا جميلةً فأرتدي
ثوبَ البهاءِ وكأنَّ العنادِ أنشدي :
إنَّ الملألَ ليَعْتَرِينِي كُلَّمَا
راحَ المُحِقُّ فريسةً للمُعْتَدِي
وَالْعَيْشُ حَرْبُ ضَاعَ أَمْرُ شَهِيدِهَا
فَإِذَا عَرَفْتَ بَلَاءَهُ فَتَجَلَّدِي
سَيِّانٍ فِي نَظَرِ الْعَدَالَةِ : مُجْرِمُ
حَازَ الْبِرَاءَةَ ، وَالنَّزِيهُ الْمُهْتَدِي

* * *

وَلَأَنْتِ أَسْمَى مَا أَتَى الْبَارِي بِهِ
فَبِكِ ابْتَدَأْتُ وَعِنْدَ عَرْشِكَ أَنْتَهِي
إِنْ كُنْتُ بَدْرًا فَالظَّلَامُ يُخَفِّنِي
وَأَدُورُ حَوْلَكَ فِي الْفَضَاءِ الْمُزْدَهِي
أَوْ كُنْتُ قِسْطَاسَ الْعِبَادِ فَإِنِّي
عَبْدٌ شَجَاهُ أَنْسُ مَغْنَاكَ الْبَهِي
هَا قَدْ نَشَرْتُ عَلَى الْخَلَائِقِ رَايَتِي
فَتَأْمَلِي تِلْكَ الْمَوَاكِبَ كَيْفَ هِيَ !

« واقع الحياة »

وَكَاثِمًا الدُّنْيَا غُبَارٌ ثَائِرٌ
فَالْحَقُّ ذَاوِ الْمَطَامِعِ قَائِمٌ
هَيْهَاتَ فَخْرٌ يَرْتَجِيهِ مُوَمِّلٌ
ثَارَتْ بِمُجْتَهِدِهِ مُيُولٌ ظَالِمَةٌ
يَكْفِي بُوْجْدَانِ الْفَتَى فَخْرًا لَهُ
فَإِذَا ارْتَضَيْتَ هُدَاهُ فَأَرْعَ مَرَامَهُ
وَإِذَا تَحَكَّمَ فِي الْمَشَاكِلِ تَنْتَهِي
فَاعْجَبْ لِمَخْكَومٍ يُسِيرُ حَاكِمَهُ

« ردُّ العاطفة »

إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى مُنِيرَةِ أَرْضِكُمْ وَالْحَقُّ يَقْضِي أَنْ تَصُونَ ضِيَاءَهَا
وَحُبِّيتُ مِنْ عَطْفِ الْأَزَاهِرِ عِطْرَهَا وَمِنْ الْحَمَامِ شَدْوَهَا وَغِنَاءَهَا
وَمِنْ الْكَرِيمِ نَوَالِهِ وَحَنَانِهِ وَمِنْ الْأَدِيبِ فُنُونِهِ وَسَنَاءَهَا
فَمَنْ أَرْتَوَى مِنْهَا تَمَلَّكَ رُوحَهُ حُكْمُ الْعَوَاطِفِ وَأَبْتَنَى أَفْيَاءَهَا

« مطالعةُ الشاعر »

إِنِّي أَرَى بِالْعَطْفِ أَحْلَى فَرَحَةٍ فَلْتَضْمَحِلَّ الْمُشْكِلَاتُ الْغَابِرَةَ
وَإِذَا ضِيَاءُ الْفَجْرِ أَشْرَقَ بِاسْمًا يَمْحُو مِنَ الْقَلْبِ الْأَسَى وَبَوَادِرَهُ
إِنْ كَانَ شَخْصُكَ بِالثَّرَابِ مُقِيدًا فَنَهَاكَ حُرٌّ وَالْخَوَاطِرُ ثَائِرَةً
كَمْ هَامَ فِي كُنْهِ الْوُجُودِ مُفَكَّرًا وَمَضَى وَخَلَّى لِلْأَنَامِ خَوَاطِرَهُ

* * *

وَلَكُمْ صَبَا قَلْبِي فَضِيعَ فَرَحَتِي بِالْحُبِّ جَانٍ لَا يَطُولُ عَلَائِي
فَتَنَ الْحَبِيبَةِ بِالزَّخَارِفِ فَأَرْتَمْتُ سَكْرَى بِخَمْرِ الْمَالِ وَالْإِغْرَاءِ
إِنَّ النِّسَاءَ إِلَى الصَّدَامِ دَفَعْنَا لَمَّا عَشِقْنَ زَوَائِلَ الْأَشْيَاءِ
فَتَعَامَتِ الْأَرْوَاحُ عَنْ حُبِّ الْعُلَى وَأَهْتَمَّتِ الْأَجْسَادُ بِالْأَهْوَاءِ

* * *

فَخُذُوا الْحَبِيبَةَ وَأُتْرُكُوا لِرُوحِهَا مَا الشُّعْرُ بِالْأَلْفَاظِ وَالْأَوْزَانِ
إِنِّي عَدَلْتُ عَنْ أُمْتِلَاكِ قِصَائِدِي فَالْرُّوحُ رُوحِي وَالْبَيَانُ بَيَانِي

إِنْ يَفْتَخِرْ أَهْلُ الْغِنَى بِثَرَائِهِمْ وَالْأَفْويَاءُ بِمَا لَهُمْ مِنْ شَانٍ
فَلْيَفْتَحِرْ قَلْبِي بِعِزَّةِ خَالِقِي وَلْيَزْدَهَرْ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

* * *

إِنَّ الْمَطَامِعَ مَزَقَتْ مَجْمُوعَنَا وَغَدَا التَّنَابُذُ آفَةٌ الْأَوْطَانِ
فَنَحْذُوا الْإِخَاءَ كَنِعْمَةٍ عُلُويَّةٍ وَتَبَادَلُوهُ بِأَخْرَجِ الْأَزْمَانِ
هَا مَهْمَةُ الدُّنْيَا الَّتِي ضَاعَتْ بِهِ أَحْلَامُ مَنْ سَلَفُوا يَبْذُوعِ ثَوَانِ
وَشَذَا الْعَوَاطِفِ خَيْرُ مَا أَسْتَهْوَى الْوَرَى، وَأَجَلُ مَا مَلَكَتْ يَدُ الْإِنْسَانِ

* * *

وَلَكُمْ مُحَقٌّ فِي سَبِيلِ مُرَادِهِ جَلَبَ الشَّقَاءُ لِقَوْمِهِ وَبِلَادِهِ
يَا لَيْتَهُ بَدَلَ الْحُقُوقِ ضَحِيَّةً لِسَعَادَةِ الْمَجْمُوعِ أَوْ أَفْرَادِهِ
هَذَا الْجِهَادُ بِذِكْرِهِ يَحْيَا الْفَتَى إِنَّ أَهْمَلَ النَّاسِ أَذْكَارَ وَدَادِهِ
وَلَعَلَّ مِنْ نِعَمِ الْحَيَاةِ عَلَيْكَ أَنْ يَرِثَ الْمُحِقُّ خُلُودَهُ بِجِهَادِهِ

« الخلاصة »

مَا بَيْنَ مُعْتَرِكِ الْحُقُوقِ تَكَسَّرَتْ آمَالُ أُمَّتِنَا فَبَاتَتْ وَاجِفَةً
إِنْ لَمْ يَسُدَّ عَطْفُ يَضُمُّ شَتَاتِنَا لَمْ يُرَجَّ إِصْلَاحُ الْحَيَاةِ الزَّائِفَةِ
وَإِذَا الْمَطَامِعُ وَالْأُمَانِي أَنْقَضَتْ نَلْقَى الْعَوَاطِفَ فِي الْعُيُونِ الذَّارِفَةِ
وَالْحَقُّ مَا فَتَنَ الْأَنَامَ جَمَالُهُ إِلَّا إِذَا حَلَاهُ سِحْرُ الْعَاطِفَةِ

صَاحِبَةُ عَاشِقٍ

إِلَيْكُمْ حَدِيثًا لَمْ يُسْطَرَّ بِأَسْفَارِ سَيَنْقُلُ لِلدُّنْيَا غَرَائِبَ أَخْبَارِي:
تَخَيَّلْتُ أَنِّي عَاشِقٌ فَتَبَيَّنَتْ لِي الْخُدْعَةُ الْكُبْرَى فَلَذْتُ بِأَشْعَارِي
وَبَعْتُ الْغَوَانِي بِالْأَغَانِي وَلَمْ أَكُنْ شَغُوفًا عَنِ الْأَنْعَامِ بِالْأَهْلِ وَالْدَارِ
أَأْخَذُ نَفْسِي وَهِيَ تَعْشَقُ ذَاتَهَا وَتَحْسَبُ فَتًى غَادَةً بَيْنَ أَوْتَارِ
أَهْمُ بِهَا ، وَالْحُسْنُ فِيهَا مُهَيَّمٌ كَمَا هَيَّئْتُمْ فِي الرَّوْضِ نَفْحَةَ آذَارِ
وَكَمْ فِكْرَةٍ يَسْبِي الْعُقُولَ جَمَاهَا تَلُوحُ لِأَهْلِ الْفَنِّ كَالْجَسَدِ الْعَارِي
فَإِنْ أَهْوَا غَيْرِي خِلْتُ فِيهِ مُمَائِلِي ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ، جَسَمْتُ شَخْصًا بِأَفْكَارِي
وَطَارَحْتُهُ الْأَشْوَاقَ ، لَا عَن صَبَابَةٍ ، لِأَنَّ غَرَامِي شَعَّ كَالنُّورِ مِنْ نَارِي
وَهَلْ كُنْتُ يَا نَارِي سِوَى نُورٍ فِكْرَةٍ
سَرْتُ فِي خَيَالِي الرَّحْبَ كَالْكَوْكَبِ السَّارِي ؟
فَإِنْ قَالَ غَيْرِي : أَنْتَ عَاشِقُ نَفْسِهِ أَجَبْتُ : نَعَمْ ، وَالشَّعْرُ الْحَانُ قُبَّارِي
كَأَنِّي وَهَذَا الْكَوْنُ فِكْرُهُ مُوَحَّدٌ تَوَلَّدَ مِنْ حُبِّ الْبَرِيَّةِ لِلْبَارِي
تَص_____ادَمَتِ الْأَهْوَاءُ فِيهِ فَمَا نَجَا
مِنْ الشَّرِكِ الْمَنْصُوبِ إِلَّا الْفَتَى الدَّارِي

نِداء الحُبِّ

غادني ! هل ذَكَرْتَ حُزنَ الجمالِ حيثُ زَهَرَ الرُّبىُّ يُحِلِّي النِّلَلا ؟
 ناضِرٌ لونهُ ، لطيفٌ شذاهُ
 والمناقيدُ نَوَّرَتْ في الدَّوالي وغُصُونُ التُّفاحِ مَدَّتْ ظِلَلا
 كَنَعِيمِ الفَقَى الجَدِيدِ هَوَاهُ
 والسَّماءُ الزَّرْقَاءُ ذاتُ اللَّالِي والنَّسيمُ الذي تَنَاهَى اُعْتِلا
 فَتَمَنَّى الوادِي وطابَ حِمَاهُ
 مَجْلِسُ الأُنسِ فَوْقَ هَامِ الجِبَالِ يَبْنِى الأفكارِ ماسَ دَلالا
 وَتَنَالَتْ أَحلامُهُ وَرُؤَاهُ
 وَتَعَالَتْ أَنْعامُهُ فَتَعَالَى نَرْتَشِفُ كَأَسَهُ وَنَنَسَ الزَّوَالا
 فَالْهَوَى يُنْسِي كُلَّ زَهْرٍ رُبَاهُ
 سِجَرُ عَيْنِكَ كَانَ زَادَ الخَيَالِ والحديثُ الطَّلِي كالخمرِ سالا
 ما دَرَى الفَنِّ مَنْ أَحَبَّ سِوَاهُ
 يَا ابْنَةَ الحُسَنِ المُرْدَهِيِّ بِالْكَمالِ وَالصِّفَاتِ الَّتِي تَزِينُ الرُّجَالا !
 وَالْحَيَاةُ تَأْمُلُ وَأَتَجَاهُ

إِنْ كَفَاكَ فَنِّ فَرِيدُ الْمِثَالِ فَأُفْرِحِي بِالْآمَالِ وَأُنْفِي الْمَلَالِ
فَهُوَ قَفَرُ الدُّنْيَا ، وَتِلْكَ الْمِيَاهُ

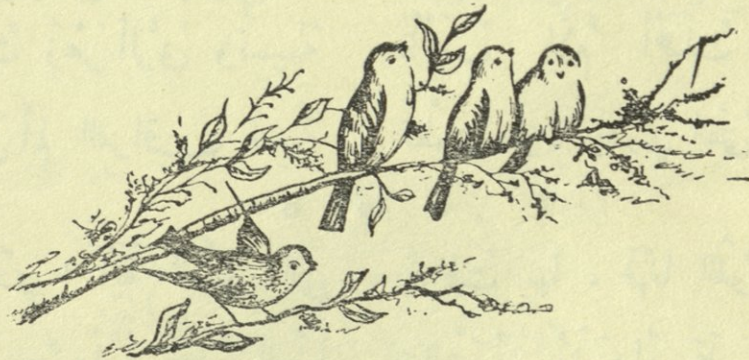
وَأَضْفِرِي الشَّعْرَ وَأَمْرَحِي كَالْغَزَالِ فَرَبِيعُ الشَّبَابِ يَنْوِي أَرْتَحَالَا
وَالنَّعِيمُ الْمَرْجُوُّ فِي مُنْتَهَاهُ

لَا تَقُولِي : دَغْنِي فَلَسْتُ أُبَالِي فَمِنْ الْكُفْرِ أَنْ تَصُدِّي الْجَمَالَ
إِنَّ قَاضِيَ الْهَوَىٰ إِلَيْكَ شَكَاهُ

وَلَكُمْ كَافِرٌ يَقْضِي الْإِلْيَالِي نَادِمًا يَمَلَأُ السَّمَاءَ أَبْتِهَالَا :
بَعْدَ أَنْ غَابَ فِي ذُرَاهَا مُنَاهُ

رَبِّ هَبْ لِي هُدًى لِيَهْدَأْ بَالِي وَأَعِنِّي كَيْ لَا أُحِبَّ الضَّلَالَا
أَسْعِدُ النَّاسَ مَنْ أَتَاهُ هُدَاهُ

١٩٠٠



مِيسَادَه

«خَطَرْتُ وَوَرَدُ الرُّوضِ بَيْنَ يَدَيْهَا فَكَأَنَّمَا قَطَفْتُهُ مِنْ خَدَّيْهَا»^١
 وَتَحَدَّثْتُ فَإِذَا الْقُلُوبُ خَوَافِقُ مِنْ مَنْطِقٍ يَحْلُو عَلَى شَفَتَيْهَا
 «فَسَأَلْتُ مَنْ تِلْكَ الْمَلِيحَةُ يَا تَرِي؟ أَمِنْ الْمَلَائِكِ أَمْ نَسَبِنَ إِلَيْهَا»^٢
 «قَالُوا: رَعَاكَ اللَّهُ، فَاتِنَةُ الْوَرَى فَأَرْحَمَ فُؤَادَكَ» مِنْ هَوَى عَيْنَيْهَا^٣
 وَأَحْفَظْ هَذَاكَ فَكَمْ حَدِيدٍ بَارِدٍ يُورِي الْأَطْيُ إِنَّ يَتَّصِلُ بِيَدَيْهَا

* * *

غَابَتْ وَذِكْرَاهَا تَجُولُ بِخَاطِرِي أَتُرَى هَوَايَ يَرِنُ فِي أُذُنَيْهَا؟
 أَمْ أَنَّهَا مِنْ كَثْرَةِ الْعُشَاقِ مَا عَزَّتْ كَرَامَاتُ الرِّجَالِ لَدَيْهَا؟
 تَعْلُو الْكَرَامَةُ بِالْفَتَى فَوْقَ الْهَوَى فَدَعِ الْأُلَى ذَلُّوا عَلَى قَدَمَيْهَا
 وَأَعْلَقَ بِنَمْنٍ خَالِدٍ فَجَمَاهَا يَذْوِي إِذَا بَكَتِ الْعُيُونُ عَلَيْهَا
 إِنَّ غَادَرَتْ زَهْرَ الرُّبِيِّ وَنَسِيمَهُ فَاعْجَبْ لِأَمٍّ أَهْمَلَتْ وَلَدَيْهَا!
 وَأَشَدُّ مِنْ أَلَمِ الْفِرَاقِ قَضِيَّةٌ تَطْوِي، وَلَا يَذْرِي الْفَتَى حَدَّيْهَا

* * *

يَا آلَ وَدِّي! آيَةُ السِّحْرِ الَّتِي عُرِفَتْ بِهَا، فَهَنَّا الْفُؤَادَ إِلَيْهَا:
 وَجْهٌ صَبُوحٌ مَلُوءٌ عِطْرُ الصَّبَا وَالشَّعْرُ مُنْسَدِلٌ عَلَى كَتِفَيْهَا

(١) : بشارة الحوري .

وَهِيَ الْأَدِيبَةُ فَالظُّنُونُ بَعِيدَةٌ عَنْهَا ، وَإِنْ هَزَّ الْأَسَى عِطْفِيهَا
 لَمْ أَدْرِ هَلْ أَسْبَابُهُ مِنْ دَهْرِهَا أَمْ أَنَّهَا وَرَثَتُهُ عَنْ أَبَوَيْهَا
 فَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ تَنَالُ مَسَرَّةً إِلَّا بِحُزْنٍ بَالِغٍ ضَعْفِيهَا
 وَلَمَلًا لَمْ تَلَقْ فَانْ لُبَّهَا لِيَضُمَّ بَيْنَ ضُلُوعِهِ حُسْنِيهَا
 مَا الْمَجْدَلِيَّةُ فِي مُشِيرِ نَحْيِهَا وَشَذَا الطُّيُوبِ يَفُوحُ مِنْ بُرْدِهَا
 إِلَّا فَتَاةٌ وَدَعَتْ آمَالَهَا بِالْمَدْمَعِ الْمَنْشُورِ مِنْ عَيْنِهَا
 غَسَلَتْ بِهِ مَا أَسْوَدَ مِنْ أَيَّامِهَا فَتَلَأَلَّتْ قِيمُ الْحَيَاةِ لَدَيْهَا
 وَطَوَتْ مَبَاهِجَهَا بِرُوحِ زَاهِدٍ لَتَرَى حَقِيقَتَهَا عَلَى وَجْهِهَا

* * *

يَا رَبَّةَ الْحُسْنِ اسْمِعِي لَحْنَ الْهَوَى ، لَحْنَ الدُّمُوعِ تَسِيلُ فِي نَهْرِيهَا :
 مَنْ بَاعَ صَفْوَ الْقَلْبِ بَاعَ نَعِيمَهُ فَأَلَارِضُ لَا شَيْءَ اسْتَمَرَ عَلَيْهَا
 وَاسَوْفَ يَطْوِينَا، وَحُبُّكَ، مَنْ طَوَى أُمِّي وَأَطْبَقَ فِي الثَّرَى جَفْنِيهَا
 ذِكْرَكَ ذِكْرَاهَا ، وَنُورَكَ نُورُهَا فَضَمِّي يَدَيْكَ عَلَى صَنِيعِ يَدَيْهَا

١٩٥٠



نور الهدى

ذِكْرِي لِيَا لِيَا الْهَوَى الْعُذْرِي تُصْبِينَا
 وَمَا الصَّبَابَةُ إِلَّا سِحْرُ فَاتِنَةٍ
 فَظَنَّ نَارَ الْهَوَى لَهْوًا وَتَسْلِيَةً
 وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِالْعَادَاتِ مُعْجِزَةٌ
 أَطْلَعَتْ الْبَدْرَ أَوْلَعْنَا بِرَوْنَقِهَا
 صَالَتْ عَلَيْنَا بِهَا حَتَّى إِذَا فَتَكَتْ
 وَلَيْسَ يُجْدِيهِ نَفْعًا زَهْرُ رَوْضَتِهَا
 عَشِيقْتُ مِنْهَا ذَكَاءَ جَلٍّ مُبْدِعُهُ
 وَرَنَّةَ بِجَمَالِ الصَّوْتِ عَالِقَةٍ
 فَإِنْ تَحَدَّثَتْ رَوَتْ أَوْ أَرْسَلَتْ مَثَلًا
 وَمَادَرَتْ مَا الْهَوَى حَتَّى نَعَاتِبَهَا
 وَبَابُهَا عَامِرٌ بِالْقَادِمِينَ فَإِنْ
 جَمَعُ مِنَ الْمُغْرَمِينَ الْمُخْلِصِينَ لَهَا
 لَوْ أَنَّهَا صَحِبَتْ جَيْشًا لِمُعْتَرِكِ
 وَمَدَمَعُ الرُّوحِ يُغْنِي عَنْ مَأَقِينَا
 تَلَاعَبَتْ بِفُؤَادٍ عَاشَ مِسْكِينَا
 وَظَنَّ نُورَ الْهُدَى طِفْلًا يُنَاقِبُنَا
 يَا لَبْتَ مَنْ قَالَ: لَا، أَعْطَى الْبَرَاهِينَا
 أَمْ قَامَةُ الرُّمُحِ لَأَنْتَ مِثْلُهُ لِينَا؟
 بِمُحْجَةِ الصَّبِّ أَوْلَتْهُ الرِّيَاحِينَا
 كَفَاهُ مِنْ حُرْقَةِ الْأَشْوَاقِ تَكْفِينَا
 كَأَنَّهُ الْبَرْقُ بِاللَّأَلَاءِ يَسْبِينَا
 صَفَاوْهُمَا عَنْ شَجِيٍّ اللَّحْنِ يُغْنِينَا
 نَثْرًا وَشِعْرًا وَإِنْشَادًا وَتَلْحِينَا
 فَكُلُّ عُشَاقِهَا أَلْمَاضِينَ بَاكُونَا
 رَمَتْهُمْ بِلِحَاطٍ لَا يَفْرُوْنَا
 تَلْقَاهُمْ لِلْمَنَى يَا مُسْتَعِدِّينَا
 وَنَادَتْ النُّصْرَ صَاحَ الْجَيْشِ: آمِينَا

فَدَى لِعَيْنَيْكَ إِنْ مَتْنَا بِلَا أَمَلٍ فَكَيْفَ إِنْ كُنْتَ بِالْمَحْيَا تُمْنِدَا
فِيَا حَيَاةَ رَشَفْنَا مِنْ غَضَارَتِهَا « مُنَى ضُرُوبًا وَلَذَاتِ أَفَانِدِنَا »^١
قُولِي بِرَبِّكَ ، هَلْ تَرْضَيْنَ عَنْ أَحَدٍ فَالْعَاشِقُونَ عَلَى لَيْلٍ يُغْنُونَا
فَلَمْ تُجِبْ ، وَلَعَلَّ الْحَظَّ حَيَّرَهَا : عِشْرُونَ صَبَاً عَلَى قَلْبٍ يُصَلُّونَا

* * *

وَعُدْتُ أَشْكُو الْهَوَى وَالصَّحْبُ رَدَّ مَعِيَ : تَخَيَّرِي الْآنَ مِنَّا مَنْ تَشَائِدُنَا
فَاطْرَقَتْ وَأَجَابَتْ : سَوْفَ أَسْأَلُكُمْ ، وَالْقَلْبُ يَقْضِي بِمَا أَنْتُمْ تَقُولُونَا ..
مَاذَا يُهَيِّئُ لِي مَنْ لَمْ يَفْزُ بِيَدَيَّ ؟ فَمَا غَدَتْ حُرَّةً زَوْجًا لِعِشْرِينَا
فَبَعْضُهُمْ قَالَ : إِنْ مَتْنَا بَغَيْرَتِنَا فَنَقْتُلُ مَنْ فَازَ ثَمَارُهُ لَيْسَ يَكْفِينَا
وَبَعْضُهُمْ قَالَ : بَلْ تَقْتَصُّ مِنْكَ فَلَنَ نَمُوتَ إِلَّا مَعًا ، مَا لَمْ تُرَاضِدِنَا
وَوَاحِدٌ قَالَ : بَلْ أَنْضِي عَلَى أَمَلِي فَالْرَأْيُ رَأْيُكَ ، وَالْمَوْلَى يُدَاوِينَا
فَكَمْ عَطَفْتَ عَلَى غَيْرِي وَعَذَّبَنِي مِنْكَ الصَّدُودُ فَقَرَّبْتُ الْقَرَابِينَا
أَقْسَمْتُ بِالْحُبِّ لَا أَلْقَاكَ هَائِمَةً حَيْرِي ، تُلَاقِينَ مِنَّا مَا تُلَاقِينَا
وَمُنِيَّتِي أَنْ تَطْلِيَ الْعُمَرَ هَائِمَةً فَاسْتَلِمَ لِي الْحُبُّ حُكْمًا وَأَعْدَلِي فِينَا
أَعِيدُ قَلْبِكَ أَنْ يُنَى بِلَاعِجَةٍ وَإِنْ عَرَفْتَ الْهَوَى الْعَذْرِيَّ فَارْتِدِنَا
وَوَاحِدٌ قَالَ : فَلَا نَلْقَاكَ بَعْدَئِذٍ وَأَسْتَحْلِفِي طَيْفَكَ : أَنْ لَا يُوَافِينَا
وَسَاعِدِنِي عَلَى قَتْلِ الْهَوَى بِيَدَيَّ فَكَثْرَةُ الصَّدِّ بِالْأَسْلُوانِ تُغْرِينَا

(١) لأحمد بن زيدون .

بَانَتْ وَبِنَا، كَأَنَّ النَّأْيَ يَنْفَعُهَا
 وَالذَّمُّعُ مَا زَالَ يَهْمِي مِنْ مُحَاجِرِهَا
 أَسْمَعْتُهَا مِنْ فُؤَادِي خَيْرَ فَلَسَفَةٍ
 وَعِغْفِي نَوَّرَتْ أَرْجَاءَ مُهْجَتِهَا
 فَلَسْتُ أَبْدِي لِمَنْ أَهْوَى مُصَانِمَةً
 فَفَضَّلْتَنِي عَلَى الْعُشَاقِ كُلِّهِمْ
 وَأَرْسَلْتُ دَمْعَةً ذَابَتْ لِرُؤُوسِهَا
 وَقُلْتُ يَا غَلْبُ اسْرِعْ وَأُسْتَعِدَّ لَهَا ، أَجَابَ : دَعْنِي ، فَلَسْتُ الْآنَ مَفْتُونًا
 رَضَى وَسُخْطٌ وَتَقْدِيرٌ وَعَرَبْدَةٌ ؟
 تَرَى أَتَرْضِيكَ يَا ابْنَ الْفَنِّ عَابِثٌ
 لَوْ أَنَّهَا حَفِظَتْ لِلْبَدْرِ رُبَّتَهُ
 وَلَوْ أَحَبَّتْ بَدِيعَ الشَّعْرِ لَاتَّخَذَتْ
 وَلَوْ تَسَامَتْ إِلَى أَفْلَاكِنَا لَشَدَتْ : لَيْسَ الْأُبَاةُ ، لِمَنْ ذُلُّوا مُسَاوِينَا
 فَلَسْتُ مُسْتَرْجِعًا ذِكْرِي مُودَّتِنَا
 حَتَّى أَرَى مِنْ هُدَانَا مَا يُسَلِّدُنَا

* * *

نَارُ الْهَوَى كَهْرَبَاءُ لَوَعَتْ كَبِدِي
 مِنْ يَأْتُرِي مَنْ أَذَى الْعَيْنَيْنِ يَشْفِينَا ؟
 فَلَا غُصُونُ النَّمَّا رَدَّتْ مَبَاهِجَنَا
 وَلَا الرِّيَاضُ وَلَا الْأَوْتَارُ تَلْمِينَا

(١) لأحمد بن زيدون .

وَلَا اتَّخَذْنَا بَدِيلًا عَنْ هَوَاكَ هَوَى
 « وَلَا اخْتِيارًا تَجَنَّبْنَاكَ عَنْ كَشَبِ
 وَالْآنَ، مَا زِلْتُ أَرْجُو خَيْرَ تَرْضِيَةٍ
 لَا خَيْرَ فِيهِ، فَمَنْ يَحْفَظُ كَرَامَتَهُ
 لِي مِنْ شَبَابِي شَفِيعٌ مَا اسْتَجَبْتُ لَهُ
 وَمِنْ تَأَلَّقِ فِكْرِي مَا يُخَلِّدُ لِي
 فَإِنْ أَرَدْتُ أَنَا صَفْوًا وَتَسْلِيَةً
 وَالْحُبُّ رُوحَانِ لَا جِسْمَانِ فَاتَّخِذِي
 وَهْلَ أَحَبِّكَ فِي دَارِ الْخُلُودِ إِذَا
 زَهَرَ الرَّبِّيُّ زَالَ أَمَّا ذِكْرُهُ فَعَدَا
 لَا تَحْسَبِيهِ ظِلَالًا لَا بَقَاءَ لَهَا
 فَشَارِكِي خَالِدًا، أَوْ فَاغْمَلِي عَمَلًا
 وَنَبِّهِ الْعَبْدَ أَنْ يَأْخُذَنَا مَثَلًا
 وَقَدْ يَجِدُنَ بِمَا ذُقْنَاهُ مَدْرَسَةً
 يَا لَيْتَنَا لَمْ نَبْتَ إِلَّا عَلَى أَمَلٍ
 وَلَا تَرَكْنَا الْهَوَى حَتَّى يَفَرِّقَنَا

فَبَعْدَ نُورِ الْهُدَى لَا بَدْرَ يُصْبِيْنَا
 لَكِنْ عَدْتْنَا عَلَى كَرَمِ عَوَادِينَا »^١
 فَالْحُبُّ إِنْ كَانَ زُقُومًا وَغَسَلِينَا
 يَجِدُ بَدِيلَ الْهَوَى وَرَدًّا وَنِسْرِينَا
 وَمِنْ جَمَالِ فُنُونِي مَا يُوَأْسِدِينَا
 فِي قِصَّةِ الْمَجْدِ كُرْسِيًّا وَقَانُونَا
 صَفَحْتُ عَمَّا رَأَيْتُهَا بِمَاضِينَا
 مِنْ دَوَلَةِ الرُّوحِ مَا يُبْقِي تَصَافِينَا
 لَمْ نَبْتَثْنِ الدَّارَ فِي الدُّنْيَا بِأَيْدِينَا ؟
 عِطْرًا يَفُوحُ كَأَرْوَاجِ تَنَاجِينَا
 زَهَرَ الرَّبِّيُّ يَا أَمِيمَ الْقَلْبِ يُحْيِينَا
 يُرْضِي الْخُلُودَ، فَحُبُّ الْأَرْضِ يَفْنِينَا
 فَقَدْ يَنْلَنَ ضِيَاءُ مَنْ لِيَا لِينَا
 تَكُنِي الْمُحِبِّينَ إِرْشَادًا وَتَبْدِينَا
 وَلَمْ نُلَاقِ عَذَابًا ظَلَّ يُشْقِينَا
 مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ مَا يُؤْذِي الْمُحِبِّينَا

عائدة

سَلِّ عَنْ مَقَامِي يَا ابْنَةَ أَنْفِهِمِ وَالِدِينَ
وَسِيرِي تَظَلِّي فِي الْفُرَادِ مُقِيمَةً
وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ النَّأْيَ لَيْسَ بِمَانِعٍ
فَأَرْسَلْتُهُ يَهْدِيهِ إِلَيْكَ تَحِيَّتِي
فَبِتُّ عَلَى نَارِ أَنْتِظَارٍ مُعَلَّلًا
حَكِيمًا يُدَانِنِي وَنِدًّا يُسَامِينِي
فَلَسْتُ بِسَالِيكَ، وَإِنْ لَمْ تُسَلِّنِي
نَسِيمَ الصَّبَا عَنْ حُلِّ رِيًّا الرِّيحِينَ
فَرَدَّ الصَّدَى عَنْكَ أَنْتَظِرْنِي إِلَى حِينِ
فَوَادِي لِمِرَاكِ بِشَعْرِ وَتَلْحِينِ

* * *

وَعُدْتُ إِلَى زَهْرِ الرَّبِّي فِي أَكْثَمَالِهِ
وَمَا كَانَ قَلْبِي غَيْرَ زَهْرٍ عَرَفْتِهِ
فَرُدِّي لَهُ شَيْئًا مِنَ الزَّهْوِ وَالْهُدَى
فَأَمْنَحَ قَنِي وَهُوَ هَيَّانٌ مُدْنِفٌ
وَمِثْلُكَ يَدْرِي بَعْضَ مَا قَدْ لَقِيْتُهُ
وَهَلْ يَحْجُبُ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةَ حَاسِدٌ؟
أَعْلَلُ نَفْسِي بِأَنْتِصَارٍ كَمُنْشِدٍ
وَأَشْعُرُ أَنِّي بِأَخْلُودٍ مُكَافَأٍ
وَمَنْ كَانَ نَوْرُ الْفَنِّ نَاشِرَ ذِكْرِهِ
وَقَدْ هَاجَهُ مَسُّ الْهَوَى كَأَبْنِ عَشْرِينَ
تَنَازَرَ عِنْدَ الْفَجْرِ بَيْنَ الْأَفَانِينَ
وَلَوْ بِقَلِيلٍ مِنْ رُؤْيِ الْوَحْيِ مُدْنِي
حَيَاةً فَيَغْدُو كَالنَّسِيمِ وَيُحْيِينِي
فَكُلُّ حَسُودٍ بِالْمَكَائِدِ يَجْزِينِي
وَهَلْ تَحْمَدُ الْغَرْبَ بِأَصْوَتِ الْحَسَاسِينَ؟
يُعْنِي الْوَرَى الْأَلْحَانَ بَيْنَ الطَّوَّاحِينَ
وَإِنْ ذُقْتُ فِي الدُّنْيَا عَذَابَ الْمَسَاجِينَ
يَطَأُ فِي ظِلَالِ الْمَوْتِ شَرَّ الشَّعَابِينَ

وَلَسْتُ مَلُولًا مِنْ عَظِيمِ مَتَاعِي
فِيَا وَيْحَهُمْ، وَالْجَهْلُ يَغْشَى عُتُوهَهُمْ
لَقَدْ رُمْتُ لِلدُّنْيَا سَلَامًا وَغِبْطَةً
فَصَاحَ الْعِدَى: ضَلَّ السَّبِيلَ وَأَطْرَقُوا
وَلَمْ يَتَّبِعُونِي بَلْ مَضَوْا فِي سَبِيلِهِمْ
وَلَسْتُ بِمَنْ يَدْعُو لِحِزْبٍ وَمَذْهَبٍ
وَوَحْدَةِ رَبِّي وَحَدَثَ كُلِّ صُورَةٍ
دَعَوْتُ إِلَى الْعَدْلِ الْمُبِينِ فَرَأَوْهُمْ
وَقُلْتُ: غَدَا الْإِنْسَانُ عَبْدًا لِمَالِهِ
وَلَيْسَتْ فُضُولُ الْمَالِ غَيْرَ خَزَائِنٍ
فَأَمْسَى عَبِيدُ الْمَالِ فِي الْأَرْضِ سَادَةً
فَأَيْنَ التَّسَاوِي بِالْحُقُوقِ وَبَعْضُنَا
وَمَنْ بَاعَ وَجْدَانًا بِمَالٍ فَهَالِكٌ

وَلَكِنْ مِنَ النُّكْرَانِ فِي عَالَمِ الطِّينِ
مَتَى أَذْرُ كَوَا جُهْدِي وَعَدُّوا قَرَايِنِي
وَجِئْتُ بِآرَاءٍ كَزَهْرِ الْبَسَاتِينِ
حَيَارَى بِخِمَارِ طُلَى الْفِكْرِ يَسْتَفِينِي
وَرَأَيْتُ فَعَالِي كَالضَّحَايَا تُنَاجِينِي
فَرَأَيْتُ عَنِ التَّفَرِّيقِ وَالْهَذَرِ يُقْصِدِينِي
وَمَا الْجَامِعُ الْأَعْلَى سِوَى الْحُبِّ وَاللَّيْنِ
نِدَائِي، كَأَنِّي مِنْ لُيُوثِ الْمِيَادِينِ
وَبَيْنَ الْغِنَى وَالْفَقْرِ حَدٌّ فَيَكْفِينِي
مِلْئَنَ دِمَاءٍ مِنْ جِرَاحِ الْمَسَاكِينِ
لَهْتِكَ كَرَامَاتٍ وَفَرَضِ قَوَانِينِ
تَمَنَّى لِفَرْطِ الْفَقْرِ عَيْشَ الْبَرَاذِينِ؟
كَذِي جَنَّةٍ يَلْهُو بِصُحْبَةِ تَنِينِ

* * *

أَقُولُ لِقَلْبِي، وَالْأَحَادِيثُ جَمَّةٌ
كَأَنَّكَ فِي «دَارِ الْمَجَابِبِ» قَابِعٌ
وَقَدْ عَمَّهُمْ هَرَجٌ وَمَرَجٌ فَأَصْبَحُوا

وَحَوْلِي مِنَ الْإِخْوَانِ بَعْضُ الْمِيَامِينِ:
فَعَرَجٌ وَعُمَيَّانٌ غَدَوْا كَالسَّلَاطِينِ
كَسَرِبِ زَنَايِيرِ سَطَا كَالشَّوَاهِينِ

وَلَيْسَ مَقَامُ الْجَهَنَّمَ الْفَرْدِ يَدْنُهُمْ
سَمَّتْكَ دَاراً أَنْبَتَتْ كُلَّ غُصَّةٍ
وَمَا عَبَقَرِي الْقَوْمِ إِلَّا كَشَعْلَةٍ
أَرَادَ بِهِ الرَّحْمَنُ إِعْلَاءَ أُمَّةٍ
فَمَدَّ عَلَى الدُّنْيَا ظِلَالاً نَدِيَّةً
أَنَا السَّابِقُ الْآتِي بِكُلِّ غَرِيبَةٍ
سَيَرْفَعُنِي فِي الشَّرْقِ ، فَأَلْفَنُ قَائِدُ
فَتِلْكَ بِلَادُ الْفِكْرِ ، عَزَّ حَبِيبُهَا ،
عَمِلْتُ لِمَجْدِ اللَّهِ بَيْنَ عِبَادِهِ
وَسِرْتُ بِأَحْلَامِي كَنَجْمٍ مُغْرَبٍ
وَلَسْتُ إِلَى دُنْيَا الْأَمَانِي بِعَائِدٍ

* * *

وَقَدْ عُدْتُ أَنْتِ الْآنَ ، أَمَّا أَنَا فَلَنْ
وَمَا كُلُّ ذِكْرِي تَمَلُّ الْقَلْبِ بِهَجَةٍ
وَمَنْ عَدَّ أَخْطَاءَ الْوَرَى ضَاقَ ذَرْعُهُ
فَأَعْجَبُ شَيْءٍ فِي حَيَاتِي رَأَيْتُهُ :
أَعُودَ إِلَى الْأَوْهَامِ ، فَأَلْفَنُ يُعْنِي
وَلَا كُلُّ شَادٍ بِأَبْنٍ فَنِّ فَيَرْضِينِي
هَدَى اللَّهُ غِرّاً بِالَّذِي فِيهِ يَرْمِينِي
حَنِينُ بِلَا حُبٍّ ، وَحُبُّ بَتَمْنِينِ

حكاية قلب

أَظَلْتُ بِكَ النَّجْوَى وَطَيْفُكَ فِي فِكْرِي

فِيَا طَوْلَ شَجْوِي مِنْ هَوَاكَ مَدَى الْعُمُرِ

وَيَا شَوْقَ الْحَانِي إِلَيْكَ إِذَا شَدَتْ مُطَوَّقَةً لَحْنًا عَلَى الْفَنَنِ النَّضْرِ

وَخَلَّتْ فُؤَادِي سَائِلًا مِنْ مَحَاجِرِي يَبْلُ نَدِيَّ الزَّهْرِ بِالْأُدْمَعِ الْحُمْرِ

فَأَكْرَمَ بِحُبِّ لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلَهُ سِوَى النَّعْمِ الْمَسْجُورِ مِنْ شِدَّةِ الذِّكْرِ

وَمِنْ عَجَبِ أَنْ الْغَرَامَ مُبَرِّحِي وَأَسْخَرُ مِنْ أَصْحَابِهِ أَعْظَمَ السَّخَرِ

فَلَوْ عَلِمَ الْعُشَّاقُ أَنِّي غَرِيمُهُمْ ، لَعَاذُوا بِضَرْبِ الرَّمْلِ وَالْبَحْثِ فِي الْجَفْرِ

* * *

سَلَامٌ عَلَى الْحُبِّ الْبَرِيِّ لِأَنَّهُ إِذَا أَنْصَفَ الْعُشَّاقُ يَرْفَعُ مِنْ قَدْرِي

وَإِنْ كَانَ قَدْرِي فَوْقَ كُلِّ مُفَاخِرِ كَمَا فَاقَتْ الْأَطْيَارَ أَجْنَحَةُ النَّسْرِ

فِيَا بِهِجَةَ الدُّنْيَا ! دَعِينِي بِرَاحَةِ مَا بَعَثَ قَلْبِي بِالْكَثِيرِ مِنَ التَّبَرِّ

وَإِنْ صَدَّنِي عَنْكَ الْعُدَاةُ تَجَنُّيًا فَكَمْ هَاجَنِي شَوْقٌ إِلَى آيِكَ الْغُرِّ

وَكَمْ مِنْ حَبِيبٍ بَاحِثٍ عَنْ حَبِيبِهِ يَطُوفُ بِلَادَ اللَّهِ قُطْرًا إِلَى قُطْرٍ

وَمَا نَفَعُ دُنْيَانَا وَنَفَعُ مَتَاعِهَا «إِذَا كُنْتَ فِي شَطْرٍ وَقَلْبُكَ فِي شَطْرٍ»^(١)

(١) لأنور العطار .

أَشْكُو إِلَى زَهْرِ الرَّبِّي لَوْعَةَ الْجَرَى ؟ وَقَدْ عَلِمَ الشَّمَارُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي
 مَهَاةً سَبَتَ لُبِّي لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ وَمَرَّتْ لَيَالٍ وَالْمَحَبَّةُ فِي صَدْرِي
 بَعِيذَيْنِ نَجْلَاوَيْنِ نَارُكَ مِنْهُمَا تَرِفَانِ رَفَّ الْمَاءِ فِي الْأَعْيُنِ الْخُضْرِ
 وَشَعْرِ هَدِيلٍ كَالْعُصُونِ تَرَاقَصَتْ عَلَى رَنَّةِ الْإِيْقَاعِ فِي صَفْحَةِ النَّهْرِ
 وَدُرٌّ نَضِيدٍ ، فِي فَمٍ مُتَوَرِّدٍ ، تَلَالًا لِلرَّائِنِ كَالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ
 وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنَّ حَدِيثَهَا لَعُوبٌ بِالْبَابِ الْأَلْبَاءِ كَالْخَمْرِ
 وَمِنْ طَبْعِهَا أَنْ لَا تُوَدِّعَ مُغْرَمًا ، فَإِنْ لَمْ يَعُدْ قَالَتْ : مَعَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ
 وَإِنْ عَادَ لَمْ تَأْبَهُ فَمَا أَهْتَمَّ قَبْلَهَا أَبُو الْهَوَلِ بِالْعُشَاقِ مِنْ زَائِرِي مِصْرٍ
 فَمَا فَتَتُوا الْأَهْرَامَ لَكِنْ تَفَتَّتْ مِنْ الصَّبَاحِ وَالْإِمْسَاءِ وَالْبَرْدِ وَالْحَرِّ

* * *

فَلَا تَشْكُ يَا قَلْبِي هَوَاهَا وَدَلَهَا فَأَنْتَ جَمَالُ رَائِعِ الطَّيِّ وَالنَّشْرِ
 وَمَا أَنْتَ مِمَّنْ لَا يَرَى الْحُبَّ آيَةً إِلَى اللَّهِ تُدْنِينَا ، فَأُولِعَ بِالْعَهْرِ
 وَلَا أَنْتَ مِمَّنْ لَمْ تُفِدْهُ كَرَامَةً فَأَغْنِي عَلَى شَكِّ وَأَغْضِي عَنِ الطُّهْرِ
 تُرِيدُ فُؤَادًا عَاشَ بِكَرٍّ لِرَبِّهِ وَمَنْ عَاشَ بِكَرٍّ لَا يَحِيدُ عَنِ الْبَكْرِ
 عَذَابُكَ فِي الدُّنْيَا طَوِيلٌ فَلَنْ تَرَى صِفَاتِ كَرُوحِ الزَّهْرِ فِي نَفْحَةِ الْعِطْرِ
 وَإِنْ لَمْ تَنْلُ حَظًّا فَلَا تَبْكِ وَأَعْتَمِدِ بَيْتَ الْهَوَى الْفَانِي عَلَى الْفَنِّ وَالشَّعْرِ
 وَخَلَّ الْغَرَامَ الْحَيَّ يَخْلُدُ ، بِحَقِّ مَنْ ، رَأَوْا فِي الْهَوَى الْعُذْرِيَّ ضَرْبًا مِنَ السَّحْرِ
 وَلَا تَرْضَ بِالْأَوْهَامِ مَهْرًا لِفَادَةٍ غِنَى النَّفْسِ يَغْنِي الْعَاشِقِينَ عَنِ الْمَهْرِ

أَلُوفٌ مِنَ الْأَهْوَاءِ تَعْصِفُ بِالْفَتَى
 فَدَعُ عَنْكَ أَحْلَامَ الْعُثُورِ عَلَى الْمُنَى
 وَمَا النَّاسُ مُوسِيقَى لِتَرْضَى جِوَارَهُمْ
 أُعِذْكَ أَنْ تَحْيَا مُحِبًّا مُدْلَهَا
 فَمَنْ يَدْفَعُ التَّضَلِيلَ عَنْكَ فَإِنَّهُ
 وَكَمَ مِنْ دَعِيٍّ فِي الْهَوَى كَانَ حُبُّهُ
 وَكَمَ مِنْ كَرِيمٍ لَمْ يَنْلُ غَايَةَ النِّينَى
 يُضْحِي بِمَلِكِ الْأَرْضِ صَرْنًا لِحُبِّهِ : سَعَادَةُ حُبِّ الْكُوخِ خَيْرٌ مِنَ الْقَصْرِ
 وَأَنْتَ غَرِيبُ الطَّبَعِ تَنْأَى عَنِ الْوِزْرِ
 فَمَنْ طَارَدَ الْعَنْقَاءَ يَرْتَدُّ بِالْخُسْرِ
 وَلَا فَتَيَاتُ الْعَصْرِ كَالْقَطْرِ وَالزَّهْرِ
 تَهَيَّمُ بِقَلْبٍ قَدْ مِنْ جَلَمَدِ الصَّخْرِ
 صَدِيقُ كَرِيمٍ ، بَرٌّ لِي غَايَةَ الْبَرِّ
 إِزَاءَ غَرَامِي كَالْقَلَامَةِ مِنْ ظُفْرِي
 يَعِيشُ بِحَالٍ لَمْ يَمَسْ مِثْلَهَا مَثَرِ
 يَضْحِي بِمَلِكِ الْأَرْضِ صَرْنًا لِحُبِّهِ : سَعَادَةُ حُبِّ الْكُوخِ خَيْرٌ مِنَ الْقَصْرِ

وَمَنْ يَفْتَقِرَ لِلْحُبِّ يَسَامُ مِنَ الْفَقْرِ
 وَأَيْسَرُ مَا فِي الْحُبِّ ضَرْبٌ مِنَ الْعُسْرِ
 وَمَنْ يُشْبِعِ الْقَلْبَ الْكَبِيرَ مِنَ الْكِبَرِ
 يَرِ الذِّلَّ أَذْهَى مِنْ أَذَى الْمَسَلَكِ الْوَعْرِ

وَرُبَّ هَوَى تَسْتَنْكِرُ النَّفْسُ حَمْلَهُ
 يَرُدُّ الْمَعْنَى عَنْ هَوَى الْكَرِّ وَالْفَرِّ
 أَلَذُّ الْهَوَى مَا كَانَ فِيهِ تَجَاوُبٌ ، وَأَشْقَى الْهَوَى مَا أَلْهَبَ الْقَلْبَ كَالْجَمْرِ
 فَغَنَّ الْهَوَى الْعَذْرَى كَالْوُرْقِ فِي الْفَجْرِ
 وَنَوَّرَ بِهِ الْأَكْوَانَ كَالشَّمْسِ وَالْبَدْرِ

وَقَالَ الَّذِي يُحْيِي الْأَنَامَ بِفَضْلِهِ
وَأَحْيَاكَ فِي رَوْضِ الْأَمَانِي مُكَرَّمًا
مِنْ الْوَجْدِ وَالْآلَامِ يَا دُرَّةَ الْعَصْرِ
فَمَنْ يَنْصَرِفُ لِلنَّفْعِ يُعْرِضُ عَنِ الضَّرِّ

* * *

وَعَابِثَةٍ بِالنَّاسِ ظَنَنْتُ قُلُوبَهُمْ
تَجَزَّأَ مِنْهَا الْقَلْبُ حَتَّى كَأَنَّهُ
فَهَلَّا دَرْتُ أَنَّ النَّدَامَةَ حَظُّهَا ، وَأَنَّ الْهَوَى الْمَهْدُورَ شَاكٍ أَذَى الْهَذَرِ
وَأَنَّ الَّذِي يُغْرِي الْوَرَى وَيَصُدُّهُمْ
فَخَلَّى فُؤَادًا لَنْ تُلَاقِي مَثِيلَهُ
فَقَدْ يُكَثِّرُ الْحُسَادُ ذِمِّي تَشْفِيًا
وَكَمْ مُكْتَرٍ لَمْ يَحْفَظِ الدَّهْرُ قَوْلَهُ
وَيَكْفِيكَ أَنَّ النَّاسَ تَقْرَأُ أُسْطُرِي
يَمُوتُ الْهَوَى كَأَنَّمَتِ يَبِيسُ عَوْدُهُ
وَإِنْ أَحْرَقَ الْمُلْتَاعُ ذِكْرِي غَرَامِهِ
فَإِنْ مَاتَ أَمْسَى مُومِيَاءَ بِقَلْبِهِ
فَأَكْرَمَ بِحُبٍّ لَا فَنَاءَ لِلْمُلْكِهِ
أَلَا عَيْبَ أَطْفَالٍ فَضَّاتُ وَلَمْ تَذَرِ
إِنَاءَ زُجَاجِ هَامَ بِالنَّقَرِ وَالْكَسْرِ
كَمْ يَرْتَجِي النَّفْعَ الْعَمِيمَ مِنَ الشَّرِّ
وَتِيهِي عَلَى الدُّنْيَا بِأَحْبَابِكَ الْكَثْرِ
وَلَكِنْ كُنْهُ الْحَقِّ يُدْرِكُ بِالسَّبْرِ
وَكَمْ مِثْلٍ أَحْيَا الْفَسَى قَلَّ عَنْ سَطْرِ
وَفِي كُلِّ سَطْرٍ مَا يُنِيفُ عَلَى سِفْرِ
فَيَجْمَعُهُ الْحَطَّابُ لِلْحَرَقِ وَالنَّشْرِ
فَرُبَّ صَبُورٍ حَنَطَ الْحُبَّ فِي الصَّدْرِ
لِيُبْعَثَ فِي يَوْمِ النُّشُورِ عَلَى الْفَوْرِ
كَيْذَا الْهَوَى الْمَوْلُودِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ

* * *

أَقُولُ لَهَا، وَالْقَلْبُ هَيَّانَ مُدْنِفُ
أَعَشَقُ قَلْبًا كَأَلْبَحِيرَةٍ حَارًّا
وَفِي وَهْمِهِ أَنَّ الْبَخِيلَةَ لَا تَقْرِي :
بِزُورَقِ عُشَّاقٍ عَلَى سَطْحِهَا يَجْرِي ؟

هُوَ الْقَلْبُ صَوْنِيهِ سَلِيمًا حُبٌّ مَنْ
فَمَنْ أَحْصَنَتْ دُونَ الْعَوَادِي فُؤَادَهَا
وَكَمْ ضَيَّعَتْ حَسَنَاءَ حَظًّا بِجَهْلِهَا
وَرُبَّ ذَكَاءٍ مَا أَفَادَ ذَكِيَّةً
فَخَلَّى الْحَدِيثَ الْحُلُومَ مِلْكَاً لِسَيِّدٍ
وَإِلَّا فَذَوْقِي حَظٍّ مَنْ وَزَعَ الْهَوَى ، كَتَوَزِيعِ أَرْزَاقٍ عَلَى الْعَسْكَرِ الْمَجْرِ

* * *

أَقُولُ لَهَا ، وَالْقَلْبُ بَاتَ مُجِبِّهَا
حَنَانِيكَ دَاوِينِي بِمَا يُبْرِئُ الْجَوَى ، وَصُدِّي ، وَإِلَّا فَاطْرُدِي الشَّرَّ بِالْخَيْرِ
وَلَا تَتْرُكِي فِي الْقَلْبِ شَكَاً لِأَنِّي
أُرِيدُ نَجَاةً يَا أُمِيمَةً فَأُبْعَثِي
فَقَدْ ضَيَّعَ الْعُشَّاقُ قَبْلِي عُقُولَهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْكُبُوا الطَّيِّبَ فِي الْبَحْرِ
وَمَا فَضَّلُوا مَيْتًا عَلَى الْحَيِّ ذِكْرُهُ
وَلَكِنَّ لِلْأَقْدَارِ فِي النَّاسِ غَايَةً
فَسُبْحَانَ مَنْ ضَحَّاكَ نَذْرًا لِعَرْشِهِ
أَسِيرَ رِيَّاحِ كَالْيَمَامَةِ فِي الْقَفْرِ :
غَرِيقٌ يَرَى الْغُرْبَانَ حَامَتٍ عَلَى الْبَرِّ
نَصِيرًا مِنَ الْأَرْوَاحِ لِلْيَائِسِ الْغَرِّ
وَلَا أَعْرِضُوا عَنْ آيَةِ الْمَجْدِ وَالْفَخْرِ
عَلَى كُلِّ فَرْدٍ ، شَاءَ أَوْ لَمْ يَشَأْ ، تَسْرِي
وَضَحَى شَبَابِي الْغَضَّ نَذْرًا عَلَى نَذْرِ

* * *

تَرَكْتُ الْمَلَاهِي فَادَّعَى النَّاسُ جَفَوْتِي
كَأَنَّ الَّذِي يَهْوَى الصَّرَاحَةَ لَا يُغْرِي

وَكُنْتُ رَوُوفًا بِالْأُلَى لَا أَحِبُّهُمْ، فَلَمْ يَعْرِفُوا وَصَلِي وَلَمْ يَشْتَكُوا هَجْرِي
صَنِينٌ بِقَلْبِي أَنْ أَرَاهُ مُتِمًّا تَعَذَّبَ كَمَا لَمْصْفُورٍ ضَلَّ عَنْ الْوَكْرِ
فَيَا رَبِّ أَتَقْذِنِي وَطَهِّرْ جَوَانِحِي ! لِأَنَّ أَلْهَوَى الرُّوحِيَّ يَلْمَعُ فِي فِكْرِي
وَيَا ظَلِيَّةَ الْقَلْبِ الَّتِي شَاعَ ذِكْرُهَا ! وَقَدْ مَلَّهَا غَيْرِي، فَمَالَتْ إِلَى الثَّارِ
خُذِي ذَنْبَكَ الْمَعْلُومَ لِلرَّمْسِ غُصَّةً فَمَا طَابَ بَعْدَ الْيَوْمِ ذِكْرُكَ فِي غَيْرِي
وَإِنْ مَرَّ قَلْبِي بِالْمَكَانِ الَّذِي بِهِ جَلَسْنَا كَجَارِ الشَّوْءِ ظَهْرًا إِلَى ظَهْرٍ
أَسِفْتُ لِمَا قَدْ كَانَ مِنْكَ وَسَاءَنِي مِنْ السَّرِّ مَا يُغْنِي الْأَدِيبَ عَنِ الْجَهْرِ
فَإِنْ يُؤْجَرُ الْعَانِي لِفَرْطِ عَنَائِهِ فَكَمْ مِنْ شَهِيدٍ ظَلَّ خِلَافًا مِنَ الْأَجْرِ
وَكَمْ مِنْ فُؤَادٍ هَامَ بِالْحُسْنِ وَالطُّهْرِ وَعَذَّبَهُ الْأَحْبَابُ بِالْمَدِّ وَالْجَزْرِ
وَكَمْ مُسْتَجِيرٍ بِأَلْهَوَى مَاتَ بَائِسًا، مَلُولًا مِنَ الشَّكْوَى عَلِيلًا مِنَ الْمَكْرِ
فَإِنْ أَتَقَذَّ الْمُنَانُ قَلْبِي مِنَ الضَّنَى فَكَمْ أَضْنَتِ الْأَيَّامُ مِنْ وَالِهِ غَيْرِي
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِيهِ إِهْلَاكُ نَفْسِهِ؟ مَتَى أَدْرَكَ الْجَبَّارُ عَاقِبَةَ الْجَبْرِ
فَيَا مُنِيَّةَ الرُّوحِ الَّتِي كَانَ حَظُّهَا كَطَالِبٍ صَيْدٍ رَدَّ سَهْمًا إِلَى النَّجْرِ
أَرَاكَ، وَقَدْ غَيَّتْ فِي الثَّرْبِ زَهْرَتِي، وَزَهَرَ الرَّبُّ فِي الْقَبْرِ كَالنَّجْمِ فِي الْفَجْرِ
شَهِيدَةً أَخْطَاءٍ تَنْجِي فُؤَادَهَا، مِنْ الْحُزْنِ وَالزَّلَّاتِ بِأَلْكَبَتِ وَالْقَهْرِ
فَمَا ضَرَّ لَوْ طَهَّرْتَ نَفْسَكَ بِالرُّوَى وَبُحْتِ بِمَا يُضْنِيكَ مِنْ غَامِضِ السَّرِّ
فَقَدْ يَذُبُّ الْقَلْبُ الَّذِي مَضَى الْأَمَى وَيَنْفَجِرُ الْعَقْلُ الْمُقَيَّدُ بِالزَّجْرِ

حَبِيبَةَ قَابِي ! لَا قَضَيْتِ بِحَسْرَةٍ
لَقَدْ نَقِمَ الْمَشَاقُّ مِنْكَ لِأَنَّهُمْ
يُحِبُّونَ شَيْئًا غَيْرَ رَوْحِكَ فَأَحْذَرِي
فَكَمْ هَذَبَ الرُّوحُ الذِّكْيُ مَوَاهِبًا
بَنَى الْأَرْضَ الْأَذَلَّ أَمْرُؤُصَانِ غَادَةً ، مِنْ الذَّلِّ وَالْإِغْوَاءِ وَالْمُسْكَرِ وَالنُّكْرِ
فَإِنْ تَعَشَّقُوا مِنْهَا جَمَالًا مُوَلَّيَا
وَإِنْ تَسْأَلُونِي مَا أُرِيدُ أَجَبْتُكُمْ :
وَإِنْ تَسْأَلُونَهَا مَا تُرِيدُ تَحَيَّرْتُ
فَلَوْ عَاشَ قَلْبِي لَا فُتْدَاكَ مِنَ الْحَسْرِ
يُودُّونَ أَنْ لَا تَأْبَهِيَ لِلْأَوَى الْعُذْرِي
وَلَوْ أَذَرَ كَوْهَا فَضْلُوكِ عَلَى الذَّرِّ
وَلَوْ لَاهُ كَانَ الْحُبُّ لَوْنًا مِنَ الْهَذَرِ
خَذُّوْهَا وَخَلُّوْا رَوْحَهَا فِي دَمِي تَجْرِي
وَقَالَتْ لَكُمْ : وَاللَّهِ لَا أَدْرِي

* * *

جَزَاءٍ مِنَ الْأَقْدَارِ خُطَّ عَلَى الرَّبِّي
فَمَنْ يُغْضِ عَنْهُ لَمْ يُوَفِّقْ بِحُبِّهِ
رَبِّي وَعَيْنِيكَ اللَّئِينَ سَقَاهُمَا ، مِنَ السَّحْرِ مَا يُغْرِي بَنَى الرُّوحَ بِالسُّكْرِ :

ذَرِي الزَّهْرَ نَضْرًا كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الصَّدْرِ

وَلَا تُبْعِدِيهِ دُونَ ذَنْبٍ عَنْ الْخِذْرِ

وَلَا تَحْرِمِيهِ الشَّمَّ فَهُوَ حَيَاتُهُ
وَلَا تَطْرَحِيهِ فِي الثَّرَى قَبْلَ مَوْتِهِ
وَصَلِّيْ عَلَيْهِ يَسْتَرْخِ مِنْ عَذَابِهِ ،
كَفَاهُ فِرَاقُ الرُّوْضِ فِي شِرْعَةِ الْغَدْرِ
فَقِي الزَّهْرَ رَوْحٌ لَيْسَ يَهْنَأُ بِالْعَفْرِ
بِفَاتِحَةِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ مَعَ الْعُشْرِ

فَقَدْ تَجَمَّعُ الْأَزْهَارُ فِي الْحُبِّ يَتَمَنَّا كَمَا تَلْتَمِثُ الْأَرْوَاحُ فِي دَارَةِ الْحَشْرِ
هُنَالِكَ تَدْرِي كُلُّ نَفْسٍ مَقَامَهَا وَتَدْفِنُ مَا فِيهَا مِنَ النَّيِّهِ وَالْكَبْرِ

تَعُودُ بِنَا الدَّكْرَى إِلَى الْبَلَدِ الَّذِي دَفَنَّا بِهِ زَهْرَ الرَّبِّي أَبَدَ الدَّهْرِ
فَأَسْمِعُ الْحَسَنَ اللَّوَاتِي رَثِينَهُ رِثَاءَ شُعَاعِ الشَّسْفِ فِي آخِرِ الْعَصْرِ
وَأَشْهَدُ أَلْوَانَ الزَّوَالِ كَمَا نَمَّا، غُصُونُ الرِّيَاضِ الْخَضِرِ آتَتْ إِلَى صَفْرِ
فَأَحْسَبُنِي صَوْتَ الْخُلُودِ مُرَدِّدًا أَنَا شَيْدَ أَطْيَافٍ تَنُوحُ عَلَى الْقَبْرِ

١٩٥١



الْمَفْتُونُ

أَيْهَا الشَّاكِي وَلَا نَاصِرَ لَهُ ! تَنْشِيدُ الشَّعْرِ وَتَهْوَى رَمْلَهُ
خَبِرِ الْأَصْحَابَ : مَاذَا فَعَلْتَ بِفُؤَادِي كَلِمَاتٍ مُرْسَلَةٍ
كَانَ جَهْلًا طَلَبِي الْمَاءَ مِنَ النَّارِ ، وَالطُّهْرَ مِنَ الْمُبْتَذَلَةِ
عِنْدَمَا أُولِمْتُ بِالْحُسْنِ الَّذِي قِيلَ فِي شَرْعِ الْهَوَى : مَا أَجْمَلَهُ
وَأَنَا الْكَارَهُ تَقْبِيلَ فَمٍ يُنْكِرُ الْحُبَّ وَيُعْطِي قُبْلَهُ
يَا عَذَابًا أَشْتَهِي سُلْوَانَهُ فَإِذَا نِلْتُ الْمُنَى عَادَ الْوَلَهُ
كَنْشِيدٍ كُلَّمَا أَنْهَيْتُهُ صَفَقَ الْقَلْبُ وَغَنَى أَوَّلَهُ
أَتُرَى أَبْرَأَ مِنْ دَاءِ الْهَوَى وَالَّذِي أَلْقَاهُ يَذْكُرِي شِعْلَهُ ؟

* * *

عَبَثًا تَأْسِرُ لُبِّي غَادَةً ذَاتُ قَلْبٍ كَيْفَمَا مَالَ أَدَلَهُ
عَشِقْتُ مِنِّي لِسَانًا ذَرِبًا وَتَغَاضَتْ عَن فُنُونِي الْمُنْزَلَهُ
تِلْكَ رُوحِي وَأَغَايِي الَّتِي خَلَدَتْ ذِكْرِي وَشَافَتْ رُسْلَهُ
فَهِيَ تُغْنِينِي عَنِ النَّسْلِ وَمَنْ يَعْتَصِمُ بِالْفَرْجِ يَحْمِلُ مَشْعَلَهُ
وَلَيْتَنِي طَالَ بِهِ اللَّيْلُ فَقَدْ يَنْجَلِي الصَّبْحُ وَيَمْحُو مَلَلَهُ

طالَ ليلي وتَداعى جلدِي
خَضِبَتْ أَدْمُعُهُ أَحْمَـلَامَهُ
يا لَصَبٍّ لَمْ يَقُلْ : ما أَطْوَلَهُ !
مُذْ بِكِي آمالُهُ الْمُرتَحِلَةَ
حَسِبَ الْمُحِبُّوبَ طَهْرًا مائِلًا
وَإِذَا بِالْعَقْلِ كَالْحَادِيَةِ شَدَا :
أَيُّ زَهْرٍ لَمْ يَلَامِسْهُ النَّدى
أَيُّ رَوْضٍ ما رَشَفْنَا جَدْوَلَهُ ؟

* * *

يا بَنِي الْإِنْسَانِ ! ما أَظْلَمَكُمْ
حاسبوا أَنْفُسَكُمْ عَمَّا جَنَتْ
لا تَرْجُوا عَسَلًا مِنْ حَنْظَلَةٍ
كُلُّ ظُلْمٍ سِيْلَاقِي أَجَلَةٍ
كُنَّا أَخْطَأَ لِلَّهِ فَمَنْ
كُنَّا سِلْسِلَةً وَاحِدَةً
فَإِذَا أَفْسَدَ فَرْدٌ جَارَهُ
لا تَقُلْ : تَقْضِي عَلَى خَاطِئَةٍ ،
فِيهِ نَسْمُو وَلَا خَيْرَ لَنَا
وَأُنْحِنِينَ لِثَرِيٍّ مَآكِرٍ
إِنَّمَا أَعْدَاؤُنَا أَنْفُسُنَا
فَارْشِفُوا الْمَاءَ الَّذِي كَدَّرَهُ
جَسَدٌ عَذْبُهُ أَغْضَاؤُهُ
وَلَقَى سُوءًا فَلْيَقُلْ : ما أَعْدَلَهُ !
وَأَلْفَتِي يُسْأَلُ عَمَّا فَعَلَهُ
كَهْرَبِ الْحَادِثُ كُلَّ السِّلْسِلَةِ
جَمَلِ الْإِنْسَانِ عَدْلٌ ظَلَلَهُ
إِنْ تَتَّبَعْنَا سَبِيلَ الْجَهْلَةِ
وَشَرِينَا بِكُؤُوسِ الْقَتْلَةِ
وَلَا تَيْنَا بِمَاضِينَا صَلَهِ
بَعْضُكُمْ حَتَّى تُحِلَّ الْمُشْكِلَةُ
وَكَفَاهُ الْمَاءُ ما أَحْتَمَلُهُ

تَلْعَبُ الْأَهْوَاءُ فِي صَدْرِ الْفَتَى
يَا لِهَذَا الْعُمُرِ مَا أَقْصَرَهُ
وَلِذَاكَ الْمُنتَهَى مَا أَرْذَلَهُ !
دَارُ مَنْ عَاشَ وَلِيًّا أَصْبَحَتْ
كَيفَ لَا تُنْقِذُهَا أَجْنَحَةٌ
مَوْطِنًا لِلْآثِمِينَ السَّفَلَةَ
أَمْعَنَ الْمَفْتُونُ فِي فَتْنَتِهِ
وَأَدْعَى الْبَغْيُ زَوَالَ الْمُعْضَلَةِ
رَفَعَتْهُ، وَأَحْبَبَتْ مِثْلَهُ ؟
وَالْوَرَى يُعْمِنُ فِي غَفْلَتِهِ
وَأَدْعَى الْبَغْيُ زَوَالَ الْمُعْضَلَةِ
قَادَةً تَقْتَادُهُمْ أَهْوَاؤُهُمْ
وَرَعَايَا كَالْبَقَايَا الْمُهْمَلَةِ
يَنْشُدُونَ الْخَيْرَ مِنْ مُفْسِدِهِمْ
وَضَحَايَا الشَّرِّ تَمْشِي مُعُولَةً
عَالَمٌ أَوْدَى بِهِ الْبَغْيُ فَإِنْ
تُصْلِحُوهُ تَأْمَنُوا مُسْتَقْبَلَهُ
لَيْتَ عَيْنِي أَبْصَرْتَ نِعْمَاءَهُ
قَبْلَ أَنْ يَلْقَى الْفَتَى مَا عَمَلَهُ
فَلَقَدْ تَلَقَّى الدَّرَارِي حَتْفَهَا

١٩٥١



ظِلَالُ الْبُحَيْرَةِ

يَا طُيُوفَ الْحُبِّ مَيْسِي فِي الْمِيَاهِ كَظِلَالِ أَلْبَابٍ عَاتِقْنَ النَّخِيلِ
وَالْتَمِي طَيْفًا عَلَى الْمَاءِ أَرَاهُ حَرَّكَ الْأَمْوَاجِ فِي الشَّطِّ الْكَحِيلِ
وَمِنْ الْأَشْوَاقِ فَاضَتْ مُقْلَتَاهُ بَعْدَ أَنْ وَدَّعَهُ الصَّبْرُ الْجَمِيلِ
فَضَحَتْ عَيْنَاهُ أَسْرَارَ هَوَاهُ وَأَهْوَى الرُّوحِي كَالنُّورِ يَسِيلِ
يَا لَصَبٍّ ظَنَّ فِي الْمَاءِ مُنَاهُ وَظِلَالُ النَّخْلِ كَالْفَيْدِ تَمِيلِ

* * *

كَانَ يَحْيَا هَازِنًا كَالْعَنْدَلِيبِ بِهُبُوبِ الرِّيحِ أَوْ مَيْسِ الْغُصُونِ
لَمْ يَكُنْ يُدْرِكُ مَا مَعْنَى النَّحِيبِ لَا وَلَا عَذَابُهُ دَاعِي الْفُتُونِ
فَإِذَا بِالْحُبِّ كَالضَّيْفِ الْغَرِيبِ حَلَّ فِي قَلْبِهِ هُوَ الدَّيْرُ الْمَصُونِ
وَمَضَى يَلْهُو بِهِ دُونَ رَقِيبِ وَعَذَابُ الْقَلْبِ فِي الْحُبِّ يَهُونِ
فَكَأَنَّ الْحُبَّ فِي الدُّنْيَا صَلِيبِ وَكَأَنَّ الْعَاشِقِينَ الْمُجْرِمُونَ

لَا تَكُنْ يَا صَاحِبَ كَالْصَّبِّ الْأَسِيرِ رَوْحُهُ تَهْتَزُّ مِنْ لَوْعَتِهِ
يُرْسِلُ الْأَنَاتِ حَرَى فِي الْأَمِيرِ كَالْهُوَى النَّابِيعِ مِنْ مُهْجَتِهِ
لَيْتَهُ بَرَدَ ذِيكَ السَّعِيرِ كَلَّمَا أَمِنَ فِي حَدَّتِهِ
فَظِلَالُ الْأَيْكَ فِي الْمَاءِ النَّمِيرِ تَذْهَلُ الْمَفْتُونُ عَنْ فِتْنَتِهِ
وَعِلَاجُ الْمُشْتَكِيِّ أَمْرٌ بِسِيرِ نَشَأَتْ شَكْوَاهُ عَنْ خَفَّتِهِ

* * *

مَا أَلْهُوَى إِلَّا أَذْكَارٌ وَأَشْتِيَاقُ وَحَنِينٌ لِلِقَاءِ وَوَصَالُ
فَإِذَا غَنَيْتَ بِالْمَاضِي أَسْتَفَاقُ وَالْهُوَى إِنْ هِجَّتْهُ أَزْدَادُ أَشْتِعَالُ
فَاطْرُدِ الذِّكْرَى بِالْحَنَانِ الْفِرَاقُ إِنَّمَا الدُّنْيَا مَجْبِيَّةٌ وَارْتِحَالُ
وَعَذَابُ الْحُبِّ وَهُمْ لَا يُطَاقُ وَأَمَانِيهِ كَالْوَابِ الزَّوَالُ
كُلُّنَا مَاضٍ إِلَى يَوْمِ التَّلَاقِ وَالَّذِي يَتْرُكُهُ الْمَرْءُ مَقَالُ

* * *

صَاحِبِ ! بَدِّلْ حُبَّ لَيْلَى بِنَشِيدِ فَهُوَ يَشْفِيكَ مِنَ أَلَمِ الْمَقِيمِ
إِنَّ مَنْ خَلَّتْكَ فِي الْحُبِّ شَرِيدِ تَخَذَتْ مَنْ لَا يُدَانِيكَ نَدِيمِ
أَنْتَ تَهْوَى الرُّوحَ وَالسَّرَّ الْبَعِيدِ وَهِيَ لَا تَهْتَمُّ لِلْأَمْرِ الْعَظِيمِ
أَيُّهَا الْمَفْتُونُ ! لَا تَحْفَلْ بِغَيْدِ ذَلَّلَ الْغَادَاتِ فَتَانَ لَيْمِ
لَيْسَ فِي بَثِّ أَلْهُوَى شَيْءٌ جَدِيدِ فَازَ مَنْ غَنَى عَلَى الْأَحْنِ الْقَدِيمِ :

بِالَّذِي عَطَّرَ مِنْ فَيْكِ الْقُبْلَ مِثْلَ شَمِّ الْوَرْدِ فِي رَوْضَتِهِ
وَالَّذِي أَرْسَلَ عَيْنِيكَ مِثْلَ يَمَلَأُ الْأَكْوَانَ مِنْ رَوْعَتِهِ
حَدَّثِي رُوحِي بِمَا يَنْفِي الْمَلَلَ يَرْجِعُ الْقَلْبُ إِلَى بَهْجَتِهِ
وَأَمْسَحِي دَمْعِي بِمَنْدِيلِ الْأَمَلِ دَمْعَةُ الْعَاشِقِ مِنْ حُرْقَتِهِ
لَيْسَ يُجْدِيهِ إِذَا جَاءَ الْأَجَلَ مُشْفِقٌ يَسْعَى إِلَى نَصْرَتِهِ

* * *

وَأَجَلْتُ الطَّرْفَ فِي ذَاكَ الْخِضَمِّ وَبُحَيْرَاتُ الرُّؤْيَى عَنْ جَانِبَتِهِ
فَرَأَيْتُ الصَّبَّ فِي مَهْوَى الْعَدَمِ كَغَرِيقٍ كُلَّمَا مَدَّ يَدَيْهِ
أَعْرَضَتْ عَنْهُ الَّتِي جَارَتْ وَلَمْ تَرْتِ لِلصَّبِّ وَلَمْ تَعْطِفْ عَلَيْهِ
فَكَأَنَّ الْحُسْنَ لَا يَرَعَى الدَّمْعَ وَضَحَايَاهُ مَسَرَّاتُ لَدَيْهِ
وَكَأَنَّ الْبَدْرَ شَادٍ فِي الظُّلَمِ ظَفَرَتْ بِالْبَدْرِ مَنْ حَنَّتْ إِلَيْهِ

* * *

لِلْهَوَى دَائِعٌ وَلِلْبَلَاوَى سَبَبٌ نَظْرَةُ كَالنَّارِ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ
وَحَدِيثُ فَاتِنٍ هَاجَ الطَّرَبُ وَأَمَانٌ تَتَرَاوَى كَالسَّرَابِ
بِهَجَّةِ الْكَوْنِ اتِّتِلَافٌ وَنِسَبٌ وَهَوَى الرُّوحِ اتِّفَاقٌ وَأَصْطِحَابُ
تِلْكَ مُوسِيقَى لَهَا شَرْعٌ عَجَبٌ رَبٌّ وَرَقَاءُ أَطْمَأْنَتْ لِعُرَابِ
وَهَزَارٍ لَمْ يَنْلُ مِنْهَا الْأَرْبُ أَكْثَرَ الشَّدْوِ وَلَمْ يَلَقَ جَوَابِ

حَارَ فِي سِرِّ الدُّنَى لُبُّ الرَّشِيدِ
وَسَطَا الْمَسْكُورُ عَلَى الصَّدَقِ الْأَكِيدِ
كَمْ مُحِبٍّ مَا رَأَى يَوْمًا سَمِيدَ
عَاشٍ كَالْأَيْتَامِ مَحْرُومًا وَحِيدِ
لَا دَهَاكَ الْيَأْسُ فَالْحُبُّ شَهِيدُ :

* * *

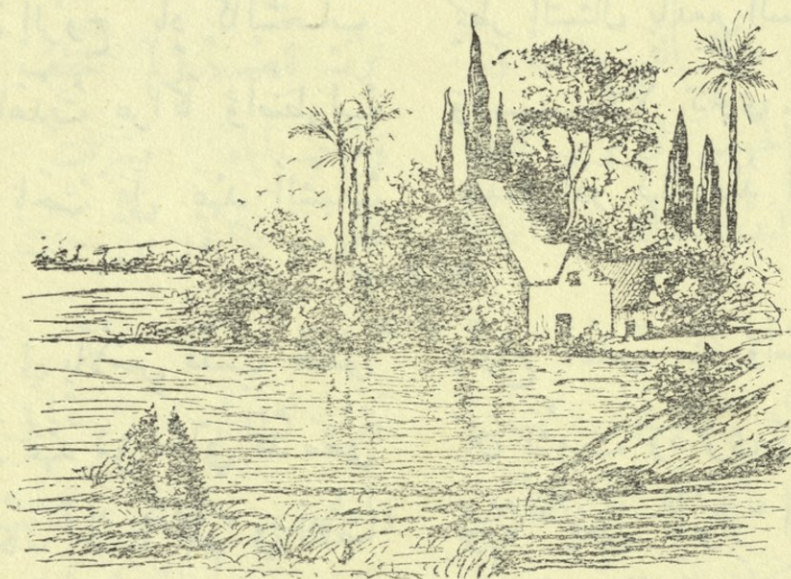
وَإِذَا بِالْحُسْنِ يَهْوِي كَالشَّهَابِ
كَانَ تِمَثَالًا مِنَ الطِّينِ فَذَابِ
وَكَمَالَ الرُّوحُ بِادٍ كَالسَّحَابِ
ثُمَّ شَاهَدَتْ عِرَاكَ وَأُضْطَرَابِ
أَعْيُنُ نَاحَتْ عَلَى عَهْدِ الشَّبَابِ
غَائِصًا فِي لُجَّةِ أَلِيمِ الرَّهِيْبِ
وَتَلَاشَتْ مِنْهُ آثَارُ اللَّيْبِ
يُمِطِّرُ التَّمَثَالَ بِالدَّمْعِ السَّكِيْبِ
وَضِلَالًا تَتَلَوَّى وَتَعِيْبِ
عِنْدَمَا أَدْرَكَهَا عَهْدُ الْمَشِيْبِ

* * *

« كَانَ لِي بِالْأَمْسِ قَلْبٌ فَقَضَى
« ذَاكَ عَهْدٌ مِنْ حَيَاتِي قَدْ مَضَى
« فَكَانَ الْحُبُّ نَجْمٌ فِي الْفَضَا
كَمْ فَتَى بَاتَ عَلَى جَرِّ الْغَضَا
فَإِذَا عَاوَدَهُ الْمَاضِي أَرْضَى
وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْهُ وَأَسْتَرَاخَ »
« بَيْنَ تَشْبِيْبٍ وَذِكْرِي وَنُوحِ »
« نُورُهُ يُمِخِّي بِأَنْوَارِ الصَّبَاحِ »
بَدَّدَتْ آمَالَهُ هُوجُ الرِّيَاخِ
إِنَّ تَذْكَارَ الْأَمْسِ يَشْفِي الْجِرَاخِ

(١) جبران خليل جبران .

لَيْسَ يَا قَلْبِي لِمَا مَرَّ رُجُوعٌ أَمَلْتُ مَاتَ فَلَا يُحْيِي الطَّبَّابُ
لَا تَكُنْ فِي الْحُبِّ كَالطُّفْلِ الْوَلُوعِ قَضَتِ الْأُمُّ وَأَعْيَاكَ النَّجِيبُ
وَالْهَوَى أَمْسَى دَفِينًا فِي الضُّلُوعِ شَاهِدًا عَدْلًا عَلَى ظُلْمِ الْحَبِيبِ
وَإِذَا الْأَصْلُ ذَوَى تَذَوَى الْفُرُوعُ كَظَلَالٍ تَخْتَفِي عِنْدَ الْمَغِيبِ
فَاَنْتَظِرْ فِي دَوْلَةِ الْحُبِّ يَسُوعُ يَبْعَثُ الْأَمْوَاتَ بِالْأَمْرِ الْعَجِيبِ



غرامُ الفلاسفة

عَشِقْنَا ، وَلِلْعُشَّاقِ فِي حُبِّهِمْ سِرُّ
وَرَوْضُ الْهَوَى أَجْبَابُهُ النَّحْلُ وَالزَّهْرُ

وَمَا الْحُبُّ إِلَّا دَمْعَةٌ وَأَبْتِسَامَةٌ ، فَصِفْ الْهَوَى بَرْدًا وَنِصْفُ الْهَوَى حَرًّا
قُلِ الْحُبُّ تَعَرُّ النَّاسِ لِلْحُبِّ هِزَّةٌ « كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَدَلَهُ الْقَطَرُ »^١
فَلَا تَكُ مِمَّنْ لَا يَرَى الْحُبَّ مُنِيَّةً ، وَقَدْ عَشِقَ الْأَغْشَابَ بَدَتْ أَلْدَى الصَّخَرُ
فَأَلْقَتْ عَلَيْهِ حُلَّةً مُخْمَلِيَّةً كَسَتْ صَدْرَهُ حُسْنًا شُعِيرَاتُهَا الْخَضَرُ
فَإِيَّاكَ يَا قَلْبِي إِذَا لَاحَ بَارِقٌ ، مِنْ الْحُبِّ أَنْ تَأْتِي ، فَشَرَعُ الْهَوَى قَسْرُ
وَأَنْتَ الَّذِي عَانَيْتَ كُلَّ مُلِمَّةٍ وَأَدْرَكَتْ أَنَّ الْحُلُوَّ يَأْتِي بِهِ الْمُرُّ

* * *

وَإِنْ عَيَّرَ الْعُشَّاقُ نَشْرُ غَرَامِهِمْ فَإِنِّي لِمِمَّنْ زَانَهُ النِّقْدُ وَالنَّشْرُ
وَإِنِّي لِمُعْتَدٍّ بِعَدْلٍ مَطَائِي ، وَمَنْ يَدْرِغُ بِالْحَقِّ يُكْتَبُ لَهُ النِّصْرُ
وَلَمْ أَكُ مِمَّنْ عَقَلُهُ عَبْدٌ قَلْبِهِ فَيَصْرِفُهُ عَنْ قَصْدِهِ النَّهْيُ وَالْأَمْرُ
أَعَاكِسُ مَنْ أَهْوَى لِأَصْلَحِ شَأْنِهَا فَيَنْتَابِي الْإِيذَاءَ وَالنَّظْرُ الشَّرُّ
وَتَعَبْتُ بِي عَنْ غَايَةٍ لَا هِدَايَةَ وَمَنْ غَابَ عَنْهُ الْخَيْرُ لَمْ يَدْرِ مَا الشَّرُّ

(١) لقيس العامري .

وَرُبَّ حَبِيبٍ لَيْسَ رَأْيُكَ رَأْيَهُ بَنَى الْقَصْرَ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ الْهَوَى قَصْرُ
وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الْحُبَّ رَوْحٌ تَلَالَتُ وَأَنَّ قُصُورَ الْأَرْضِ فِي عُرْفِهَا قَبْرُ
فَلَا خَيْرَ فِي الْفَانِي وَإِنْ عَزَّ قَدْرُهُ وَلَا نَفَعَ مِمَّنْ غَرَّهُ الْمَاسُ وَالذُّرُ
وَإِنْ حُرِّمَتْ بِنْتُ الْكُرُومِ فَكَمْ فَتًى، تَغْنَى بِرَاحِ الْحُبِّ شَرَفَهُ الشُّكْرُ
دَهَانِي وَلَمْ يَظْلِمْ سِوَايَ بَفْهَمِهِ، وَهَلْ يَذْرُكُ الْبَحَّاثَةُ الْفَذُّ مَا السَّحَرُ؟
وَكَمْ وَاللهِ قَبْلِي تَغْنَى وَلَمْ يَكُنْ لِإِنْشَادِهِ يَوْمَ اخْتِبَارِ الْهَوَى أَجْرُ
وَكَمْ مِنْ خَلِيٍّ أَدْرَكَ الْحُبُّ قَلْبَهُ فَخَلَّدَهُ التَّرْدِيدُ لَمَّا انْقَضَى الْعُمُرُ
هُوَ الدَّافِعُ الْمُغْرِي الَّذِي يَبْعَثُ الْهَوَى، وَأَسْعَدُ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ حُبُّهُ الطُّهْرُ
وَفِي الْأَمَلِ الْبَاقِي عَزَاءُ لِعَاشِقٍ وَفِيهِ افْتِتَانٌ هَامَ فِي كُنْهِهِ الْفِكْرُ
يُضِيءُ سَنَاهُ كُلَّ نَفْسٍ كَرِيمَةٍ فَيَلْمَعُ فِي آفَاقِهَا الْفَنُّ وَالشُّعْرُ
وَيَسْوَدُّ شِعْرُهُ دُونَ رُوحِ ثَمِيرِهِ، وَلَكِنْ شِعْرِي أَيْضُ مَذْنَبَتِ الشُّعْرُ
جَاءَتْ قَوَافِيهِ كَمَا اسْتَحْسَنَ الْهَوَى وَسَارَتْ مَعَانِيهِ كَمَا اسْتَرْسَلَ الدَّهْرُ
فَمَنْ كَانَ مِثْلِي هَامَ مِثْلِي بِحُبِّهِ وَمَنْ لَمْ يَهَمْ بِالْبَحْرِ فَلْيَسْكِفْهُ النَّهْرُ
فَمَاعَابِ رَحْبِ الْبَحْرِ جَهْلُ الْوَرَى بِهِ وَلَا ضَيْقَ النُّكْرَانِ مَنْ صَدْرُهُ بَحْرُ
كَفَى الْحُبَّ حَمْدًا أَنَّهُ الْمَاءُ إِنْ جَرَى تَحَوَّلَ رَوْضًا مِنْ مَسَامِيرِهِ الْقَفْرُ
وَكَمْ دَارَةٍ لِلْحُبِّ لَمْ تَبْنِ سَوْرَهَا يَدُ، نَوَّرَتْ أَبْرَاجَهَا الْأَسْطُرُ الْغُرُ
وَعَنَّتْ عَلَى أَفْنَانِهَا الْوُرُقُ آيَةً: سَقَيْتَ الْهَوَى الصَّافِي، وَتَغْرُكَ مَفْتَرُ

فَسَقِيًّا لِيَهْدِ الْحُبَّ سَقِيًّا فَإِنَّهُ
يُمَارِجُ أَنْفَاسَ الْمُحِبِّ عَبِيرُهُ
فَيَا شَارِبَ الْحُبِّ الَّذِي عَاشَ ظَاهِمًا
وَإِنْ كَانَ حَظِّي مَا ذَكَرْتُ فَهَلْ تُرَى
فَيَا مَنْ قَضَيْتُ الْعُمْرَ أَرْسَمُ شَكْلَهَا، بِفِكْرِي كَأَنَّ الرَّسْمَ فِي شِرْعَتِي مَهْرُ
وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ قَصَدَهُ اللَّهُ وَالْهَذَرُ
فَقَدْ يَخْطِئُ الرَّسَّامُ وَالنَّفْسُ تَغْتَرُ
تُرَى مِنْ ضِيَاءِ الْبَدْرِ مَا يَكْتُمُ الْبَدْرُ؟
وَهَلْ نَلْتَقِي إِنْ لَمْ يَقُمْ بَيْنَنَا جِسْرُ؟
أَرَادَتْ، وَقَدْ يَقْضِي عَلَى نَفْسِهِ الْغَرُّ!
مَتَى أَتَلَفَ اثْنَانِ: الْجَرَادَةُ وَالنَّسْرُ
وَلَا كُلُّ مَنْ صَاغَ الْقَرِيضَ لَهُ ذِكْرُ
كَمَا أَنْصَقَلُ الْإِبْرِيْزُ وَأَنْصَهَرَ التَّبَرُّ

١٩٤٠



عَذَابُ الْعَبْرِيِّ

ذَلِكَ الْبَدْرُ كُنْتُ أَذْرِي مَصِيرَهُ بَيْنَ قَوْمٍ لَا يَسْتَحِقُّونَ نُورَهُ
فَكَأَنِّي نُبِّئْتُ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ خَفَايَاهُ ، أَوْ قَرَأْتُ سُطُورَهُ
وَتَمَعَّنتُ فِي الْحَقَائِقِ مِثْلَ النَّاسِ ، لَكِنْ سَبَقَتْهُمْ بِالْبَصِيرَةِ
فَأَتَيْتُ الْوَرَى بِكُلِّ صَرِيحٍ وَأَتَوْنِي بِتُرَاهَاتٍ كَثِيرَةٍ
لَيْتَ شِعْرِي أَكُلَّمَا أَحْزَنُوا الْحَقَّ تَعَهَّدْتُ أَنْ أَرُدَّ سُورَهُ
أَوْ أَقَامُوا لِلْبُطْلِ سُورًا تَصْدِيقًا لِبُطْلَانِهِمْ فَهَدَمْتُ سُورَهُ ؟
هَا أَنَا سَائِرٌ وَحَوْلِي أَنَاسٌ يَمْنَعُونَ عَنْ كُلِّ حُرٍّ مَسِيرَهُ
يَحْجُبُونَ الضِّيَاءَ عَنْ كُلِّ رَأْيٍ أَيُّ مِسْكٍ صَانَ الْخَبَاءَ عَائِرَهُ ؟

* * *

أَيُّهَا الْعَبْرِيُّ ! لَا تَخْشَ شَرًّا عَاشِقُ الشَّرِّ مَنْ يُغْذِي جُذُورَهُ
نَكَدُ الْأَرْضِ نَاجِمٌ عَنْ بَنِيهَا رَبُّ أُمَّ مِنْ وَلَدِهَا مُسْتَجِيرَهُ
أَنْكَرُوكَ وَعَذَّبُوكَ طَوِيلًا مَنْ تَرَى يَطْمِسُ الْبَدُورَ الْمُتَنِيرَهُ ؟
سَوْفَ يَلْقَوْنَ مِنْكَ خَيْرَ جَزَاءٍ يَوْمَ تَسْتَأْسِدُ الظُّبَاءُ الْغَرِيرَهُ
وَسَتَحْيَا بِالرَّغْمِ عَنْهُمْ قَرِيرًا ، عَالَمُ الْفِكْرِ لَا يَخُونُ أَمِيرَهُ

* * *

قِيلَ : إِنِّي مُشَاغِبٌ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ ، قُلْتُ : نَعَمْ الْوَتِيرَةَ
 ذَاكَ فَخَرِي ، وَذَاكَ سِرُّ جَمَالِي وَأَجَلُ الْجَمَالِ طَهْرُ السَّرِيرَةِ
 فَدَعِ الْغَايِمَاتِ يُحْيِينَ ذِكْرِي حِينَ يَرَوْنَ لِلْوَرَى خَيْرَ سِيرَةِ
 قَدْ عَشِقتُ الْجَمَالَ أَتَى تَبَدُّي فَوَجَدْتُ الْجَمَالَ يَهْوَى نَظِيرَهُ
 وَالْجَمَالَ الْكَمَالَ ، فَأَرِثَ لِحَبِّهِ إِنْ تَرَأَى لَهُ جَمَالَ بِصُورَةٍ...
 فَهُوَ يَغْدُو كَمَا لَطْفُ قَلْبًا فِيهِ هَوَى مَا يَرَاهُ ، وَلَيْسَ يَدْرِي ثُرُورَهُ
 أَيُّ حُسْنٍ مِنَ الْمَثَالِبِ خَالٍ ؟ أَيُّ عَيْنٍ بِسِرِّ نَفْسِي خَيْرُهُ ؟
 إِنَّ شَرَّ الْجَمَالِ مَا لَعِبَ التَّضْلِيلُ فِي كُنْهِهِ وَأَدْرَكَتْ زُورَهُ
 أَوَّلَيْسَ التَّضْلِيلُ عَيْنًا مَهُولًا وَذُورُهُ اللَّثَامُ شَرُّ عَشِيرَةٍ ؟

* * *

لَيْتَ مَنْ يَمْلِكُ الْجَمَالَ يُخْلِيهِ بَرِيئًا مِنَ الْعُيُوبِ الْخَطِيرَةِ
 وَيُعَنِّي مِثْلَ الْمَلَائِكِ لِحَنًا يَمْلَأُ الدُّنْيَا بِالْأَغَانِي النَّثِيرَةِ
 قُلْ لِبَدْرِ الدُّجَى سَمِيرِ اللَّيَالِي : يَا حَبِيبَ النُّجُومِ ، وَالْحُبُّ جِيرَةُ
 لَا تَلُمُّهَا ، فَسَنُ أَحَبَّتْ وَحِيدًا حَفِظَتْ عَهْدَهُ وَوَفَّتْ نَذْوَرَهُ
 لَيْتَ مَنْ رَدَدَتْ غَرَامَكَ سِرًّا أَظْهَرَتْ حُبَّهَا وَرَوَّتْ بُذُورَهُ
 لَيْتَهَا أَدْرَكَتْ هِيَامَكَ بِالرُّوحِ فَعَاشَتْ عَلَى هَوَاكَ قَرِيرَةَ
 لَيْتَهَا شَارَكَتْكَ فِي الْوَحْيِ وَالْإِبْدَاعِ يَا ذَا الرُّؤْيَى ، وَكَانَتْ مُشِيرَةَ
 لَوْ رَعَتْ عَهْدَكَ الْكَرِيمَ لَبَاتَتْ ، فِي ظِلَالِ الْمُنَى أَعَزَّ سَمِيرَةَ

وَا عَذَابِي ! مِنْ فَاتِنِ حَسَبِ الْإِخْلَاصِ بَغِيًّا، وَالْمَكْرُمَاتِ جَرِيرَةً
 تَاهَ فِي مَهْمِهِ الضَّلَالِ فَلَمْ أَذْرِ: أَأَبْقَى حَتَّى الْمَمَاتِ أَسِيرَةً
 أَمْ أَمُدُّ يَدَيْهِ فَاسْحَقُ فِي قَلْبِي هَوًى ثَائِرًا وَأَكْسِرُ نِيرَةً؟
 عِزَّةُ النَّفْسِ أَذْرَكَتْنِي فِخْلُ الدَّهْرِ يُفْنِي تِلْكَ الْأَمَانِي الْحَقِيرَةَ
 وَدَعِ الْكُرْهَ يَطْرُدُ الْحُبَّ حَتَّى يَتَلَاشَى، فَيَمْلِكُ الْكُرْهُ دَوْرَهُ
 ثُمَّ يَأْتِي النَّسِيَانُ بَعْدَ سُكُونِ الْحَالِ مُسْتَظْلِمًا، وَيُلْقِي سُتُورَهُ
 أَوَّلَيْسَ النَّسِيَانُ خَيْرًا مِنَ الْعَفْوِ عَنِ اللُّؤْمِ وَالنَّفُوسِ الصَّغِيرَةِ؟
 فَيُجَازِئُ فِي دَوْلَةِ الرُّوحِ عَاتٍ لَمْ تَكُنْ رُوحُهُ بِرُوحِي جَدِيرَةً

* * *

حَدَّثُونِي عَنِ الْمَحَاسِنِ فِي الزَّهْرِ فَثَلِي يَهْوَاهُ الرِّيَاضَ النَّصِيرَةَ
 وَيُشِيرُ الْحَنَاتِ فِيهِ غِنَاهُ يَا لِرُوحِ يَهْوَى الْفُنُونِ الْمُثِيرَةَ
 أَتُرَى تُصْبِحُ الْحَيَاةُ نَعِيمًا عِنْدَمَا الْمُدَّعِي يَقَاضِي خَمِيرَةَ؟
 لَيْتَ نَفْسِي عِطْرُ يَطِيبُ دَهْرِي لَيْتَ فَنِّي الْجَمِيلَ كَانَ أَثِيرَةَ
 لَرَأَى النَّاسُ مِنْ بَسَاطَةِ رُوحِي مَا يُنِيرُ الدُّنْيَا كَشَمْسِ الظَّهِيرَةَ
 وَيُقِيمُ السَّلَامَ فِي الْأَرْضِ حَتَّى يَسْعَدَ الْمَرْءُ فِي الْحَيَاةِ الْقَصِيرَةَ
 « تَعَبَ كُلُّهَا الْحَيَاةُ » فَهَلَا تُدْرِكُ الْمُنتَهَى الْعُيُونُ الْحَسِيرَةَ؟^١

(١) لأبي العلاء المبري .

أَيُّهَا الْعَبْقَرِيُّ! لَا تَبْكِ فَالْنَّوْحُ كَبِيرٌ عَلَى الْنُفُوسِ الْكَبِيرَةِ
 إِنِّي أَكْبْتُ الْكَاتِبَةَ حَتَّى يَغْرَقَ الْقَلْبُ بِالدُّمُوعِ الْغَزِيرَةِ
 وَلَعَلَّ الدُّمُوعَ تَغْسِلُ حُزْنِي حِينَمَا تَقْضِي الذِّكْرِيَّاتُ الْمَرِيرَةَ
 ذِكْرِيَّاتُ الْجَهْلِ مَنْ أَبْصَرَ الْحُسْنَ وَوَالَاهُ ثُمَّ جَافَى بُدُورَهُ
 وَأَسْتَعَاذَ النُّجُومَ عَنْهَا بِدِيلَا أَمَلًا مِنْ أَضْوَائِهَا أَنْ تُنِيرَهُ
 مَنْ أَضَاعَ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ سَيَحْيَا نَادِمًا يَشْتَكِي اللَّظْيَ وَسَعِيرَهُ
 فَجَمِيعُ النُّجُومِ لَا تُدْرِكُ الْبَدْرَ جَمَالًا ، وَلَا تُضَارِعُ نُورَهُ

* * *

هَذِهِ قِصَّةٌ سَمِعْنَا صَدَاهَا فَسَأَلْنَا عَنْهَا الْقُلُوبَ الْكَسِيرَةَ
 فَأَجَابَتْ: لَا تَسْأَلُوا الْأَسَدَ الْوَرْدَ بَيَانًا، فَقَدْ سَمِعْتُمْ زَيْرَةَ
 فَهَتَفْنَا: لَكِنَّهُ كَهَزَارٍ فَرَّ مِنْ أَسْرِهِ فَأَبْدَى حُبُورَهُ

١٩٣٤



الأمم الفرام

الْحُبُّ يَذْكِيهِ صَعْبُهُ وَيَلْدَعُ الْقَلْبَ شَبَهُ
وَيُضْرِمُ الشَّكَّ فِي الصَّبِّ كَلَمًا رَفَّ هُدْبُهُ

وَالشَّكُّ كَالنَّارِ ، وَالْمُسْتَهَامُ يُؤْذِيهِ رُعْبُهُ
فَلَا تُشَكِّكُ مُحِبًّا ، فِي التَّجَاوُبِ جَذْبُهُ
وَفِي الصَّدُودِ عَذَابُ وَالْحُبُّ يَصْعَبُ غَلْبُهُ

كَأَنَّ عُنُقُودَ قَلْبِي شَاقَ الْعَوَازِلِ نَهْمُهُ
لَكِنَّ عَزْمِي صَخْرُهُ إِنْ أَوْهَنَ الصَّبُّ إِرْبُهُ
لَا يُحْمَدُ الْحُبُّ إِلَّا إِذَا اتَّسَى مِنْهُ خَبْهُ

« قَدْ كُنْتُ أَعْجَبُ مَنْ يُحِبُّ مَنْ لَا يُحِبُّهُ »
« حَتَّى أَبْتَلَيْتُ بِمَنْ لَا يُحِبُّنِي وَأَحِبُّهُ »^١
نُجُوتُ مِنْهُ بِلَبِّي وَالْهَجْرُ لِلْقَلْبِ طَبْهُ
وَرُحْتُ أَهْزَأُ مَنْ طَغَى عَلَى الْفَهْمِ عَجْبُهُ
لَا خَيْرَ فِيهِ فِيرْجَى وَالْهَزْءُ بِالصَّبِّ دَابْهُ

(١) البيتان للعباس بن الأحنف .

يَا غُرَّةَ الدَّهْرِ هَلْ عَابَ صَاحِبَ الْفَضْلِ سَبُّهُ
وَهَلْ رَأَيْتَ دَعِيًّا يَهْمُ بِالْفَنِّ لُبُّهُ؟

هَوَاكَ دَائِي عِيَالِي رَعَى فُؤَادَكَ رَبُّهُ
فَإِنْ قَضَيْتَ بَرِيئًا أَحْيَا غَرَامَكَ صَلْبُهُ
وَإِنْ دَهَى الْمَرْءِ حُزْنٌ فَكَمْ تُسَلِّيهُ كُتْبُهُ
وَإِنْ جَفَا الْبَدْرَ قَلْبٌ فَقَدْ تَوَاسِيهِ شُهْبُهُ

مَا ضَرَّ قَلْبَكَ إِمَّا تَلَبَّدَتْ فِيهِ سَحَابُهُ؟
فَأَمْنَعُ عَنِ الْأَرْضِ دَمْعًا يُزْرِي بِنَفْسِكَ سَكْبُهُ
يَا بَاعِثَ الْحَسِّ فِي ابْنِ التُّرَابِ! هَلْ أَنْتَ حَرَبُهُ؟
إِنَّ الْفَخْوَْرَ بِحُبِّ الْفَسَادِ يَعْمُرُ رَأْبَهُ...
مَا الْحُسْنُ إِلَّا صَفَاءٌ فِي الرُّوحِ يَسْعَدُ صَبُّهُ
وَالطُّهْرُ قَلْبٌ سَلِيمٌ يَحْلُو هَوَاهُ وَقُرْبُهُ
فَلَا تُعَاشِرْ جَمِيلًا كَمْ مِنْ جَرِيحٍ يَسْبُهُ

إِنَّ الْجَمَالَ وَلِيدُ الْإِخْلَاصِ، وَالصِّدْقُ دَرَبُهُ
مَنْ يَأْلَفِ الذَّلَّ يَحْسَبُ أَنَّ الْكَرَامَةَ ثَلْبُهُ
وَرُبَّ طَبْعٍ غَرِيبٍ شَرٌّ مِنَ الْمَوْتِ كَرْبُهُ
وَالْمَيْتُ نَفْسًا وَحِسًا أَعْيَا الْأَطِبَّاءُ خَطْبُهُ

وَقَالَ رَبُّكَ مِمَّا يُضِيرُ نَفْسَكَ شُرْبُهُ
فَدَعْ غَرَامَكَ يَذْوِيهِ فَالرَّوْضُ يَصْفُرُ عَشْبُهُ

وَرُبَّ ظُلْمِي غَرِيرٍ دَاءِ التَّقَلُّبِ عَيْبُهُ
لَا يَعْرِفُ الْمَطْفَ إِلَّا إِذَا تَقَرَّحَ جَنْبُهُ
غَنِيَّتُهُ الشَّعْرَ دَهْرًا فَأَعْجَزَ الشَّعْرَ جَلْبُهُ
تَمَافُ نَفْسِي حَبِيبًا يَعَافُ شَرْقَكَ غَرْبُهُ
وَيَسْتَقِيمُ لَدَيْهِ صَوْنُ الْكَمَالِ وَشَطْبُهُ

إِنْ قَالَ : إِنِّي مُحِبٌّ فَوَاضِحٌ مِنْهُ كِذْبُهُ
وَالصِّدْقُ خَيْرٌ مُنْجٍ فَلَيْتَ شِعْبَكَ شِعْبُهُ
وَلَيْتَ كُلَّ هَزَارٍ غَنَى عَلَى الْحَقِّ سِرْبُهُ

يَا عَاشِقَ الشَّكْلِ إِنَّ الْغَرَامَ مَا لَدَى غَضْبِهِ
فَلَا تَهْمُ بِجَمَالٍ أَعْلَى قَلْبِكَ رَيْبُهُ
يَأْبَى زَمَانُكَ إِلَّا أَنْ يَفْسِدَ التُّرْبُ تَرْبُهُ
هَذَا سَبِيلُ الْمَعَاصِي فَلَا يَغُرَّنْكَ عَذْبُهُ
فَرُبَّ رَاعٍ غَرَامًا فِي نَفْسِهِ بَاتَ ذَنْبُهُ

تُبْدِيهِ الْخَفِيِّ فِعَالٌ إِنْ يَحْجُبِ الْمَرْءُ ثَوْبُهُ
وَمَنْ يُصَانِعُ هَوَاهُ فَإِنَّمَا الْحُبُّ لَعْبُهُ

كَمْ مِنْ غَرَامٍ مُوَلِّ
أَغْرَى فُؤَادَكَ وَثْبُهُ
وَهَلْ تُصِيبُ صَفَاءَ
مَنْ أَعَادِيكَ حَزْبُهُ ؟
فَلَا دَهْتِكَ أَلْيَالِي
بِمَا يَسْوءُكَ كَسْبُهُ

مَا أَلْتَبَّرُ إِلَّا تُرَابُ
وَأَفَةُ الْمَرْءِ صَحْبُهُ
وَهَلْ يُضِيءُ مَنَارُ
يَطِيبُ لِلنَّاسِ قَلْبُهُ ؟

فِي ذِمَّةِ الْعَرَبِ بَذَرُ
تَهْوَى الْكُورَاكِبِ عُرْبُهُ
رَأَى بَنُو الْعَرَبِ فِيهِ
فَذَا عَلَا النَّجْمُ كَعْبُهُ
تُرَى أَبَا الدَّفَنِ يَحْيَا
كَأَلْبَنْتِ يَنْمِيهِ تَرْبُهُ ؟
أَمْ يَسْتَحِيلُ قَصِيدَا
وَالشُّرُ يَحْمِيهِ رَبُّهُ ؟

فَنِّي كَفِيلُ خُلُودِي
إِنْ ضَيَّعَ الْفَذَّ شَعْبُهُ
هُوَ الْمُعِيدُ شَبَابِي
إِنْ بَيَّضَ الشَّعْرَ شَيْبُهُ
فَثَوْبُهُ مِنْ نَسِيمِ
بَيْنَ الْأَزَاهِيرِ هَبْهُ
وَنَخْرُهُ مِنْ سَحَابِ
شَاقِ الْمُحِبِّينَ صَوْبُهُ
حَوَتْ مَعَانِيهِ رَوْحًا
كَأَلْبَنْعِ رَوَاكِ عَبْهُ
سُطُورُهُ كَنْبَاتِ
أَمَّا النُّقَاطُ فَحَبْهُ
وَلَيْسَ يَثْنِي نَبِيًّا
عَنِ الرِّسَالَةِ شَجْبُهُ

وَمَا حَيَاتُكَ إِلَّا مِيلَادُ طَيْفٍ وَنَحْبُهُ
يَهْمُ بِالْأَرْضِ حُبًّا وَغَايَةُ الْأَرْضِ سَلْبُهُ

يَا مَنْ لَعِبْتَ بِقَلْبِي كَالْعُودِ حَلَّاهُ ضَرْبُهُ
فَصَاغَ حُبَّكَ لِحْنًا وَآيَةُ الْقَلْبِ خِصْبُهُ
لَا تَعْبَثِي بِنِغَامِي فَالْعُودُ يَقْصِفُ رَطْبُهُ

أَبْدَى غَرَامِكَ سِرِّي وَصَانَ سِرِّكَ حَجْبُهُ
فَلَا تُغْنِي لِي مَنْ لَا يَصُونُ عِرْضَكَ طَلْبُهُ
غَنَى لِقَلْبِي، فَقَنِي وَالشَّعْرُ وَالْفَخْرُ رَكْبُهُ
وَلَيْسَ يَشْتَاقُ إِلَّا قَلْبًا فَلَيْتَكَ قَلْبُهُ

أَضْنَى هَوَاكَ فُؤَادِي وَضَاقَ بِالْحُبِّ رَحْبُهُ
فَلَا أَنُوحُ عَلَيْهِ زَوَالُ مَنْ عَاشَ غِبُّهُ
وَرُبَّ قَيْسٍ يُنَادِي : قَضَى عَلَى الصَّبِّ حِبُّهُ
فَإِنْ سَلَاحُ الْحُبِّ قَلْبِي فَصَدُّ لَيْلَايَ حَسْبُهُ
وَإِنْ تَشَكَّى حَبِيبِي فَإِنَّمَا الذَّنْبُ ذَنْبُهُ



انذار

غَدَاً أَبَدُّ خُلَانَا بِخُلَانِ
 فَلَيْسَ مِنْ مَذْهَبِي مَنْ لَا يُبَادِلُنِي
 وَمَا أَهْوَى بِأَهْوَى حَتَّى تُوَاجِبَهُ
 إِنِّي لَمِنْ مَعْشَرٍ تَأْتِي نَفُوسُهُمْ
 وَإِنَّ بِي خَيْرَ أَسْبَابِ الْغَرَامِ فَلَمْ
 وَاهَاً لِقَلْبِي إِذَا نَارَ أَهْيَامٍ بِهِ !
 وَوَيْحَ نَفْسِي إِذَا هَاجَتْ مَخَافُهَا
 وَلَسْتُ مِمَّنْ ثَوَتْ فِي الْأَرْضِ عِزَّتُهُ
 وَلَيْسَ لِي حَاجَةٌ فِي حُبِّ فَاتِنَةٍ ، إِنَّ لَمْ تَكُنْ أَدْرَكَتْ قَدْرِي وَإِحْسَانِي
 يَا مُنِيَّةَ الرُّوحِ إِنَّ النَّفْسَ زَاهِدَةً وَأَنْتِ عَالِقَةٌ بِالْعَالَمِ الْفَانِي
 أَمَنْتُ بِالْحُبِّ فَاسْتَضَحَكْتَ مِنْ شَغْفِي ، وَلَمْ تُغْنِي أُنَاشِيدِي وَأَلْحَانِي
 مَا عُدْتُ مُضْنَاكِ بَعْدَ الْآنَ فَادِّ كِرِي ، يَوْمَ النَّدَامَةِ كَمْ زَعَزَعْتَ إِيمَانِي

ثورة على الحب

أَقْلَعْتُ عَنْ حُبِّي وَصُنْتُ يَرَاعِي وَالْفَنُّ يُغْرِي الْقَلْبَ بِالْإِقْلَاعِ
وَصَفَحْتُ عَنْ مَلَكِي فِي آلامِهِ سِرٌّ يُسَاعِدُنِي عَلَى الْإِبْدَاعِ
وَالنَّفْسُ تَلْقَى فِي الْغَرَامِ مَذَلَّةً مِثْلَ الْخِرَافِ أَمَامَ سَوَاطِرِ الرَّاعِي
مَا لِي فَتَنْتُ بِحُبِّ مَنْ لَمْ يَسْبِهَا حُسْنُ الْبَيَانِ وَرَنَّةُ الْإِيقَاعِ؟
أَغَضَّتْ عَنِ الْأَدَبِ الْمُبِينِ خُلُودُهُ وَرَنْتُ إِلَى الرَّنَّانِ وَاللَّمَّاعِ
وَطَوَتْ عَلَى اللَّذَاتِ أَيَّامَ الصَّبَا كَأَنَّا نَحْلُ بَيْنَ الرَّشْفِ وَالْإِبْدَاعِ
بُنُسْتُ حَيَاةً مَا لَهَا هَدَفٌ سِوَايَ عَبَّ اللَّذَائِدُ بِاتِّظَارِ النَّاعِي

* * *

وَأَطْلَمْتُ تَرْدِيدِي أَنَا شَيْدَ الْمَلَالِ فِي مَدْحِ آمَالٍ تُشَادُّ عَلَى الرِّمَالِ
فَارْتَاعَ لُبِّي مِنْ أَضَالِيلِ الْمُنَى وَأَعْتَلَّ قَلْبِي مِنْ مُسَايِرَةِ الدَّلَالِ
كُلُّ يَظُنُّ حَبِيبَهُ خَيْرَ الْوَرَى حَتَّى يَغِيبَ الْحُبُّ فِي أَفْقِ الْخَيَالِ
وَكَأَنَّمَا إِشْرَاقُهُ كَمَغِيبِهِ وَهُمْ يَزُولُ مَعَ الزَّمَانِ وَلَا يُزَالُ
وَإِذَا سَأَلْتَ الْعَاشِقِينَ عَنِ الْهَوَى حَارَ الْعَلِيمُ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَى السُّؤَالِ

صُورٌ وَأَمَالٌ تَجِيءُ بِنَظَرَةٍ وَبِاخْطَةِ تَمْضِي وَيَمُتُّهَا الزَّوَالُ
لَوْلَا التَّحَوُّلُ مَا تَجَدَّدَ كَأَنَّ فَاِنْ، وَلَا انْتَصَرَ الزَّوَالُ عَلَى الْجَمَالِ

* * *

وَاهَا لِلَّيْلِ كَيْفَ أَذْرَكَهَا الضَّيَّ وَالسَّهْدُ بَعْدَ أَنْ ارْتَوَتْ مِنْ دَمْعِنَا ؟
كَانَ الْجَمَالُ تَأَلُّقًا فِي لَحْظِهَا وَنَضَارَةً فِي وَجْهِهَا وَتَلَوْنَا
وَالْحُسْنُ ظِلٌّ إِنْ مَضَى عَنْ غَادَةٍ تَرَكَ الْقُنُوطَ بِقَلْبِهَا بَدَلَ الْمُنَى
لَيْتَ التَّجَاعِيدَ الْجَدِيدَةَ عَلَّمْتَ لَيْلَى التَّوَاضُعَ وَالْحَدِيثَ اللَّيِّنَا
فَلَعَلَّ مَا قَدْ فَاتَهَا مِنْ دَهْرِهَا يَرْتَدُّ ثَانِيَةً ، وَمَنْ قَنَعَ اغْتَنَى
يَا دَارَهَا ! رُدِّي لَهَا أَحْلَامَهَا ، وَأُسْتَبْشِرِي ، فَالرَّوْضُ يَعْذِرُ مَنْ جَنَى
وَالزَّهْرُ يَصْفَحُ عَنْ أَذِيَّةٍ مُعْتَدٍ صَفَحَ الْجَرِيحُ إِذَا أَحَبَّ الْأَعْيُنَا

* * *

هَذَا هُوَ السَّرُّ الَّذِي شَغَلَ الْوَرَى يَشْقَى الْمُحِبُّ وَيَشْتَهِي أَنْ يَنْظُرَا
يَسْعَى بِشَوْقٍ كَأَلْفِ رَاشَةٍ حَوَّمَتْ حَوْلَ الْحَبِيبِ لَكِي تَمُوتَ تَحْسُرَا
عَشِقَتْ ضِيَاءَ كَانَ فِيهِ حَتْفُهَا وَقَضَتْ وَلَمْ تَهْوِ الظَّلَامَ تَكْبُرَا
وَالنَّفْسُ تَأَلَّفُ مَا يُمَاطِلُ طَبْعَهَا وَلَعَلَّ فِعْلَكَ عَنْ صِفَاتِكَ أَخْبُرَا
وَكَأَنَّ قَلْبَكَ وَهُوَ أَنْبَلُ عَاشِقٍ صَلَّى بِمِحْرَابِ الْجَمَالِ وَكَبُرَا
وَأَلْتَفَّ بِالطُّهْرِ الَّذِي آيَاتُهُ نَشَرَتْ بِأَجْوَاءِ الْبَرِّيَّةِ عَنَبُرَا
وَكَفَاكَ أَنَّكَ مَا شَغِفْتَ بِحُبِّ مَنْ بَاعَ الْجَمَالَ وَلَا حَسَدَتْ مَنْ اشْتَرَى

يَا آيَةَ الْفَنِّ الْجَمِيلِ الْبَاقِي آمَنْتُ أَنَّكَ نِعْمَةُ الْخَلْقِ
 فَدَعِ الْهَوَى الْمُضْنِي وَخَلِّ هَوَانَهُ أَنْتَ الْجَدِيرُ بِأَدْمُغِ الْعُشَاقِ
 وَأَسْلَمْ بِقَلْبِكَ إِنْ أَحَبَّ وَلَمْ يَجِدْ فِي الرُّوْضِ غَيْرَ الْعُودِ وَالْأَوْرَاقِ
 إِنَّ الَّذِي يَهْوَى الْجُسُومَ حُسْنُهَا لَا يَجْتَنِي إِلَّا لَطْفُ الْأَشْوَاقِ
 لَوْ أَنَّ فِي قِيَمِ الْحَيَاةِ تَنَاسُبًا بَيْنَ الْقَوِيمِ وَفَاسِدِ الْأَخْلَاقِ
 لَأَرْتَاحَ قَلْبِي مِنْ صِرَاجِ مُزْمِنٍ وَمَا تَقَاءَ الرُّوحِ كُلِّ نِفَاقِ
 يَا عَاشِقَ الرُّوحِ النَّقِيَّةِ لَا تَبِعْ سِرَّ الْخُلُودِ بِقُبْلَةٍ وَعِنَاقِ

* * *

وَلَعَلَّ مَنْ تَهَوَّاهُ لَيْسَ بِمُهْتَدٍ فَأَنْبُؤُ الضَّلَالِ عَلَى الْهِدَايَةِ يَتَدَي
 وَلَسَوْفَ يَجْتَثُّ الضَّلَالِ وَأَهْلُهُ حُكْمُ الطَّبِيعَةِ بِاخْتِيَارِ الْأَجُودِ
 أَضْحَى النِّظَامُ صَحِيَّةً مَنبُودَةً وَطَفَى عَلَى الْإِنْسَانِ رُوحُ تَمَرُّدِ
 وَأَسْوَدَ دَهْرُكَ مِنْ تَسَاوُلِ مَا كَرِهَ : أَيْنَ الدَّلِيلُ عَلَى سَوَادِ الْأَسْوَدِ ؟
 كَانَ الْهَوَى الْعُذْرِي خَيْرَ سَجِيَّةٍ وَالْيَوْمَ أَمْسَى الْحُبُّ غَيْرَ مُقَيَّدِ
 وَإِذَا الشُّكُوكُ تَلَاعَبَتْ بِمُتَسِمٍ يَرْتَدُّ عَنْ رَأْيِ الْعَشِيَّةِ فِي الْغَدِ
 لَا نِلْتُ حَظِّي مِنْ نَعِيمِ الْحُبِّ إِنْ أَتَتْ الشُّكُوكُ إِلَى الْحَبِيبِ عَلَى يَدِي

* * *

وَفَحَصْتُ قُلُوبِي بَعْدَ أَنْ عَصَفْتَ بِهِ
فَإِذَا بَازُهَارِ الْغَرَامِ ثَمِيرَةٌ
وَإِذَا بِقُلُوبِي وَالْكَرَاهَةِ حَوْلُهُ
وَرَأَيْتُ لَيْلَى شَبَهَ يَأْسَةٍ وَقَدْ
فَعَجَبْتُ مِنْ ظُلْمِ الْحَبِيبِ لِأَنَّهُ
وَمَضَيْتُ لَا أُلُوِي، فَكَثْرَةُ صَدِّهِ
وَلَسَوْفَ يَذْكُرُنِي وَيَنْدَمُ حِينَمَا
رِيحُ سَمُومٍ فَأُنْثِنِي عَنْ حُبِّهِ
لَعِبَ الدُّبُولُ بِهَا، وَسَارَ بِدَرْبِهِ
كَالْوَرْدِ وَالشَّوْكَ اسْتَقَرَّ بِجَنْبِهِ
صَحِبَتْ غُرَابًا تَسْتَعِينُ بِطَبِّهِ
أَذْكَى أُلْهُوِي، وَأُلْهَجُّرُ كَانَ بِذَنْبِهِ
نَجَّتْ فُؤَادِي مِنْ قَسَاوَةِ قَلْبِهِ
يَلْقَى جَزَاءَ مَرَارَتِي مِنْ رَبِّهِ

١٩٥٢

* * *



مُسْتَهْتَرَةٌ

وَغَانِيَةً أَخْفَى الْجَمَالَ خِصَالَهَا
وَيُبْذِي لَكَ الْبَحْثُ الطَّوِيلُ خَفِيَّهَا
رَعْنَتِي وَلَمْ تَقْبَلْ دِفَاعِي عَنْ الْهُدَى
تَطُوفُ بِلَادَ اللَّهِ، وَالْفِكْرُ شَارِدُ
وَلَمَّا تَجِدْ مِثْلِي أَيْيَا تُجِلُّهُ
وَأَيُّ إِسَارٍ مِثْلُ سِجْرِي، وَمَنْ تُرَى
لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو عَذْلَهَا وَوَفَاءَهَا
فَاحْصَدْتُ مِنْهُمْ سِوَى ضَائِعِ الْمُنَى
وَرُبَّ قِصَاصٍ كَانَ خَيْرًا لِقَاؤُهُ
تَرَاهَا، فَتَهْوَى لَطْفَهَا وَجَمَالَهَا
فَتُذْرِكُ أَنَّ الطُّهْرَ أَلْهِيَّةٌ لَهَا
فَلَمْ تَدَّعِي وَدَّيْ وَتَرْمِي نِبَاهَهَا؟
وَأَنْتِ تَوَارَتْ تَلْقَ طَيْفِي حَيَاهَا
وَيَمَلُّ مِنْ فَيْضِ الْجَمَالِ خَيَاهَا
يَفُكُّ مِنَ السَّحْرِ الْحَلَالِ عِقَالَهَا؟
وَلَكِنَّ حُبَّ الْأَدْعِيَاءِ أَسْتَمَاهَا
فَلَا عَجَبُ إِنَّ غَيْرَ أَلْهَمَ حَالَهَا
وَدَاءُ نَفْيٍ عَنْ ذَاتِ دَلٍّ مَلَاهَا

* * *

سَأَرْتِي لَهَا حَتَّى تَعُودَ فَتَهْتَدِي
وَمَا الْحُبُّ وَالْإِخْلَاصُ إِلَّا بَلَاهَةٌ
وَأَجْهَلُ خَلْقِ اللَّهِ يَمْنَحُ قَلْبَهُ
وَالَا فَلَ دَاوَى الزَّمانُ أَعْتِلَاهَا
إِذَا كُنْتَ تَهْوَى مِنْ تَعَافٍ أَحْتِمِلَاهَا
لِيَهْزَأَ مِنْهُ مَنْ بِإِخْلَاصِهِ لَهَا

أَرَى الظِّلَّ يَسْتَهْوِي الْمُحِبَّ وَإِنِّي
فَإِنِّي وَإِيَّاهَا عَلَى الْحَقِّ أَتَقِي
أَقُولُ لِقَلْبِي وَهُوَ أَكْرَمُ حَاشِقٍ
فَمَا بَلَغَ الرُّكْبُ الْمُجِدُونَ شِعْبَهَا
لَئِنْ شَغَلْتُ بَالِي بِكَثْرَةِ جَرِيهَا
وَأَضْرَمَ فِيهَا هَمٌّ مَنْ لَمْ يَعْجُ بِهِ

لَطَبِي نَفُورٌ إِنْ رَأَيْتُ ظِلَّهَا
وَلَكِنِّي لَا أَسْتَطِيبُ ضِلَالَهَا
حَذَارِكَ مِنْهَا إِنْ أَطَالَتْ دَلَالَهَا
وَلَا عَرَفْتُ خَيْلُ الطَّرَادِ مِثَالَهَا
فَلَا هَذَا الْمَوْلَى مِنَ الْجُرْيِ بَالَهَا
أَخُو نِعْمَةٍ إِلَّا تَعْنَى زَوَالَهَا

١٩٥٢

نَادِمَةٌ

عَاشَ يَهْوَاهَا وَيَسْتَوْحِي جِهَادَهُ
وَأَطَالَتْ فِي الْهَوَى تَعْذِيبَهُ
أَوْهَمَتْهُ أَنَّهَا تَهْوَى بِهِ
لَا ، فَقَدْ هَامَتْ بِمَنْ لَمْ يَحْفَظُوا
مَسْجِدُوا ذُلًّا لَدَيْهَا فَادَّعَتْ
نَهْمَ خَطِّ عَلَى أَظْفَارِهِمْ :
إِنَّ مَنْ تَأْسِرُهُ أَهْوَاؤُهُ
وَلَقَدْ يَسْطُو فَمَنْ لَازَتْ بِهِ

مِنْ هَوَى فَإِنْ رَأَى فِيهِ سَعَادَةً
وَلَعَلَّ الدَّلَّ عِنْدَ الْغَيْدِ عَادَهُ
مَبْدَأُ حُرًّا ، فَهَلْ صَانَتْ وَدَادَهُ ؟
عَهْدَهَا ، وَاتَّخَذُوا مِنْهَا وَسَادَةً
أَنَّ فِي الدُّلِّ عَلَى الْحُبِّ شَهَادَةً
مُنِيَّةُ الْجَائِعِ أَنْ يَقْنِصَ زَادَهُ
عَبْدُ رِقٍ ، وَلَئِنْ أَخْفَى سَوَادَهُ
ضَيَّعَتْ أَثْمَنَ مَا تَمْلِكُ غَادَهُ

وَكَرِيمُ النَّفْسِ يَقْضِي عُمْرَهُ ظَامِئًا، يَرْغَى الَّتِي أَذْمَتَ فُؤَادَهُ
 مِثْلُ عَلِيٍّ سَرَتْ فِي نَفْسِهِ جَعَلَتْ مِنْهُ أَيْبًا ذَا إِرَادَهُ
 عَدْلُهُ يَفْتِنُ أَرْبَابَ النَّهْيِ فَإِذَا مَرَّ بِمَظْلُومٍ أَفَادَهُ
 كَانَ فِي نِيَّتِهِ إِسْعَادُهَا يَا لَصَبِّ سَلَبِ الْحُبِّ رَشَادَهُ

* * *

بِمَدِّ حِينَ أَذْرَكَتَ مَنْ أَهْمَلْتَ أَمْرَهُ، خُسْرَانِ أَحْلَامِ الرِّغَادَةِ
 فَمَضَتْ تَذْرِفُ دَمْعًا قَانِيًا وَمِنْ الدَّمْعِ صَلَاةٌ وَعِبَادَةٌ
 وَتَمَنَّتْ لَوْ رَعَتْ زَهَرَ الرَّبِّيِّ قَبْلَ أَنْ مَاتَ وَلَمْ يُدْرِكْ مُرَادَهُ
 ثُمَّ لَمَّا أَذْكَرْتَ مَا سَمِعْتَ مِنْ شَهِيدٍ خَلَدَ الشُّعْرُ جِهَادَهُ
 مَلَأَتْ مَشْوَاهُ نَبْتًا نَاضِرًا وَغَدَتْ حَارِسَةً تَرْغَى وَرَادَهُ

١٩٥٢



يائسة

عَذَابِي أَلِيمٌ مِنْ مَهَاةٍ أَصَابَهَا
جُنُونٌ مِنَ الْإِخْفَاقِ مَاتَ بِقَلْبِهَا
وَجَيْشٌ مِنَ الْأَهْوَاءِ حَيْرَ لُبِّهَا
وَقَدْ تَأْمَنُ الذُّبَابُ الَّذِي ذَاعَ شَرُّهُ
وَتَعَكِّسُ أَلْفَاظُ الْحَدِيثِ تَنْدُرًا
وَتَأْتِي بِمَا يُؤْذِي الْمُحِبَّ وَتَسْتَحْيِي
وَلَا تَسْتَحْيِي مِنْ طَيْشِهَا وَأَنْفِرَادِهَا
أَغَارُ عَلَيْهَا مِنْ أَزَاهِيرِ دَارِهَا
وَأُشْفِقُ أَنْ تَقْضِيَ الْحَيَاةَ حَزِينَةً
وَكُلُّ أَضْطِرَابٍ قَدْ يَزُولُ عِدا الَّذِي
وَمَا الْمَلَلُ الْمَسْتُورُ خَلْفَ ابْتِسَامِهَا
فَقَدْ مَلَّهَا الْخِلَالُ وَأُسْتَهْزَأُوا بِهَا
فَإِنْ ضَيَّعَتْ حُبِّي لِإِرْضَاءِ غَيْظِهَا
وَإِنِّي لَذَوُ رُوحٍ أَبِي مُسَامِحٍ

مِنْ الْعِشْقِ تَبْرِيحُ أَطَارَ صَوَابَهَا
وَلَذَاتُ مَنْ ضَلُّوا أَسَالَتْ لُعَابَهَا
فَالطَّفُ ذِي لُبٍّ يُثِيرُ أَضْطِرَابَهَا
وَتَحْسَبُ مُحَلَاتِ الْحَيَاةِ ذُنَابَهَا
كَأَنَّ ابْتِعَادَ النَّفْسِ يَعْنِي اقْتِرَابَهَا
إِذَا قَالَ : رُدِّي ، أَنْ تَرُدَّ جَوَابَهَا
يَبْضَعَةُ أَذْنَابِ دَعْتِهِمْ صَحَابَهَا
وَمِنْ ذَاتِ طَوْقٍ لَيْسَ تَبْرَحُ بَابَهَا
وَقَدْ أَبْهَجَتْ آيَاتُ شِعْرِي رِحَابَهَا
يُلَاحِقُ مَنْ شَقَّ الضَّلَالُ حِجَابَهَا
سِوَى أَمَلٍ ذَاوٍ وَهْمٍ أَذَابَهَا
وَلَمْ تَشْكُرِ الْأَرْضُ الْعَرَاءَ سَحَابَهَا
فَإِنَّ ضِيَاعَ الْحُبِّ كَانَ عِقَابَهَا
وَرِقَّةٌ قَلْبِي لَا تُطِيقُ اكْتِتَابَهَا

أُرِيدُ لَهَا سُلُوانَ ماضٍ أَمْضَاهَا
فَهَلْ عَلِقَتْ رُوحِي بِهَا وَأَصَابَنِي
فَرُحْتُ أَدَارِيهَا وَأُبْدِي مَوَدَّتِي
وَلَسْتُ بِمَنْ يَخْشَى الدَّفَاعَ وَإِنَّمَا
هِيَ الصَّخْرَةُ الصَّمَاءُ إِنْ هَابَهَا الْوَرَى
وَإِنْ جَزَأَ اللَّهُ الْوَرَى الرِّخِصُ فُؤَادَهَا
وَحُبُّ الْمَعَالِي لَيْسَ يَسْمَحُ لِلْفَتَى
فِيهَا وَيَلْهَا مِنْ نَفْسِهَا كَمْ تَأَلَّتْ
وَعَاشَتْ كَنَجْلِ الرُّوضِ تَجْنِي لَغَيْرِهَا
وَلَيْسَ لَهَا عَنْهُ غِنَى إِنْ تَبَاعَدَتْ
وَلَمَّا طَوَتْ مِنْ رَيْقِ الْعُمْرِ مَا طَوَتْ
فَبَاتَتْ تُصَلِّي كَالْحَمَامَةِ رُوِّعَتْ :
وَهَبْ لِي جَنَاحَيْهَا لَعَلِّي إِذَا أَعْتَلَى
وَجَدُّ شَبَابِي كَمَا لِلنُّسُورِ تَقَادَمَتْ
لَعَلِّي إِذَا عَادَ الْفُؤَادُ إِلَى الصَّبَا
فَرُبَّ سَبِيلٍ خِلْتُ فِيهَا سَعَادَتِي

فَتَأْنِي، وَكَمْ زَادَ الْإِبَاءَ عَذَابَهَا
مِنْ الْغَادَةِ الْحَسَنَاءِ هُمْ أَصَابَهَا ؟
وَرَا حَتُّ تُرِينِي كَيْفَ تَرْمِي حِرَابَهَا
حِسَابُ غَرَامِي لَمْ يُوَافِقْ حِسَابَهَا
فَأَيُّ أَمْرٍ أَقْلَبَ أَنْ لَا يَهَابَهَا
فَقَدْ وَحَدَتْ نَفْسِي بِفَتَى رِغَابَهَا
بِحُبِّ لَعُوبٍ لَمْ تُطَالِعْ كِتَابَهَا
وَهَامَتْ بِدُنْيَاهَا فَلَا قَتَّ صِعَابَهَا
وَقَدْ أَلَفَ الزَّهْرُ الْوَفَى اغْتِرَابَهَا
فَزَهْرُ الرُّبَى فِي الْيَأْسِ كَانَ شِهَابَهَا
أَثَارَتْ أَضَالِيلُ الْحَيَاةِ أُرْتِيَابَهَا
إِلَهِي ! أُمِّبْنِي عَنْ عَذَابِي ثَوَابَهَا
فُؤَادِي عَنْ الدُّنْيَا أَمْجُ شَرَابَهَا
عَلَيْهَا اللَّيَالِي فَاسْتَعَادَتْ شَبَابَهَا
أَغْيَرُ عَادَاتِ أَلْفَتْ أَصْطَحَابَهَا
سَمِمْتُ مَرَاعِيهَا وَعِغْتُ شِعَابَهَا

فراق

هذا هَوَاكِ ! فَوَدَّعِي عَهْدَ الْهَوَايِ
 بِي مِنْ مَعَانِي الْحُسْنِ مَا فَتَنَ الْوَرَايِ
 وَأَنَا الَّذِي جَعَلْتَ مَحَابِرُ مُهْجَتِي
 كَتَبَ إِلَاةٌ عَلَى جَبِينِي آيَةً :
 يَحْتَلُّهُ مَنْ كَانَ نَدَّ جَمَالِهِ
 كَالْمَاسِ عُدَّ مِنَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ
 يَا مَيِّ تَيَمَّتِ الْفُؤَادَ وَعِفَّتِهِ
 وَلَكُمْ مُتَيَّمَةٌ تَرَكْتُ لِكُنْيِ أَفِي
 سَيِّفُ رَبِّي عَنْ حِسَابِي عِنْدَمَا
 فَلَقْدَ لَقِيتُ جَزَاءَ مَا صَنَعْتُ يَدِي :
 إِنَّ الْهَوَايِ كَالشَّهْبِ فِي أَطْوَارِهِ
 وَالْعُمُرُ أَقْصَرُ مِنْ شِهَابٍ مُسْرِعِ
 لَيْسَ الْهَوَايِ شَغْفِي وَقَلْبُكَ سَالِ
 أَفْهَلُ أَكْبَدُ ذِلَّةَ التَّسَالِ ؟
 أَدْبِي وَفَنِّي مَضْرِبَ الْأَمْثَالِ
 كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنَّ قَلْبَكَ خَالِ
 فَصَفَاؤُهُ قَدْ فَاقَ كُلَّ جَمَالِ
 شَرَفُ الضِّيَاءِ فَبِيعَ بِالْمِثْقَالِ
 طَرَحُ الْمَوَدَّةِ مُنْتَهَى التَّرْحَالِ
 لَكَ ، وَالْجَزَاءُ بِنِسْبَةِ الْأَعْمَالِ
 يَتْلُو الْقَضَاءُ دَفَاتِرَ الْأَجْيَالِ
 رَدَّ السَّهَامِ إِلَى الْفُؤَادِ الصَّالِي
 يَخْبُو ، وَيَتَّبَعُهُ شِهَابٌ تَالِ
 إِنَّ لَمْ يَطْوَلْهُ هُدُوءُ الْبَالِ

الموسيقار

نصوغُ من لاءِجِ الأشواقِ الحانا وغادةُ الفنِّ تسلونا وتنسانا
 كأننا لم نبت « والسَّعدُ ثالثنا » على المَلذاتِ والآلامِ خلانا
 ولم نسامِرْ نجومَ اللَّيلِ في فلكِ مُغرِّدٍ كانَ بالأمالِ مُزدانا
 فسَلْ نديَّ الهوى العذريِّ كم فتنَّتْ، حبيبةُ الروحِ أسماها وأذهانا
 وأبعثَ لها قبلةً يسري بها أرجُ وقلْ لِمَهْدٍ مضى: حدَّثَ بما كانا
 وغنَّ بالذِّكرياتِ الباعثاتِ بنا طيبَ الحياةِ وخلَّ الرِّاحَ والحانا
 يا صاحبَ الفنِّ إنَّ الدهرَ فرَّقنا وأحبُّ يبعثُ في المفتونِ نيرانا
 وأنتَ تُرسلُ غيداً ترتدي نغماً كأنها أعينُ ترنو لنجوانا
 فهل تُعيدُ لنا ما ضاعَ من أملٍ في حُبِّنا الفنَّ أم ترثي لبُلوانا؟

* * *

كم من عظيمٍ أتى للناسِ مُعجزةً وذاقَ من وجعِ الحُسادِ ألوانا
 وكم قلائدٍ لم تُدركْ محاسنها كالتيبرِ عاشتْ، ولما تلقَ عرفانا
 ولم نكنْ ريشةً تلهو الرِّيحُ بها لنُسكرَ الآنَ إعجازاً وتبينانا؟
 وأنتَ تُبدعُ من فكرٍ ومن وترٍ روائعَ الفنِّ الحاناً وأوزانا

تُمَثِّلُ الْكَوْنُ بِالْأَلْحَانِ مُتَّخِذًا
كَمْ آلَةٍ مِنْ جَمَادٍ فِي يَدَيْكَ شَدَتْ
وَأَنْتَ تَسْقِي بِهَا السَّمَّارَ رَاحَ نُهْيُ
وَأَلْفَنُ غَادَةٌ مَنْ لَا غَيْدَ تُؤْنِسُهُ
فَرُبَّ عَاطِفَةٍ مَكْبُوتَةٍ بَدَعَتْ
آمَنْتُ بِأَلْفَنٍ فَهُوَ الرُّوحُ حَلَّ عَلَى
لَوْلَاهُ مَا سَرَحْتَ بِالْفِكْرِ فَاتِنَةٌ
وَلَا رَأَيْتُ الْمُنَى كَالرَّاحِ صَافِيَةٍ
تَقُولُ مُوحِيَّتِي وَالْكَأْسُ فِي يَدِهَا
أَرَاكَ أَظْرَفَ مُفَتِّتٍ، فَوَاعْجِبِي
فَقُلْتُ يَا مَنْ مَلَكَتِ الرُّوحَ فَأَنْصَرَفْتَ عَنْ كُلِّ مُغَرٍّ وَرَامَتْ مِنْكَ تَحْنُنَانَا :
إِنْ لَمْ أَعْظَمْ لَهُ بَيْنَ الْوَرَى شَانَا
وَأُنْفِقُ الْعُمُرَ بِالْحِرْمَانِ، وَلَهْنَانَا
وَأَبْتَنِي مِنْ بَقَايَا الرُّوضِ عِيدَانَا
مِنْ اللَّذَائِدِ وَالْأَطْمَاعِ جِيرَانَا
وَزَالَ مَا سَطَرُوا زُورًا وَبُهْتَانَا
لِقِيَمَةِ الْمَرْءِ مِقْيَاسًا وَمِيزَانَا

يا صاحبَ الفنِّ دَعُهُمْ في عَمَائِهِمْ فَصَاحِبُ أُمَالٍ لَا يُعْطِيهِ مَجَانًا
وَأِنْ سَأَلْنَاكَ « هَلْ أُوتِيَتْهُ هِبَةٌ » وَهَلْ خَلَقْتَ لَهُ طَبْعًا وَوَجَدْنَا « ١٧ »
فَقُلْ: هُوَ الرُّوحُ أَعْطَانِي لِأَعْطِيَكُمْ، وَدَعَكَ مِمَّنْ قَضَوْا بِالْمَالِ إِحْسَانًا
وَأَنْظُرْ إِلَى الْوَرْدِ وَالْأَشْوَاكُ جِيرَتُهُ، أَلَمْ يَكُنْ سَيِّدًا فِي أَرْوَضِ جَدَلَانَا؟
حَارَتْ عُقُولُ الْمَهَا، فِي حُسْنِ ذَاتِ نُهَى، أَذْكَتْ بِقَلْبِهَا، مَا وَلَّهُ الْبَانَا
فِيَا مَهَاةً مِنَ الْجَنَّاتِ مُقْبِلَةً قَدْ حَرَّكَتْ فِي الرِّيَاضِ الْعَنُ أَفْنَانَا
وَأَنْشَدَتْ لَحْنَهَا بَيْنَ الْعِبَادِ فَمَا تَمَالَكُوا أَنْ شَدَّوْا لِلَّهِ شُكْرَانَا
أَتَى يَحْطُ بِكَ النَّرْحَالُ لَنْ تَجِدِي إِلَّا هُتَافًا وَتَصْفِيقًا وَآذَانَا

* * *

يا صاحبَ الفنِّ إِنْ جُزَّتْ الْحَيَاةُ وَلَمْ، تَنْلَ مِنَ الْأَرْضِ مَا أَعْطَتْ سُلَيْمَانَا
فَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْمَجْدَ مُنْبَقِقٌ مِنَ الْحَقَائِقِ، فَالْبَسْ تَاجَكَ الْآنَا
فَكُلُّ تَاجٍ إِذَا كَانَتْ لَالِيَهُ فَنَّا جَمِيلًا يَرَى الْأَعْدَاءُ أَعْوَانَا
قَوْمٌ بِمَجْدِ الدُّنْيَا عَاشُوا أَبَاطِرَةً وَأَنْتَ عِشْتَ بِمَجْدِ الْفَنِّ إِنْسَانَا
مَا ضَرَّ لَوْ أَنْصَنَمَتْ دُنْيَاكَ فَأَنْتَصَرْتَ لِحَقِّكَ الْبَاهِرِ الْمَهْضُومِ أَزْمَانَا

١٩٣٦



(١) لأحمد شوقي .

طريق السلام

أُولِعْتُ بِالْعَدْلِ ، لَا الْأَحْدَاثُ تُلْهِمُنِي ، عَنْ حُبِّهِ ، وَالْمَنَايَا أَيْسَ تَثْنِي
 فَرَحْتُ أَنْصِفُ ، وَالْإِنْصَافُ ضَائِعَةٌ آيَاتُهُ ، كَالْهُدَى بَيْنَ الْمَجَانِينِ
 عَزَّتْ عَلَى مِثْلِهِمْ عَلَيْهِمْ فَعَدَوْا يَرُونَ أَنَّ الْعُلَى إِذْلالُ مِسْكِينِ
 وَرُبَّ رَأْيٍ فَطِيرٍ سَارَ مُنْتَصِرًا بِقُوَّةِ الْمُدَّعِي لَا بِالْبَرَاهِينِ
 حُرِّيَّةُ النَّاسِ فِي تَحْرِيرِ عَيْشِهِمْ قَبْلَ التَّحَرُّرِ فِي التَّفَكِيرِ وَالِدِّينِ
 وَلَا يُفِيدُ الْوَرَى حَبْرٌ عَلَى وَرَقٍ وَلَا هُراءُ مُدَوِّ كَالطَّوَّاحِينِ
 إِنَّ السَّلَامَ الَّذِي مَا زِلْتُ أَنْشُدُهُ مَا زَالَ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ يُغْرِي
 فَلَا وَجُودَ لِحَقِّ الْعَيْشِ فِي بَلَدٍ جِياعُهُ تَشْتَهِي حَظَّ الْبَرَّادِينَ
 وَالْأَغْنِيَاءُ بِهِ لَاهُوتَ مِنْ بَطَرٍ لَا شَيْءَ يَرُدُّعُهُمْ عَنْ نَهْجِ « نَيْرُونِ »
 وَإِنْ يَجِدُ بِفُضُولِ الْمَالِ وَاحِدُهُمْ فَإِنَّ غَايَتَهُ تَسْجِيلُ تَمَنِّيهِ
 أَسْمَوْهُ : إِحْسَانُ ذِي مَالٍ ، فَكَانَ بِهِ كَسَالِبِ رَدِّ بَعْضِ الْحَقِّ بِاللَّيْنِ
 مَا ضَرَّ لَوْ تَرَكَ الْأَمْوَالَ جَارِيَةً لِتَجْعَلَ الْقَفْرَ حَيًّا كَالْبَسَاتِينِ ؟
 بِنُسِّ الْأُلَى سَلَبُوا حَقَّ الْعِبَادِ فَهُمْ أَسُّ الشُّرُورِ وَأَشْبَاهُ الشَّيَاطِينِ
 هُمْ يَرْتَجُونَ دَوَامَ الْحَالِ فَأَنْتَبَهُوا ؛ لَا خَيْرَ إِلَّا بِإِصْلَاحِ الْقَوَانِينِ
 لَيْسَ السَّلَامُ بِمِثَاقٍ نُسْطَرُّهُ إِنَّ السَّلَامَ بِإِنْصَافِ الْمَسَاكِينِ

نظامنا الاجتماعي

في نظام مُرَصَّع الْأَصْفَادِ ما تُجِبُّ بِالشَّقَاءِ وَالْإِجْهَادِ
 لَمْ يَزَلْ نَسْلُ آدَمَ فِي جَحِيمِ يَتَلَطَّى، وَبُؤْسُهُمْ فِي أَزْدِيَادِ
 جَمَعَ الْمَالِ بَعْضُهُمْ فَاطْمَأَنُّوا وَغَدَا غَيْرُهُمْ حَلِيفَ سُهَادِ
 يَرْتَجِي النُّعْمَى مِنْ نِظَامِ عَقِيمِ فَيَرَى الْبَابَ مُحْكَمَ الْإِیْصَادِ
 وَإِذَا شَاخَ لَمْ يَجِدْ مِنْ مُعِيلِ دُونَ حَقِّ الْحَيَاةِ خَرَطُ الْقَتَادِ
 لَيْسَ بِالرُّوحِ وَحْدَهَا الْمَرْءُ يَحْيَا أَيْنَ حَقُّ الْأَجْسَادِ يَا ذَا الرَّشَادِ؟
 أَيْنَ حُرِّيَّةُ الْفَقِيرِ وَهَلْ فِي الْفَقْرِ إِلَّا قَضِيَّةٌ أَسْتَعْبَادِ؟
 وَالْمُسَاوَاةُ فِي الْحُقُوقِ هُزْلٌ وَالْقَوَانِينُ آلَةٌ أَسْتَبْدَادِ
 دَوْلَةُ النَّاسِ لَوْعَةٌ وَصِدَامٌ وَأَذَى مِنْ كَوَى الْمَصَالِحِ بَادِ
 أَبْدَلُوا عُنْجُوبَةَ الدَّمِ بِالْمَالِ، وَبُؤْسَ النُّفُوسِ بِالْأَكْبَادِ
 وَلَعَلَّ الْمَحْرُومَ يَرْتَاحُ لِلْمَوْتِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الزُّهَادِ
 وَإِذَا كَانَ عَالِمًا يَتَمَنَّى عَالِمًا خَالِيًا مِنَ الْأَحْقَادِ
 لَا يَجْمَعُ الْإِنْسَانُ فِيهِ وَيَعْرِى فَيَبِيعُ الْأَرْوَاحَ بِالْأَجْسَادِ
 مَا صِرَاعُ الْأَنَامِ إِلَّا نَذِيرٌ لِلْغَنِيِّ الْمُلْتَدِّ بِالْحُسَّادِ

فَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ شَقَاءِ سَوَادِ النَّاسِ حَتَّى يَلِينَ قَلْبُ الْجَمَادِ
 إِنَّمَا السُّقْمُ وَالْجَهَالَةُ فِرْعَانِ ، وَأَصْلُ الْبَلَاءِ فَقْرُ السَّوَادِ
 أَوْلَيْسَ الْمُحْتَاجُ عَبْدًا لِمَا يَحْتَاجُ مِنْ مَلْبَسٍ وَمَأْوَى وَزَادِ ؟
 سَيَثُورُ الْعَبِيدُ ضِدَّ طُغْيَانِهِ حَرَمَوْهُمْ بِالْفَقْرِ طَيْبَ الرِّقَادِ
 تَخَذُوا أَمْوَالَهُمُ لِلتَّحَكُّمِ ، فَاشْتَقْنَا إِلَى عَهْدِ الرِّقِّ وَالْأَسْيَادِ
 يَوْمَ كَانَ الْعَبِيدُ كَالْبَهَمِ الْأَمِينِ هَمَّ الْإِنْفَاقِ وَالْإِيرَادِ

* * *

أَيْنَ شَرُّ الْخَيْتَانِ مِنْ نَهْمِ الْإِنْسَانِ ؟ أَيْنَ الْإِنْصَافُ بَيْنَ الْعِبَادِ ؟
 وَحُقُوقُ الْمَسْكِينِ حَبْرٌ عَلَى الْأَوْرَاقِ ، لِلْهَزْلِ أَوْ لِنَدْرِ الرَّمَادِ
 تِلْكَ أَضْحَوَكَةُ الدُّهُورِ ، وَإِشْبَاعُ الْجِياعِ بِرَنَةِ الْأَعْوَادِ

* * *

إِنَّ سِرَّ الْحُرُوبِ لَمْ يَبْقَ سِرًّا فَتَتَى الْعَوْدُ عَنْ سَبِيلِ الْفَسَادِ ؟
 وَالسَّلَامُ الصَّحِيحُ فِي وَضْعِ حَدٍّ لِلْغِنَى عَنْ قَنَاعَةٍ وَأَعْتِقَادِ
 وَضَمَانِ الْفَقِيرِ مِنْ آفَةِ الْإِعْوَازِ كَيْ لَا يَعِيشَ كَالْأَوْغَادِ
 ذَلِكَ الْمَدْلُ غَايَتِي ، وَسَبِيلُ الْعَدْلِ فَرَضُ التَّعَاوُنِ الْأَتْحَادِي
 كُلُّ فَرْدٍ لِلْكُلِّ يَحْيَا ، وَمَا الْمَجْمُوعُ إِلَّا سَلَامَةُ الْأَفْرَادِ
 عَجَبًا لِلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ الْمَرْءَ كَالْأَرْضِ تَابِعٌ لِلْبَلَدِ
 وَبِلَادُ الدُّنْيَا مُوَحَّدَةٌ فِي كَوْنِهَا سَائِرٌ إِلَى مِيعَادِ

مَا طَلَبْتُ السَّلَامَ إِلَّا لِأَخِيَا نَاعِمَ أَلْبَالِ مُطْمَئِنَّ الْفُؤَادِ
 إِنَّ ذَاكَ الضِّيَاءَ غَايَتُنَا الْعَلَمُ يَا، فَرُدُّوا السُّيُوفَ لِلْإِعْمَادِ
 وَأَسْلُكُوا، بَعْدَ أَنْ ضَلَلْتُمْ، سَبِيلًا تَضْمَنُ الْفَوْزَ بِالسَّلَامِ الْهَادِي
 هَلْ يُرِيدُ الْوَرَى دَمَارًا سَرِيعًا بِحُرُوبٍ أَتُونَهَا فِي اتِّقَادِ
 أَمْ يُرِيدُونَ غِبْطَةً وَنَعِيمًا لِرُقِيِّ الْأَرْوَاحِ قَبْلَ الْمَعَادِ؟
 لَا تَظُنُّوا السَّلَامَ بِالْحَوْلِ وَالطَّوْلِ، فَلَيْسَ الْإِرْعَادُ كَالْإِنْشَادِ
 إِنَّ أَعْمَالَ النَّاسِ تَعْمَلُ فِيهِمْ فَأَكْتُبُوا بِالْقُلُوبِ لَا بِالْمِدَادِ
 وَأَسْتَعِينُوا عَلَى الْفَسَادِ بِإِصْلَاحِ نِظَامِ الدُّنْيَا وَنَشْرِ الْوِدَادِ

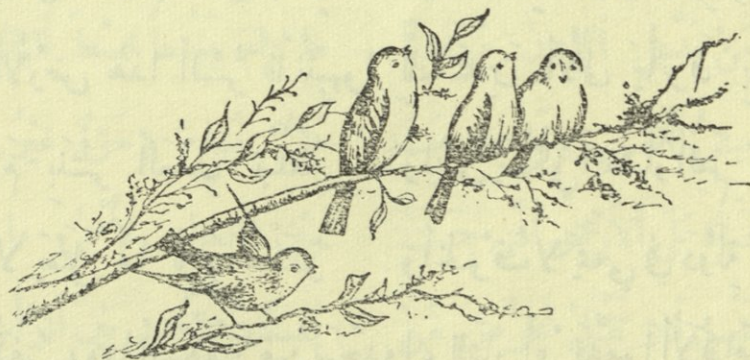
* * *

وَكَأَنَّ السَّمَاءَ رَدَّتْ نِدَائِي بِخِطَابٍ عَنِ الْمَسِيحِ الْفَادِي
 فَهُوَ بِالرَّحْمَةِ الْغَنِيَّةِ آتٍ وَهُوَ بِالْحُبِّ وَالسَّلَامِ يُنَادِي :
 إِنَّ حَالَ الْأَرْوَاحِ فِي دَوْلَةِ اللَّهِ لَرَهْنٌ بِمَا أَتَتْهُ الْأَيَادِي
 فَإِذَا دَهَسَتْكَ عِنْدَلَةُ الْأَطْيَارِ فِي الرُّوضِ، بَيْنَ شَاكِ وَشَادِ
 وَرَأَيْتَ الْحُقُولَ تَرْفُلُ بِالْحُسْنِ زَمَانًا، فَادْكُرْ أَوَانَ الْحَصَادِ
 وَاتَّخِذْ مِنْ حَيَاتِهَا صُورًا تَبْقَى فَإِنَّ الْأَيَّامَ رَهْنُ النِّفَادِ
 مَا لَنَا هَامِئِينَ وَالْمُلُوكُ لَهُوٌ وَالْمَنَايَا تَعْدُو كَخَيْلِ الطَّرَادِ
 « رَبِّ لِحَدِيدٍ قَدْ صَارَ لِحَدَادٍ مِرَارًا ضَاكِ مِنْ تَزَاكُمِ الْأَصْدَادِ »^(١)

(١) لأبي العلاء الممرى .

عِشْتُ مِثْلَ السَّجِينِ أَشَقُّ بَوَادٍ وَفُؤَادِي وَمَا يَرُومُ بَوَادِي
أُرْسِلُ الْفِكْرَ فِي الْفَضَاءِ لِيَلْتَقِيَ رَبُّهُ مُطْلَقًا مِنْ الْأَصْفَادِ
فَأَرَاهُ مُقَيَّدًا بِنِظَامٍ مِنْ مُدِيرِي جَهَنَّمَ مُسْتَفَادِ
هَإِنِّي خَائِفٌ مِنَ الْغَدِ دَوْمًا كَيْفَ لَا؟ وَالشَّقَاءُ بِالْمُرْصَادِ
فَسَأَلْتُ أَخِي الْمُعَذَّبَ مِثْلِي: كَيْفَ نَنْجُو مِنْ زَلَّةِ الْأَجْدَادِ
وَلِمَ إِذَا نُلْقَى بِأَبْنَائِنَا فِي بُؤْسِنَا عَنْ تَعَمُّدٍ وَعِنَادِ؟
قُمْ نُبَدِّلْ مَا نَحْنُ فِيهِ وَإِلَّا لَنْ يُفِيدَ الْأَبْنَاءُ أَيُّ اجْتِهَادِ
كُلُّ يَوْمٍ يَمْضِي، يَزِيدُ بِهِ الْبُؤْسُ وَيَقْصِيهِمْ عَنْ طَرِيقِ السَّادِ
فَأَجَابَ الْأَخُ الْمُعَذَّبُ مِثْلِي قُمْ نُهْدِمْ بِنَاءَ هَذَا النَّادِي
فَلَقَدْ عَفْتُ مَا بِهِ مِنْ فَسَادٍ أَثْبَتَتْهُ مَبَاحِثُ النُّقَادِ
قُمْ نُبَاشِرْ إِصْلَاحَ أَنْفُسِنَا فَالْسَّيْرُ خَيْرٌ مِنْ أَنْتِظَارِ الْمُرَادِ
قُمْ نَشِيدْ عَهْدَ الْعَدَالَةِ فِي الدُّنْيَا لِكَيْ تَغْدُو بِهِجَةً الرُّوَادِ

١٩٥٣



الاقطاعية

فَرَحَ مِنَ الْجَنِّ بَيْنَ الْمُجْرِمِينَ رَبِّي
 فَيَسْتَحِيلُ إِلَى عَلَامَةٍ سَمِيتُ
 بِقُوَّةِ أُمَالٍ يَسْطُو الْعَابِثُونَ عَلَى
 وَالسَّرُّ فِي بُؤْسِ دُنْيَانَا أَنَانِيَّةٌ
 قَاسٍ، وَكَمْ يَدَّعِي رِفْقًا بِأَمَّتِهِ
 أَفْكَارُهُ بِقُيُودِ الْأَرْضِ حَالِقَةٌ
 وَكَلَّمَا شَنَّ حَرْبًا قَالَ مُفْتَخِرًا:
 بَنَسْتُ مُفَاخِرَةً كَأَلْفِ سَخٍّ غَايَتُهَا
 إِنَّ الْغَنَى يَشُنُّ الْحَرْبَ عَنْ بَطْرِ
 سَيْلِهِبُ الْأَرْضِ هَذَا السَّرُّ فَأَنْتَبَهُوا
 إِنَّ السَّلَامَ يَنْشُرُ الْعَدْلَ نَبْلُغُهُ
 وَالْعَدْلُ لَا يَعْتَلِي مَا نَاحَ مُفْتَقِرُهُ
 وَالْجُوعُ كُفْرُهُ، وَمَا الْكُفَّارُ مَنْ سَجَدُوا، لِلنَّارِ أَوْ قَدَّمُوا الْإِكْرَامَ لِلنُّصْبِ

وَلِنَّمَا هُمْ عَبِيدُ الْمَالِ مَنْ جَمَعُوا ، وَجَرَّعُوا النَّاسَ كَأْسَ الذُّلِّ وَالْوَصَبِ
 مَنْ ضَلَّ يَهْدَى إِذَا اسْتَهْوَتْهُ مَوْعِظَةٌ ، لَسَكِنَّ مَنْ جَاعَ لَا يَقْتَاتُ بِالْخَشَبِ
 وَلَنْ يُسَرَّ بِأَطْمَارٍ مُمَزَّقَةٍ وَبَعْضُهُمْ تَاهَ فِي أَثْوَابِهِ الْقُشْبِ
 وَلَنْ يُدَاوِيَ بِتَعْوِيدٍ وَشَعْوَذَةٍ مِنْ الْفَظِيعَيْنِ : دَاءِ الصَّدْرِ وَالْجَرَبِ

* * *

يَا أَيُّهَا الْمُسِرُّونَ الذَّنْبُ ذَنْبُكُمْ وَلَيْسَ ذَنْبَ فَقِيرٍ ذَلٌّ بِالْحَرْبِ
 لَوْ كَانَ مَا فِيهِ فِيكُمْ لَا تُتَصَرَّتْ لَكُمْ ، وَلَوْ عَدَلْتُمْ أَمِنْتُمْ آتِي الْكَرْبِ
 سَلُوا أَلَلَايَ هَلْ تَأْتِي بِفَائِدَةٍ ؟ سِرُّ الْجَمَالِ بِحُسْنِ الْأَخْنِ لَا الْقَصَبِ
 وَالْبَدْءُ وَالْمُنْتَهَى إِنْ نَتَّعِظْ بِهِمَا خَيْرٌ رَدًّا عَلَى أَحْسَابِ ذِي حَسَبِ
 كَذَلِّ غَانِيَةٍ بِالْحُبِّ كَافِرَةٍ تَلْهَوُ بِمُتَحَبِّ وَلَهَانَ مُغْتَرِبِ

* * *

كَمْ يَقْتُلُ الْفَقْرُ آلَافًا مُؤَلَّفَةً وَجَامِعُ الْمَالِ مَسْئُولٌ عَنِ السَّبَبِ
 وَلَيْسَ مَنْ يَدْعِي الْإِيمَانَ مُهْتَدِيًا مَا دَامَ يَغْمِطُ قِسْطَ الْبَائِسِ التَّعَبِ
 وَهَلْ يَعِيشُ الْفَتَى رُوحًا بِلا جَسَدٍ : حَقٌّ مُبَاحٌ وَحَقٌّ غَيْرُ مُكْتَسَبٍ ؟
 حَقُّ الْحَيَاةِ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي جَمَعَتْ بَيْنَ الْعِبَادِ لِأَسْمَى مَا أَتَاهُ نَبِي
 نَفْسٌ بِنَفْسٍ فَلَا تَقْبَلُ تَخْرُصَ مَنْ يُصَنِّفُ النَّاسَ بَيْنَ الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ

يَسْتَعْبِدُ أَمَلٌ مِّنْ لِّمَالٍ عِنْدَهُمْ
لَوْ أَدْرَكَ الْأَغْنِيَاءُ الْبُؤْسَ لَارْتَدَعُوا
يَقُولُ دُسْتُورُهُمْ : إِنَّا سَوَاسِيَةٌ
وَاللَّهِ مَا صَدَقُوا ، فَالْحَالُ نَاطِقَةٌ :
وَقَالَ رَبُّكَ مِنْ أَسْوَأِ مَهْزَلَةٍ
فَلَيْسَ حَقُّكَ فِي الدُّنْيَا كَحَقِّ أَخٍ
« تَخَافُ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ
فَلْيَتَمِظْ مَنْ دَوَامِ الْحَالِ بَغْيَتُهُ
بِالْعَدْلِ تَزْدَهْرُ الدُّنْيَا وَيَمْلَأُهَا
هُنَا طَرِيقَانِ ، فَاخْتَارُوا مُوَدَّةَ

وَمَا الْمُسَاوَاةُ إِلَّا فِي دُجَى الثُّرْبِ
وَأَسْتَعْظَمُوا الْفَرْقَ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
أَيُّ الْحَقِيقَةِ مِمَّا جَاءَ فِي الْكُتُبِ ؟
أَنَّ الْغَنِيَّ سَطَا كَالدُّبِّ فِي الْعِنَبِ
هِيَ الْجُنُونُ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الْعَجَبِ
وَإِنْ نَكُنْ أُمَمًا مَوْصُولَةً النَّسَبِ
إِلَّا عَلَى شَجَبٍ وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ »^١
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسْتَحِمَّ الْأَرْضُ بِاللَّعِبِ
مَعَ الرِّغَادَةِ وَدُّ غَيْرُ مُضْطَرَبٍ
إِلَى السَّلَامِ فَطَيْفُ الْحَرْبِ عَنْ كَثَبِ

١٩٥٣



التَّافُوتُ هَدَام

بِلَادِي هَوَى الدُّنْيَا وَمَأْوَى الْغَرَائِبِ
 وَفِيهَا قَوَانِينُ كَأَثَارِ بَابِلَ
 وَفَقْرٌ وَإِثْرَاءٌ، وَخَفْضٌ وَرَفْعَةٌ
 جَنَّانُ رَحَابٍ تَمَلُّهُ النَّفْسُ بِهَجَّةٍ
 تَلِيهَا نَوَاجِحُ خِيَمِ الْبُؤْسِ فَوْقَهَا
 يَسِيرُ بِهَا الْفَلَّاحُ عُرْيَانٌ حَافِيًا
 وَمَا كَانَ إِلَّا خَادِمًا وَأَبْنَى خَادِمٍ
 وَكَمْ مَرَّةً زَارَ الْمُسَيِّطِرُ أَرْضَهُ
 وَمَنْ أَصَمَّتِ الْأَطْمَاعُ عِزَّةَ نَفْسِهِ
 إِذَا بَاتَ مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ مُسَيِّطِرًا
 وَمَا غَيَّرَ الْمَوْلَى مَعَائِبَ أُمَّةٍ
 لَقَدْ مَزَقَتْ تِلْكَ الْمَهَازِلُ شَمْلَنَا
 فَهِيََّا نُوَحِّدُ لِلْمَظَالِمِ هَمًّا
 وَمَا مِنْ سَبِيلٍ غَيْرُ وَضْعِ ضَمَانَةٍ
 فَمَنْ لِي بِقَانُونٍ يُطْمِئِنُّ أُمَّتِي
 بِلَادِي خَلِيطٌ مِنْ جَمِيعِ الْمَشَارِبِ
 تَذَكَّرُ قَوْمِي بِالْمُصَوِّرِ الذَّوَاهِبِ
 كَانَ قِيَامُ الْعَيْشِ رُوحُ التَّضَارُبِ
 إِذَا نَظَّمْتَ أَضْحَتَ مَحَطَّ الرِّغَائِبِ
 وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ يَسُوغُ لِشَارِبِ
 كَمَنْ أَلْفَتَ رَجُلَاهُ دَوَسَ الْقَارِبِ
 لِمَنْ جَدُّهُ اسْتَجْدَى أَكْفَ الْمَنَاصِبِ
 فَكَانَ عَلَى الْفَلَّاحِ حَمْلُ الْحَقَائِبِ
 يُسَمِّي الَّذِي لَمْ تُضْمِهِ بِالْمُشَاغِبِ
 فَقَدْ أَمْسَتْ الْأَوْطَانُ دَارَ الْعَجَائِبِ
 إِذَا لَمْ تُغَيِّرْ مَا بِهَا مِنْ مَعَائِبِ
 وَبَدَّدَتْ الْأَهْوَاءُ حُبَّ التَّقَارُبِ
 وَنَدَفَعَتْ عَنِ الْأَبْنَاءِ شَرَّ الْمَصَائِبِ
 تَرُدُّ عَنِ الْأَفْرَادِ سُوءَ الْعَوَاقِبِ
 وَيَعْدِلُ بَيْنَ النَّاسِ عَدْلُ الْمُحَاسِبِ

وَمَا الْعَدْلُ إِلَّا مَزْجُنَا الْفَقْرَ بِالْغِنَى
 يُخَدِّرُ رَهْطَ الْبَائِسِينَ هُنَيْهَةً
 وَلَا خَيْرَ فِي حُكْمٍ يُعَالِجُ جَانِبًا
 فَيَا وَيْلَ مَنْ سَادُوا إِذَا قَالَ رَبُّهُمْ :
 وَأَجْعَلْ حُكْمَ الْأَرْضِ وَفَقًا عَلَى الَّذِي،
 فَلَئِنْ الَّذِي يَنْجُو بِقُوَّةٍ مَالِهِ
 وَلَيْسَ غَنِيٌّ لَا يُؤَدِّي ضَرِيبةً
 تَفْتَحُ بَابَ الْمُعْضَلَاتِ أَمَامَهُ
 فَرَبُّكَ لَمْ يَخْلُقْ عَبِيدًا وَسَادَةً
 وَسَاوَى جَمِيعَ النَّاسِ يَوْمَ مَحْيَتِهِمْ
 وَلَيْسَ كَلَامًا فَارِغًا كَالسَّبَاسِبِ
 وَيُضْبِحُ كَالْأَحْلَامِ عِنْدَ التَّجَارِبِ
 مِنْ الدَّاءِ، أَغْنَى عَنْ عَدِيدِ الْجَوَانِبِ
 سَائِرًا لِلْمَسْلُوبِ مِنْ كُلِّ سَالِبِ
 كَمِثْلِ الَّذِي يُرْذِيهِ حَمْلُ الْمَتَاعِبِ
 كَمِثْلِ فَقِيرٍ مُثْقَلٍ بِالضَّرَائِبِ
 وَفِي سَدِّهِ ضَاقَتْ جَمِيعُ الْمَذَاهِبِ
 وَلَكِنَّهُ مَازَ الْفَتَى بِالْمَوَاهِبِ
 عُرَاةً، وَيَوْمَ الدَّفْنِ طَيَّ الْغِيَاهِبِ

١٩٥٣



ذِكْرُ الشَّهِيدِ

القائد يوسف العظمة بطل ميلون

لا تَذْرِفا دَمْعًا عَلَى فَقْدَانِهِ فَالْمَجْدُ وَالْإِقْدَامُ مِنْ أَقْرَانِهِ
قَضِيًّا عَلَى مَضَضٍ بِقَصْفِ شَبَابِهِ خُلُودِهِ وَشَقَاءِ أَهْلِ زَمَانِهِ
وَالْمَوْتُ، كَرْهًا بِالْوَرَى وَكِفَاحِهِ يَتَصَيَّدُ الْأَبْطَالَ مِنْ شُبَّانِهِ
وَيَرَى النُّضَالَ تَحْدِيًّا لِلْجَلَالِهِ فَالْبَطْشُ وَالْإِرْهَابُ مِنْ بُرْهَانِهِ
جَرَحَ الطَّبِيعَةَ فِي صَمِيمِ فُؤَادِهَا مَنْ قَطَّ غُصْنَ الْوَرْدِ فِي نَيْسَانِهِ
وَالْوَرْدُ لَا يَنْفَكُ يَقْطِفُ نَاضِرًا وَدُمُوعُهُ يَلْقَى فِي أَجْفَانِهِ
يُعْطِي وَلَا يُعْطَى، وَيَبْدُو بِاسْمَا وَيَرَى النِّعَمَ الْمَخْضُ فِي حِرْمَانِهِ
جَعَلَ الْبَشَاشَةَ فِي الْحَيَاةِ شِعَارَهُ فَبَلُطْفِهِ يُغْنِيكَ عَنْ شُكْرَانِهِ
فَأَعْجَبَ لِمَنْ قَتَنَ الْأَنَامَ وَلَمْ يَزَلْ عَظَمَاءُ وَهُمْ مَاضِينَ فِي نِسْيَانِهِ
وَالْمَرْءُ كَفَّارٌ، فَإِنْ أَغْرِيَتْهُ بِالْبَذْلِ أَبْدَى الْعُذْرَ عَنْ إِمْكَانِهِ
مَنْ لَمْ يَلْبِ الْمَجْدَ عِنْدَ دُعَائِهِ أَيْعَدُ يَوْمَ الْفَخْرِ مِنْ خُلَانِهِ؟
يَا جَارَ ذَا الْوَادِي الْمُقَدَّسِ تَرْبَهُ بِدِمَاءِ مُهْجَتِهِ وَصِدْقِ طِعَانِهِ
وَمُرُوءِي الْأَمَالِ فِي أَبْنَائِهِ وَمُصَارِعِ الْأَحْدَاثِ عَنْ جِيرَانِهِ
آمَنْتُ بِاللَّهِ الَّذِي كَتَبَ الْجَاهُ دَ عَلَى الرَّسُولِ وَخَصَّهُ بِدِيَانِهِ

وَرَأَيْتُ فِيكَ، وَأَنْتَ تَقْفُو إِثْرَهُ
فَتَمَّتْكَ عِزَّتُهُ، فَكُنْتَ حَبِيبَهُ
هَامَ الْفُؤَادُ بِكُلِّ أَرْوَعٍ مَاجِدٍ
إِنْ كُنْتَ جَنَانًا حَرَسْتَ رِيَاضَهُ
أَذْمَى فُؤَادَكَ أَنْ تَزُولَ وَلَا تَرَى
يَحْمِي الدِّيَارَ مِنَ الْعَوَادِي بِأَسُهُ
وَاهَا لِمَيْشِ أَخِي السَّلَاحِ فَإِنَّهُ
وَلَعَلَّهُ أَذْرَى بِصَوْنِ ذِمَارِهِ
شَرَفُ الْجُنُودِ وَفَاوُهُمْ وَنِظَامُهُمْ
وَهُمْ هُمْ أَبْنَاؤُنَا وَسَيَاجُنَا
قَالَ الْحَكِيمُ لِشَعْبِهِ وَجُنُودِهِ :

* * *
يَا قَائِدَ الْجُنْدِ الْقَلِيلِ عَتَادَهُ
مَا كُلُّ مَنْ عَشِقَ الْعُلَى أَحْلَوَى لَهُ
حَبَاتُ قَلْبِكَ كَالْبُذُورِ نَثَرَتْهَا
أَكْرَمَ بِتُرْبِكَ أَنْ يُثِيرَ قُلُوبَنَا
فَالْمَرْءُ أَرْبَحُ صَفْقَةً بِزَوَالِهِ
وَالرُّوحُ أَهْنَأُ إِنْ تَوَارَى فِي الثَّرَى
هَلْ تَنْقِذُ ابْنَ الْفَنِّ رِفْعَةً شَانِهِ ؟
يَحْلُو الْهَوَى بِالْمُرِّ مِنْ أَحْزَانِهِ
فَجَنَيْتَ حَظَّ الرُّوضِ مِنْ غَرْبَانِهِ
فِي كُلِّ عَامٍ لِارْتِيَادِ جِنَانِهِ
إِنْ ضَاءَ لَيْلُ الْعُمْرِ مِنْ لَمَعَانِهِ
جَسَدٌ جَمِيلٌ الذِّكْرُ مِنْ أَكْفَانِهِ

تِلْكَ الْمَنِيَّةُ فَوْقَ كُلِّ كَرَامَةٍ :
أَرَأَيْتَ يَوْسُفَ كَيْفَ حَنَّ لَوِرْدِهَا ؟
فَاتَّبَعَ هُدَاهُ تَعِشْ عَزِيزاً أَوْ تَمُتْ
إِنَّ الَّذِي يَهْوَى الثَّمَارَ شَبِيهَةٌ
وَالغَيْدُ تَدْفَعُ شَرَّ مُغْتَصِبٍ وَلَوْ
نَدِمَ الْجَبَانُ كَأَنَّ مَا عَانَاهُ مِنْ
وَتَفَخَّخَتْ أَوْدَاجُهُ مِنْ غَيْظِهِ
فَقَرَّبَعَ الْمُسْتَعْمِرُونَ بِصَدْرِهِ
وَتَقَاسَمَتِ أَسْرَابُهُمْ بُسْتَانَهُ
سَلَبُوا بَنِيهِ الْقُوتَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ
وَالْجُوعُ شَرٌّ يُخْرِجُ الْقَدِيسَ عَنْ
فَاقَ ابْنُ آدَمَ كُلَّ وَحْشٍ كَاسِرٍ
مَلَأَتْ مَطَامِعُهُ قَرَارَةَ نَفْسِهِ
وَلَعَلَّ أَنْسَالَ الْكَوَاسِرِ فَضَلَّتْ
كَانَ الْوَرَى يَهْوَى الْحُرُوبَ لِنَايَةِ
ثُمَّ ادَّعَى بِالذَّوْدِ عَنْ أَوْطَانِهِ
وَالْمَالُ يَسْتَهْوِي النُّفُوسَ مَرِيضَةً

رَاعٍ يُضْحِي النِّفْسَ عَنْ خِرْفَانِهِ
كَحَنِينٍ غَرِيدٍ إِلَى الْحَانِهِ
فَالْمَوْتُ عِنْدَ الْحُرِّ دُونَ هَوَانِهِ
لَا يَتْرُكُ الدِّيدَانَ فِي بُسْتَانِهِ
خَدَشَتْهُ ، أَوْ ظَفِرَتْ بِثَلَمِ سِنَانِهِ
أَلَمْ الْمَذَلَّةُ حَزٌّ فِي وَجْدَانِهِ
وَتَقَلَّصَ الْمُسْتَدُّ مِنْ إِيَوَانِهِ
وَتَنَمَّرُوا كَالْهَرِّ فِي دِيَوَانِهِ
شَأْنُ الْجَرَادِ أَتَى عَلَى أَغْصَانِهِ
وَالْمَرْءُ لَا يُجْدِيهِ عَضُّ بَنَانِهِ
أَطْوَارِهِ ، وَالرُّوحُ مِنْ جُثْمَانِهِ
حَتَّى تَلْظِي الْغَابُ مِنْ طُغْيَانِهِ
وَلَعَلَّ بَابَ الشَّرِّ عَقْدُ قِرَانِهِ
عَيْشَ الْقِفَارِ عَلَى أَذَى رَوَّغَانِهِ
فِكْرِيَّةٌ كَالذَّوْدِ عَنْ أَذْيَانِهِ
وَالْآنَ بَاتَ يَذُودُ عَنْ رَنَانِهِ
أَعْظَمُ بَيْنَ يَقْوَى عَلَى شَيْطَانِهِ

أَمُّ الْحُرُوبِ، فَلَيْسَ يَمْنَعُهَا سِوَايَ
وَالْعَدْلُ أَجْمَعُ: وَضَعُ حَدًّا لِلْغِنَى
فَمِنْ الْبَلَاهَةِ أَنْ نُحْطِمَ بَعْضُنَا
مَنْ يَصْطَبِغُ بِدَمِ الضَّعِيفِ رِدَاؤُهُ
وَلَعَلَّنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ نَهْتَدِي
لَوْ كَانَ لِلْبُرْكَانِ عِنْدَ مُخْرَجِهِ
أَيْنَ الْعُقُولُ؟ وَجُلُّ مَنْ تَلْقَاهُ مِنْ
عَدْلٍ يَرُدُّ الْمَرْءَ عَنْ عُدْوَانِهِ
وَالْفَقْرُ، بِالْتَّعْدِيلِ فِي مِيزَانِهِ
حُبًّا بِمَا لَا بُدَّ مِنْ سُلوَانِهِ
لَا يَأْمَنُ الْوِيَلَاتِ مِنْ هَيْجَانِهِ
وَيَعُودُ ذُو الْأَطْمَاعِ عَنْ بُهْتَانِهِ
عَقْلٌ بَكَى أَسْفًا عَلَى ثَوْرَانِهِ
بَشَرٌ يَرَى فِي الْحَرْبِ سِرَّ كِيَانِهِ

* * *

يَا صَاحِبَ الشَّرَفِ الرَّفِيعِ عِمَادُهُ
مَنْ لَا يَهَابُ الْمَوْتَ يَقْرَعُ بَابَهُ
أَمَّا الَّذِي يَهْوَى الْحَيَاةَ فَإِنَّهُ
وَكَاغَتْهُ يَخْشَى الرَّدَى فِي صَحْوِهِ
غَلَبَ الشَّجَاعَةَ مَكْرُ كُلِّ مُخَنَّثٍ
يَا أَيُّهَا الطَّوْدُ الَّذِي شَهِدَ الْوُغَى
إِنْ كُنْتَ تَلْقَى الدَّرْسَ فِي أَنْ الصُّمُودَ عَلَى الْمُصَابِ يَهْدُ مِنْ أَرْكَانِهِ
فَانْظُرْ إِلَى الْوَادِي الَّذِي فِي جَوْهِ
تَلْقَ الْحَدِيدَ يَعْجُ فَوْقَ أَدِيمِهِ
وَمُسَابِقَ الْفُرْسَانِ فِي مِيدَانِهِ
بَسُوفِهِ وَالشُّمْرِ مِنْ مُرَّانِهِ
يَلْقَاكَ بِالْمُنْهَلِ مِنْ نِيرَانِهِ
فَقَرَاهُ يَكْرَعُ مِنْ رَحِيقِ دِنَانِهِ
مَا السَّرُّ يَوْمَ الْكُرِّ كَسْبُ رِهَانِهِ
تَفْرِي الصُّخُورَ، وَلَمْ يَزَلْ بِمَكَانِهِ
هَجَمَتْ مَنَاطِيدُ عَلَى عِقْبَانِهِ
بَارَى الْحَدِيدَ يَضِجُ فِي طَيْرَانِهِ

مَشَتْ الْمَدَافِعُ وَالْجُيُوشُ بِمَعْقِلِ « وَبَنَاتُ دَبْدَبَ » عِثْنَ فِي وَدْيَانِهِ
وَبَدَتْ طَوَائِرُهُمْ يُرْزَلُ قَذْفُهَا حُمَمًا، أَخَا الْهَيْجَاءِ عَنْ إِيمَانِهِ
وَمَشَيْتَ بِالسَّيْفِ الَّذِي أَجْدَاكَ تُسْمِعُهُمْ فَصِيحَ لِسَانِهِ
فَأَسْتَكْبَرُوا فِيكَ الْإِبَاءَ وَهَالَهُمْ بَطَلٌ كَانَ الْمَوْتَ مِنْ فُرْسَانِهِ
وَفَعَلْتَ مَا فَعَلَ الْجَبَابِرُ، إِنَّمَا غَالِ الْقَضَاءِ اللَّيْثَ قَبْلَ أَوَانِهِ
لَوْ أَنَّ فِي ذَاكَ الْقِتَالِ تَكَافُؤًا لَحَمَى عَرِينَ ذَوِيهِ ثَبَتُ جَنَانِهِ
وَالْحَقُّ أَبْلَجُ، لَا يُقَاوِمُ حَامِلُ بَأْسَ الْغَنِيِّ يَعْيشُ مِنْ أَطْيَانِهِ
فَأَبْكُوا عَلَى زَمَنِ تَمَلَّكَ أَهْلُهُ مَا يَمْلِكُ الْفُجَّارَ مِنْ عِبْدَانِهِ

* * *

يَا سَاكِنَ الْقَبْرِ الْمُظْلِلِ رَوْضَهُ عِلْمٌ، بَقَايَا الْمَجْدِ مِنْ أَغْوَانِهِ
قُلْ لِلَّذِي يَبْسِكِي عَلَى أَعْجَادِهِ وَالْمَجْدُ حَيٌّ فِي هَوَايَ أَوْطَانِهِ :
خُذْ مَا تَرَاهُ مِنَ الْعُلَى الدَّانِي الْقُطُوفِ تَصِلْ إِلَى الْعُلُويِّ مِنْ أَفْنَانِهِ
وَكَفَاكَ مِنْ رَوْضِ الْعُلَى الْفَيْنَانِ أَنْ يَتَفَيَّأَ الشُّرَاءُ أَيْكَةً بَانِهِ
مَنْ ذَا يُكَافِي فِضْلَكَ الْبَاقِي عَلَى هَامِ الْبِلَادِ سِوَى فَرِيدِ زَمَانِهِ ؟
عِقْدٌ مِنَ الشُّعْرِ الَّذِي حَسَنَاتُهُ جَمَعَتْ « مَعْرِيَهُ » إِلَى حَسَانِهِ «
يَهْدِي إِلَى الْبَطْلِ الَّذِي فَتَنَ الْوَرَى فِي مَيْسَلُونَ، وَمَاتَ فِي إِبَانِهِ
رَضِيَ الْإِلَهُ عَلَيْهِ فِي مَلَكُوتِهِ وَأَثَابَهُ بِالْخُلْدِ عَنْ إِحْسَانِهِ

حياة العلماء

إِنْ لَمْ تَعِظْنَا الْآيُ وَالسُّورُ فَلَنَتَّعِظُ بِمَصِيرِ مَنْ غَبَرُوا
 « إِنَّا وَفِي آمَالِ أَنْفُسِنَا طَوْلٌ، وَفِي أَعْمَارِنَا قِصَرٌ »
 « لَنَرَى بِأَعْيُنِنَا مَصَارِعَنَا لَوْ كَانَتْ الْأَلْبَابُ تَعْتَبِرُ »^١
 ذَهَبَ الْقَوِيُّ يَتْنُ مِنْ أَلَمٍ وَمَضَى الْخَبِيرُ بِمَا بَنَتْ مُضَرُّ
 وَتَقَامَمَ الدُّنْيَا بَنُو لَهَبٍ فَطَفَعُوا بِهَا، وَبِفَضْلِهَا انْتَصَرُوا
 شَبِعُوا، وَجَاعَ بُنَاةُ أُمَّتِهِمْ حَظُّ الْأَدِيبِ أَلْهَمُ وَالضَّجَرُ
 وَلَيْنَ شَكَ الْعُلَمَاءُ دَهْرُهُمْ فَالْفَقْرُ فِي شَرْعِ النَّهْيِ ظَفَرُ
 لَمْ أَشْكُ يَوْمًا ضِيقَ ذَاتِ يَدِي فَنَهَايَ بَحْرُ مِلْوَةٍ الدَّرُّ
 لَكِنِّي أَشْكُو الزَّمَانَ فَقَدْ سَادَ الظَّلَامُ وَبُرُقِعَ الْقَمَرُ
 وَالْكَهْرْبَاءُ تَبَاعُ غَالِيَةً وَضِيَاءُ شَيْخِ الْعِلْمِ مُحْتَقَرُ
 وَالْبَدْرُ لَيْسَ لِنُورِهِ ثَمَنٌ فَإِلَامَ عَدَلِ النَّاسِ يَنْتَظِرُ؟
 يُلْقَى إِلَيْهِمْ كُلُّ مَأْثَرَةٍ مَا جَاءَهُمْ خَبَرُ
 لَوْ لَمْ أَجِئْ بِرِسَالَةٍ كَرُمَتْ لَنَبَذْتُ فَنَّا بَذَهُ الْحَجَرُ

(١) البيتان : لابن هاني الأندلسي .

تَهْوَى الْمَلَائِكُ حُسْنَهُ فَإِذَا
لَمْ يُدْرِكُوا بِالْعَقْلِ رِفْعَتَهُ
أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا، وَلَا عَجَبُ
مَاذَا يُزِيلُ الْجَهْلَ مِنْ بَلَدٍ
أَغْرَاهُمْ الْفَنَاءُ فَلَا فِكْرُ
وَبَلِيَّةُ الْعُلَمَاءِ مَا بَرَحَتْ
لَوْ أَنَّهُمْ نَثَرُوا بُدُورَهُمْ
هَامُوا بِذِكْرِ لَا يَزُولُ، وَلَوْ
وَعَزَاؤُهُمْ مَا قَالَ وَاحِدُهُمْ:
فَالِى الْإِفَاضَةِ فِي مَكَارِمِكُمْ
وَاللَّهُ يَكْلُوْنِي كَزَنْبَقَةٍ
كَمْ قَدْ غَرَسْتُ وَلَمْ أَنْلِ ثَمَرًا
أَشْقَى، وَأَبْذُلُ مَا تُطِيقُ يَدِي
وَلَيْكَ شِفِ التَّارِيخُ بَعْدَئِذٍ
عَصَرُوا بَنَاتِ الْكَرَمِ فَأَنْعَصَرَتْ
وَقَضَوْا حَيَاةَ كُلِّهَا عِبْرُ

قَبْلَ التَّجَسُّدِ عَافَهُ الْبَشَرُ
وَأَضَلَّهُمْ مَا أَذْرَكَ الْبَصَرُ
جَهْلُ الْحَقَائِقِ فِي الْوَرَى قَدْرُ
أَبْنَاؤُهُ بِالزَّائِلِ افْتَحَرُوا؟
تَسْتَوْفُّ الدُّنْيَا وَلَا صُورُ
كَالْقَفْرِ ضَاعَ بِثَرِبِهِ الْمَطَرُ
بَيْنَ الرِّيَاضِ لَا يَنْعَ الثَّمَرُ
عَرَضُوهُ لَمْ تَحْفَلْ بِهِ الْبَقَرُ
رَكِبُ الْحَضَارَةِ أَصْلُهُ غَجَرُ
وَأَنَا عَلَى التَّوَجِيهِ أَقْتَصِرُ
بِأَشْعَةِ الْأَفْلَاكِ تَدِيرُ
وَلَكُمْ وَصَلْتُ أَحِبَّةً هَجَرُوا
تَمْنِي الْجُسُومُ وَيَخْلُدُ الْأَمْرُ
أَعْمَالُ مَنْ غَدِرُوا وَمَنْ غَدَرُوا
أَهْوَاؤُهُمْ تَبَعًا لِمَا عَصَرُوا
رَاحَتُ مُحَدَّثَةٍ مَنْ أَعْتَبَرُوا

المُسْتَهْزِئُونَ

قالوا : أَتَرْجُو مِنْ إِيَّاهِكَ نَصْرَةً ؟ أَوَلَسْتَ تَعْلَمُ يَا غَيِّي مَشَاغِلَهُ !
 مَا أَنْتَ إِلَّا ذَرَّةٌ فِي مَلِكِهِ سَتَظَلُّ عَنْ سِرِّ السَّعَادَةِ غَافِلَهُ
 فَأَنْعَمَ وَلَدٌ بِمَا حَوَتْ دُنْيَاكَ مِنْ مُتَعٍ ، وَلَا تَرْجُ الْعَطَايَا الْآجِلَةَ
 أَنْفَقْتَ عُمْرَكَ فِي الْمَبَاحِثِ غَائِصًا وَالْعِلْمُ بِحَرْ لَسْتَ تُدْرِكُ سَاحِلَهُ
 وَالْأَرْضُ مِلْكُ الصَّالِحِينَ فَإِنْ تَرَكُنْ مِنْهُمْ ، لَاغْنَتَكَ الْعُلُومُ الطَّائِلَةُ
 وَاللَّهُ لَيْسَ بِنَاصِرٍ عَبْدًا غَوِي مَا دَامَ يَسْرِقُ عِلْمَهُ لِيَمَانِلَهُ

فَأَجَبْتُهُمْ : إِنْ أَرَى أَنْوَارَهُ * * *
 وَأَحْسُ أَنْ مَبَاحِثِي طَابَتْ لَهُ
 فَيَهْزُ بَعْضُهُمُ الرُّؤُوسَ وَيَزْدَرِي
 فَيُصِيبُنِي الشَّكُّ الْمَذِيبُ وَلَيْسَ لِي
 وَأُصَارِعُ الشَّرَكَ الَّذِي نَصَبُوهُ لِي
 فَيَنَالُهُمْ فَرَحٌ لِيَطُولَ تَأْلُمِي
 وَأَخَالُ أَنِّي مِثْلُهُمْ لَا شَأْنَ لِي
 وَأَرَى كَأَنِّي قَدْ قَطَمْتُ عِلَاقَتِي
 أُولَعْتُ بِالْخَطِّ الْقَوِيمِ فَعَابَنِي
 * * *
 مَلَأْتُ فُؤَادِي بِالْهَبَاتِ الشَّامِلَةِ
 وَغُيُوثَ رَحْمَتِهِ الْغَنِيَّةِ حَاجِلَةِ
 بَعْضُ بَأْمَالٍ يَرَاهَا فَاشِلَةً
 صَبْرٌ عَلَى حَرِّ الشُّكُوكِ الْهَائِلَةِ
 وَتَمَرُّ بِسَاعَاتٍ يَأْسٍ قَاتِلَةٍ
 وَتَقْصُ رُوحِي بِالْذُّمُوعِ الْهَاطِلَةِ
 فَأَصِيحُ مُرْتَعِدًا ، وَتَمُشِي الْقَافِلَةُ
 بِرَجَاءِ نَفْسِي كَالْفَتَاةِ الْجَاهِلَةِ
 قَوْمٌ يُحِبُّونَ الْخُطُوطَ الْمَائِلَةَ

كَمْ يَهْزَأُ الْجُهَالُ مِنْ أَهْلِ النُّهَى
يَشْكُونُ شُحَّ الْفِكَرِ غَاضَ مَعِينُهُ
وَكَأَنَّمَا أَمَّاكَ الَّذِي يَهُوُّنَهُ
لَا يَسْتَوِي الْعُلَمَاءُ وَالْجُهَالُ فِي
شَرَفِ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ يَعْرِفُ نَفْسَهُ

* * *

وَالْعَاطِلُونَ مِنْ أَلْيَادِي الْعَامِلَةِ
شَكْوَى الْعُجُولِ مِنَ السِّنِّينَ الْمَاحِلَةِ
عَصْفُ الزَّوَابِيعِ فِي الْفِيَا فِي الْقَاحِلَةِ
شَرَفِ الْوُجُودِ، فَمَا الصِّفَاتُ مُعَادِلَهُ
فَهُمُ التَّكَامُلُ فِي الْقَضَايَا الْكَامِلَةِ

وَإِذَا بِصَوْتِ سَجَلَتِهِ مَسَامِعِي :
سَيَكُونُ كَنُزْكَ نَوْرَ نَفْسِكَ وَالْأَلَى
وَلَسَوْفَ يُنْقِذُكَ الَّذِي يَمِينُهُ
فَيَكُونُ قَدْرُكَ فَوْقَ قَدْرِ مَنْ أَرْتَضَى
فَالشَّعْرُ يَبْقَى لِلْخُلُودِ ، وَتَنْقُضِي
مَنْ هَامَ بِالْوَرْدِ الْنَدِيِّ تَهْوُلُهُ
ظَلَمَ ابْنُ عَبْدِ الْمَالِ شَيْخَ بَنِي الْحِجْجِي
وَأَسْتَضْحَكَ الْفَانِي مِنَ الْبَاقِي وَلَمْ
وَالشَّرُّ أَدْعَى لِلْخَرَابِ مَتَى غَفَتَ
إِنْ كَانَ لِي يَا رَبُّ عِنْدَكَ حُرْمَةٌ
إِذَا ذَاكَ تَنْتَصِرُ الْعَدَالَةُ فِي الْوَرَى

كُنْ وَاثِقًا ، فَصِلَاتُ رَبِّكَ وَاصِلَةٌ
خَذْلُوكَ مَرُوفَ يُعَايِنُونَ النَّازِلَةَ
كَتَبَ الْفَنَاءُ عَلَى الْأُمُورِ الْبَاطِلَةَ
مَا لَيْسَ تَرْضَاهُ النُّفُوسُ الْعَاقِلَةَ
أَوْهَامُ مَنْ عَشَقُوا الْحَيَاةَ الزَّائِلَةَ
أَخْطَاءُ مَنْ عَشَقَ الْغُصُونَ الذَّائِلَةَ
وَرَمَى بِسَلِّ الْمُهْمَلَاتِ فِضَائِلَهُ
يَبْكُ الظُّلُومُ عَلَى الْبُدُورِ الْآفِلَةِ
عَيْنُ السَّمَاءِ عَنِ الْحُدُودِ الْفَاصِلَةِ
فَاهْزَمَ بِنَاءُ الشَّرِّ وَأَهْزَمَ فَاعِلُهُ
وَيَعِيشُ مَنْ عَشَقَ السَّجَايَا الْفَاضِلَةَ

مُهَنْدِسُ السَّلَامِ

نَشَرُ السَّلَامِ إِزَالَةُ الْأَطْمَاعِ
عَبَثًا تُحَاوَلُ قَبْلَهَا إِقْنَاعِي
يَهْوَى السَّلَامَ الْمُوسِرُونَ لِغَايَةٍ
هِيَ مَدُّ عَهْدِ الرِّقِّ وَالْإِقْطَاعِ
وَيَرَى بِهِ الْفُقَرَاءُ نَشْرَ عَدَالَةٍ
بَيْنَ ابْنِ رَبِّ الْمَالِ وَابْنِ الرَّاعِي
شَتَانِ بَيْنَ الْفِكْرَتَيْنِ، وَلَيْتَنِي
حَكَمُ الْخِلَافِ وَفَاتِحُ الْأَصْقَاعِ
لَأَرَيْتُ رَهْطَ الْمَاكِرِينَ عَجَائِبًا
مِنْ عَدْلِ أَحْكَامِي وَمِنْ إِبْدَاعِي
وَفَتَحْتُ أَعْيُنَ مَنْ تَعَامَوْا أَذْهَرًا
عَنْ حَقِّ شَعْبٍ جَائِعٍ مُلْتَاعِ
وَوَصَلْتُ نَارَ قَصَائِدِي بِقُلُوبِهِمْ
مِنْ بَعْدِ أَنْ وَصَلْتُ إِلَى الْأَسْمَاعِ

١٩٥٣

الْحَمَّالُونَ

دُنْيَاكَ لَهْوٌ، وَالْحَيَاةُ زَوَالُ
مَاذَا يُفِيدُ الْكَرَمَةَ الْإِقْبَالُ؟
وَالنَّاسُ قَطَّافُونَ بَعْضُهُمْ أَرْتَضَى
أَكَلَ الْقَلِيلِ، وَبَعْضُهُمْ حَمَّالُ
يَقْضِي الْحَيَاةَ بِنَقْلِ أَغْنَابِ الْأُلَى
لَمْ يَأْكُلُوا، وَجَزَاؤُهُ الْإِغْفَالُ
إِنَّ النِّهَايَةَ قِصَّةٌ مَعْلُومَةٌ
عَنْ مَرَجِعِ طُرْحَتٍ بِهِ الْأَثْقَالُ
نَقَلَ الْغَنَى الْمَالَ مِنْ أَيْدٍ إِلَى
أُخْرَى، فَهَلْ هُوَ عِنْدَهَا عَتَالُ؟
وَمَضَى بِلاَ أَجْرِ سِوَى لَعْنَاتٍ مَنْ
سَلَبَتْ حُقُوقَهُمْ، وَظَلَّ الْمَالَ
لِلْمَرْءِ مِنْ دُنْيَاهُ حَاجَةً عَيْشِهِ
وَهَوَى الزِّيَادَةِ حُرْقَةً وَوَبَالَ

١٩٥٣

فَلَسَفَةُ الْخُلُودِ

لَا بُدَّ مِنْ تَغْيِيرِ الْأَشْكَالِ
فَالْأَرْضُ لَمْ تَأْلَفْ دَوَامَ الْحَالِ
وَالشَّيْءُ لَا يَفْنَى، فَإِنْ كُنْتَ جَسَدًا
فَالطَّيْنُ فِي شَرْعِكَ بَاقٍ لِلْأَبَدِ
وَإِنْ يَعُدُّ لِلْقُوَّةِ الْأَصْلِيَّةِ
عُدَّتْ لَهَا وَانْتَهَتْ الْقَضِيَّةُ
وَإِنْ تَقُلُّ رُوحٌ أَنَا، أَجِبْ: عَجَبُ!
أَتَحْسَبُ الرُّوحَ يَنَالُهَا الْعَطَبُ؟
مِنْهَا تَأْتَتْ سَائِرُ الْأَكْوَانِ
وَسَوْفَ تَنْحَلُّ مَعَ الزَّمَانِ
وَغَيْرُهَا يَبْدُو وَيَمُضِي، وَالْعَمَلُ
مَا زَالَ فِي تَسْلُسُلٍ مُنْذُ الْأَزَلِ
وَأَنْتَ فِي الْحَالَيْنِ بَاقٍ سَرْمَدًا
وَإِنْ تَكُنْ تَجْهَلُ مَا تَعْدُو غَدًا

١٩٥٣

الْمَدِينَةُ الْفَاضِلَةُ

لَا خَيْرَ فِي بَلَدٍ عَمَّ الثَّرَاءُ بِهِ
إِنْ لَمْ يَهْمِ أَهْلُهُ بِالْعَدْلِ وَالْكَرَمِ
وَكَيْفَ يَسْمُو الْأُلَى أَخْلَاقَهُمْ ذَهَبَتْ
لَمَّا اسْتَعَاذُوا عَنِ الْأَنْوَارِ بِالظُّلَمِ؟
وَأَنْكَرُوا لَذَّةَ الْأَرْوَاحِ وَأَتَّخَذُوا
شِعَارَهُمْ لَذَّةَ الْأَجْسَامِ كَمَا لِبَهُمِ
لَا يَنْفَعُ الْعِلْمُ قَوْمًا لَا خَلْقَ لَهُمْ
وَهَلْ يُبَاهِي عَقِيمُ الْفِكْرِ بِالْقَلَمِ؟
وَأَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ يَدْعُو شَهَادَتَهُ
لِنَصْرِهِ وَهُوَ فِي الْإِنْتِاجِ كَالْعَدَمِ
فَلَيْسَ يَنْفَعُهُ مَالٌ وَلَا نَسَبٌ
إِنْ بَاتَ تَفْكِيرُهُ أَضْحَوَكَةَ الْأُمَمِ
وَالْحَقُّ سِرٌّ خَطِيرٌ لَيْسَ يُدْرِكُهُ
مَنْ ظَنَّ عَاقِبَةَ الْأَرْوَاحِ كَالرَّمَمِ

١٩٥٣

الرُّوحُ وَالْمَسَادَّةُ

أَنْكَرْتَ عَيْنَايَ أَطْيَافَ الذَّهَبِ عِنْدَمَا عَايَنْتَا فَنِّي الرَّفِيعِ
يَا لَكُلْسٍ نَبَذْتَ بِنْتَ الْعِنَبِ وَحَوَتْ أَطْيَابَ أَزْهَارِ الرَّيِّعِ
فَكَأَنَّ الْفِكْرَ فِي الشَّكْلِ أَنْسَكَبَ وَهُوَ لَوْلَا الشَّكْلُ مَنْبُودٌ وَضِعِ
إِنَّ مَنْ أَخْفَقَ فِي فَهْمِ الطَّرَبِ ظَنَّ رُوحَ الْفَنِّ فِي صَوْتِ الْمُدِيعِ
وَعَدَا الْإِنْسَانُ يَهْوَى مَا أَثْقَلَبَ جَسَدًا يُغْرِي، فَهَلْ ضَلَّ الْجَمِيعُ؟
أَيُّهَا الْمَفْتُونُ هَلْ يُؤْتِي النَّشَبِ لَذَّةَ أَفْضَلٍ مِنْ حُسْنِ الصَّنِيعِ
أَمْ تُرَى لَمْ تَكْتَسِبْ رُوحَ الْأَدَبِ قُوَّةَ رَائِعَةٍ لَوْلَا الْبَدِيعُ؟

١٩٥٣

وَحْدَةُ الْكَوْنِ

حِينَما تَنْفَصِلُ النَّفْسُ وَيَنْحَلُّ الْجَسَدُ
تَرْجِعُ الرُّوحُ إِلَى الْبَارِي كَتَبَارِ شَرْدُ
صُورٍ تَأْتِي وَتَمْضِي وَهُوَ بَاقٍ لِلْأَبَدِ
كُلُّ مَا تَلْقَاهُ مُرْتَدٌّ إِلَى الْفَرْدِ الصَّمَدِ
فَتَأْمَلْ أَيُّهَا الْمَخْدُودُ فِيمَا لَا يُحَدُّ

١٩٥٣

أَنْشُودَةُ الْحَيَاةِ

سَكَنْتَ رُوحِي إِلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ كَسُكُونِ الرَّوْضِ بَعْدَ الْعَاصِفَةِ
إِنَّ مَنْ يَظْفَرُ بِالْذُرِّ الثَّمِينِ لَيْسَ تَغْرِيبُهُ النَّشُودُ الزَّائِفَةَ

* * *

حَارَبْتَ نَفْسِي الْهَوَى فَاَنْتَصَرْتَ وَأَجَلَ النَّاسِ مِنْ يَهْوَى السُّكُونِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا فَتَاةٌ حَمَلَتْ فَإِذَا مَوْلُودُهَا رَيْبُ الْمَنُونِ

* * *

لَا تَظُنُّونِي أَخَا مَالٍ يَتِيهِ كَيْ يَذِلَّ النَّاسَ تَيْهًا وَاعْتِلَاءً
إِنَّ مَنْ يَفْخَرُ بِإِلْفَانِي سَفِيهِ كَمْ عَزِيزٍ حَطَّمَتْهُ الْكِبْرِيَاءُ

* * *

فَخَرُّ نَفْسِي بِاللَّذِي سَوَى الْوَرَى وَهُوَ لَا يَنْفَكُ بَرًّا بِهِمْ
كَيْفَ تَسْتَهْوِيكَ أَشْكَالُ الثَّرَى وَعَنْ الْإِبْدَاعِ لَمْ تَسْتَفْهِمِ؟

* * *

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَهْمَا تَخْتَرِعَ أَنْتَ فَانِ وَإِلَى الْأَرْضِ تَعُودُ
فَاذْكُرِ الْمَوْتَ لِتَحْيَا وَأُمْتَنِعَ عَنْ أَذَى قَوْمٍ لَدَى الْحَقِّ سُجُودُ

المفكر

وا طولَ شوقي إلى الخلود في عالم الفكر والرؤى
وكم تمنيت أن يعود ذاك الخيال الذي نأى

هناك استعذبُ المقام كأننا الخلد مأمب
فلا شقاء ولا صدام ولا فؤاد معذب

وكيف يرضى عن الشهاد من لم يوفق بحبه
يا قلب! ذل الذي استفاد من المرأي وطبه

إن لم تكن مصلح العباد فلا أقل من الكلام
هي لهم خطة الجهاد ليفهموا العدل والنظام

وأذهب وغازل شذا الغصون وما تغني العنادل
في الروض شيء من الفتون في حبة القلب نازل

يوحي إليك هوى يدوم ونشره ينفع البشر
أحلى الهوى حبك العلوم والشعر والعود والصور

الوطن

وَطَنِي هُوَ الْأَرْضُ الَّتِي عَرَفْتُ هُمُومَ حَدَائِي
 فِيهَا رَشَفْتُ الْعِلْمَ حَتَّى نِلْتُ مِنْهُ كِفَايَتِي
 وَخَلَصْتُ مِنْ دَرْسِي إِلَى عَمَلِي وَبَدَأُ رِوَايَتِي
 وَالْآنَ يَا وَطَنِي! أَلَسْتُ بِحَاجَةٍ لِرِعَايَتِي؟
 أَفَدَيْكَ مِنْ رَاعٍ يَحِنُّ عَلَيَّ مِنْذُ وَلَادَتِي
 أَطْعَمْتَنِي الثَّمَرَ الشَّهِيَّ وَكُنْتُ دَارَ سَعَادَتِي
 وَسَتَمْتَنِي الْمَاءَ الزُّلَالَ وَفِي هَوَائِكَ رَاحَتِي
 وَرَتَعْتُ فِي أَرْجَائِكَ الْفَيْحَاءَ تَحْفَقُ رَايَتِي
 وَعَرَفْتُ رَبِّي فِيكَ يَوْمَ تَلَوْتُ فَرَضَ عِبَادَتِي
 قَسَمًا، سَأَرْعَى تَرْبَكَ الْمَيِّمُونَ طَوَعَ إِرَادَتِي
 فَكَرَامَةُ الْوَطَنِ الذِّي أَهْوَاهُ نَدُّ كَرَامَتِي
 وَسَلَامَةٌ الْأَرْضِ الَّتِي أَحْبَبْتُ مِثْلُ سَلَامَتِي
 وَطَنِي كَبَيْتِي أَبْنِيهِ وَأَرْضُ غَنِيٍّ جَارَتِي
 هَذَا أَعْتِقَادِي فَلْيَكُنْ يَوْمَ الْفَخَارِ قِلَادَتِي

راحة البال

إِذَا بَتَّ فِي يَأْسٍ وَخَوْفٍ مِنَ الْهَلْكَ
 فَبَادِرْ إِلَى الْإِيمَانِ بِالْوَحْدَةِ الَّتِي
 وَلَا تَسْأَلُ الْمُؤْمِنِينَ يَقِينَهُمْ
 وَكَرَّمْ لُبَابَ الدِّينِ، فَالرُّوحُ وَاحِدٌ
 فَمَا الدِّينُ إِلَّا التَّبَرُّ بِمَعْرِ فِي الثَّرَى
 وَلَا تَتَفَلَسَفْ بِالَّذِي لَا تَحْدُهُ
 فَمَا اللَّهُ إِلَّا قُوَّةٌ فَوْقَ فَهْمِنَا
 وَقَدْ أُغْرِمَتْ أَسْرَابُهُمْ بِبَهَارِجِ
 نَعَذَّبُ بِالْأَجْسَادِ، أَمَّا نَفُوسُنَا
 وَمَا الْفِكْرُ فِي النَّفْسِ الَّتِي هِيَ خَيْرُنَا، سِوَى الظَّاهِرِ الْمَسْكُونِ كَالْعِطْرِ فِي الْمِسْكِ
 كَفَانَا مِنَ الْإِكْرَامِ أَنَا أَشْعَّةٌ، مِنَ الرُّوحِ عَاشَتْ كَالْحَرِيرِ عَلَى الشَّوْكِ
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا آلَةٌ جَلَّ صَوْنُهَا، لِتُدْرِكَ بَعْضَ الشَّيْءِ عَنْ مَالِكِ الْمُلْكَ

رُؤْيَا الْمَلِكِ

حَلَمَ الْمَلِكُ، وَفِي الرُّؤْيَى بَعْضُ الْمُجَوَّنِ: أَنَّ الْمِيَاهَ سَتَحْتَوِي مَرَضَ الْجُنُونِ
وَالْوَقْتُ مَحْدُودٌ بِعِيدِ جُلُوسِهِ فَأَهْتَزَّ مِنْ جَزَعٍ لِحَشِيَّةٍ مَا يَكُونُ
وَأَسْتَحْضَرَ الْعُلَمَاءَ وَالرُّقَبَاءَ مِنْ أَرْجَاءِ دَوْلَتِهِ، فَقَالَ الْعَارِفُونَ:
هِيَ أَخْزَنُوا الْمَاءَ النَّقِيَّ فَرُبَّمَا صَحَّ الْمَنَامُ وَلَوَّثَ الدَّاءُ الْعُمُونَ

* * *

وَالْمَوْعِدُ الْمَضْرُوبُ جَاءَ وَالشَّعْبُ جُنَّ عَلَى السَّوَاءِ
أَمَّا الْمَلِكُ وَأَهْلُهُ فَانْجَبُوا مِنَ الدَّاءِ الْعِيَاءِ
لَكِنَّهُمْ وَقَعُوا بِمَا جَلَبَ الْمَتَاعِبَ وَالْبَلَاءِ
قِيلَ: الْمَلِكُ وَصَحْبُهُ جُنُّوا، وَلَيْسَ لَهُمْ دَوَاءٌ

* * *

وَالشَّعْبُ إِنْ يَغْضَبُ عَلَى مَنْ سَاسَهُ يَقْرَعُ لَهُدْمَ نِظَامِهِ أَجْرَاسَهُ
فَإِذَا مَلَكَتْ قِيَادَ شَعْبٍ حَقِيقَةً كُنْ مِثْلَهُ، وَأَقْرَعْ بِكَأْسِكَ طَاسَهُ
قَالَ الْمَلِكُ: إِلَيَّ بِالْمَاءِ الَّذِي شَعْبِي أَسْتَقَاهُ، فَقَدْ أَلْفَتْ مِرَاسَهُ
وَعَدَا يُجَارِي النَّاسَ فِي تَفْكِيرِهِمْ فَشَدُّوا: يَعْشُوا! وَأَسْتَحْسِنُوا إِحْسَاسَهُ

مُنَشِدُ الدَّهْوَرِ

قَضَيْتُ الْعُمَرَ فِي سُكْرِ مِنَ الْأَلْهَانِ وَالشَّعْرِ
 وَلَمْ أَشْرَبْ عَصِيرَ الْكَرْمِ أَوْ صِنْمًا مِنَ الْخَمْرِ
 تَرَانِي دَائِمًا نَشْوَانَ مِنْ عِطْرِ الْهَوَايِ الْعُذْرِي
 وَمِنْ رَفِّ الْخَيَالِ الْخُلُوِّ يَسْرِي فِي مَدَى الْفِكْرِ
 تُسَلِّيه نُجُومُ اللَّيْلِ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ
 وَيُغْنِيهِ ضِيَاءُ الصُّبْحِ عَنْ مَحَبُوبِهِ الْبَدْرِ
 تُغْنِيهِ عَصَا فَايِرُ الرُّؤْيَى أَنْشُودَةَ الدَّهْرِ
 بِرَوْضِ مِلْوَةِ الْأَلْوَانِ، بَيْنَ الْعُشْبِ وَالزَّهْرِ
 وَأَنْسَامٍ كَرَوَّحِ الْمَجْدِ، تَشْفِي الْوَجْدَ فِي صَدْرِي
 فَاسْتَجَلِي سُلَافَ الْفَنِّ فِي أَقْدَاحِ بَلَوْرِ
 هِيَ الْخَمْرُ الَّتِي أَغْرَتْ ذَوِي الْإِحْسَاسِ بِالسُّكْرِ
 وَكَمْ غَنَى بِهَا قَبْلِي مِفْنٌ هَامٌ بِالسَّحْرِ
 فَقَالَ النَّاسُ: فِي أَشْعَارِهِ شَيْءٌ مِنَ الْكُفْرِ

وَلَوْ ذَاقُوا الَّذِي عَانَاهُ لَمْ يَرْمُوهُ بِالنُّكْرِ
فَكُلُّ الْعَيْشِ لَوْلَا خَمْرُهُ ضَرْبٌ مِّنَ الْهَذَرِ
وَمَا أَبْعَدَ أَهْلَ الشَّرِّ عَنِ آيَاتِهِ الْغُرُّ
هُوَ الْمَظْلُومُ فِي الدُّنْيَا فَهَلْ يَرْتَاحُ فِي الْحَشْرِ؟

١٩٥٣

نَشِيدُ الْعَلَمِ

يَا عَلَمِي رَمَزَ الْمُتْنَى ! هَيْمِنْ وَرَفْرِفِ سَرْمَدَا كَالنَّسْرِ فِي السَّمَاءِ
وَيَا بِلَادِي ! هَا أَنَا أَحْمِيكَ مِنْ كَيْدِ الْعَدَا فَأَنْتِ لِي حِمَى

* * *

أُمَّةُ الْعَرَبِ تُنَادِي يَا أُسُودِي النُّبْلَاءُ جَدُّوَا الْعُهُودَ
وَأُسْتَعِيدُوا بِالْجِهَادِ وَأَذْكُرِ الشُّهَدَاءَ عِزَّةَ الْجُودِ

* * *

فَلْنَسِرْ نَحْوَ الْعُلَى بِوِثَامٍ وَاتِّحَادٍ نَأْمَنِ الْمَحَنَ
وَلْنَسْكُنْ نَوْرَ الْمَلَا إِنَّ عَهْدَ الْمَجْدِ حَادٍ يَا بَنِي الْوَطَنِ

١٩٣٠

أَمِيرُ نِيَامِ نِيَامٍ

يَقُولُ شَيْخٌ جَلِيلٌ لَمْ يُؤْلَوْهُ ، وَبَعْضُهُمْ أَفْضَلُ الْحُكَّامِ عَدُوُّهُ :
 لَيْسَ الْأَمِيرُ الَّذِي كَانَتْ وِلَايَتُهُ فَرَضًا عَلَى النَّاسِ فَلَمْ يَفْرُضْ مَكْرُوهُ
 وَمَا الْأَمِيرُ الَّذِي الدِّينَارُ بَايَعَهُ فَكُلُّ مَنْ سَادَ بِالْدِّينَارِ مَشْبُوهُ
 وَمَا الْأَمِيرُ الَّذِي بِالْإِرْثِ يَحْكُمُنَا ، بِالْإِرْثِ قَدْ يَتَوَلَّى الْمُلْكَ مَعْتُوهُ
 وَيَسْتَبِيحُ حُقُوقَ النَّاسِ مُتَّخِذًا أَبْنَاءَهُمْ حَرَسًا ، وَالْبَغْيُ يَحْدُوهُ
 يَقْضِي وَيَسْلُبُ كَمَا لَقُرْصَانٍ عَزِيَّتُهُمْ كَانَهُمْ لِأَذَاهُ قَدْ أَحْبُوهُ
 وَالْجَائِعُونَ مُشَاةً فِي مَوَاكِبِهِ مَشَى الْمُهَرِّجِ بِالْأُرْسَانِ شَدُوهُ
 فَدَعَكَ مِنْ أُمَّةٍ سَكْرَى مُزَقَّةٍ يَقُودُهَا ثَعْلَبٌ ، فِي قَلْبِهَا فَوْهُ
 أَبْنَاؤُهَا يَسْتَدِرُّونَ الْأَكْفَ فَمَنْ يَسِرُّ بِهِمْ نَحْوَ حِصْنِ الْعِزِّ رَدَّوهُ
 فَلَا سَقَى اللَّهُ أَرْضًا يَعْبَثُونَ بِهَا حَتَّى يُطَهَّرَهَا مِمَّا اسْتَحْلَوْهُ
 عَاشُوا عَبِيدًا فَلَوْ صَاحَ الْهَوَانُ بِهِمْ : سِيرُوا إِلَى الذُّلِّ ، سَارُوا وَاسْتَلْذَوْهُ
 فَإِنَّ سَيِّدَهُمْ يَأْتِي وَيُنْقِذُهُمْ ؟ أَلَا يُحْسِ إِذَا النَّاسُ اسْتَفْزَوْهُ ؟

* * *

إِنَّ الْأَمِيرَ فَتَى لَاحَتْ إِمَارَتُهُ فِي وَجْهِهِ السَّمِجُ ، وَالْجُهَالُ عَقُوهُ

ما كان أجدره لو قاد أمته فالعلم يعلمه، والإنصاف يعلمه
لكنها أمة غشى الظلام على عقولها، والبصير الحر مشدوه
وسوف تمضي الليالي، لا يورقها هوى المعالي، ولا الإصلاح يتلوه

١٩٥٣

المدح الكاذب

واها لشعبك من أذى عظمائه ! سلبوا موارده بمص ديمائه
وقضوا بتبذير على شهواتهم وبشر تقشير على أبنائه
واستمرأوا المدح الرخيص ولوحوا بنواهم، مفضين عن إعطائه
سلبوا الأديب نتاجه كضريبة واستجوبوا المسلوب عن زملائه
والشاعر المسكين يرقب صابراً أنصافهم، ويتن من إغيايه
لا تبلغ الهبة الحقيمة بينه حتى يفر الفار من أنحائه
ما ضره لو نابذ القوم الألى شادوا ممالكهم على بأسائه ؟
فالحر باع ضميره بعطية كالكلب نال طعامه بعوائيه
والسيف لا يخشى سوى القلم الذي آياته فضحت مظالم شائه
نصر الحقيقة يوم عز نصيرها وبني سعادة قوميه بشقائه

١٩٥٣

صورة رمزية

مَنْ أُولِعُوا بِالصُّورِ الرَّمْزِيَّةِ سَيَذَرُكَونَ الْعَمَزَةَ الْخَفِيَّةَ :
 مُحِبُّ فَنٍّ ضَيِّعَ الْأَعْوَامَا فِي رَسْمٍ مَا يُحِيرُ الْأَفْهَامَا
 مَضَى إِلَيْهِ صَاحِبُ الْقَصِيدَةِ وَقَالَ : عِنْدِي صُورَةٌ فَرِيدَةٌ ...
 مُوسَى وَفِرْعَوْنُ وَأَطْمَاعُ الْبَشَرِ تَبْدُو بِرَمَزٍ كَالْكَلَامِ الْمُخْتَصَرِ
 أَجَابَ : حَقًّا إِنَّهَا غَرِيبَةٌ فَمَنْ أَتَى بِهَذِهِ الْعَجِيبَةِ ؟
 وَهَلْ أَرَاهَا يَا صَدِيقِي الْغَالِي مَعْرُوضَةً فِي حَفْلَةٍ أُسْتَقْبَالِي
 يَدْرُسُهَا النُّقَادُ بِاهْتِمَامٍ كَأَنَّهَا أَنْشُودَةُ الْأَحْلَامِ !

* * *

وَكَانَ نِصْفُ الصُّورَةِ الْعَظِيمَةِ عِشْرِينَ خَطًّا شِبْهَ مُسْتَقِيمَةٍ
 وَفَوْقَهَا خَطٌّ كَمَوْجِ الْبَحْرِ وَعَرْضُهَا مِثْرٌ بِطُولِ شِبْرِ
 شَاهَدَهَا النُّقَادُ فَأَعْتَلَى الضَّحِكُ وَصَرَخُوا : فَسَّرْ لَنَا مَا تَمْتَلِكُ
 وَأَيْنَ فِرْعَوْنُ؟ أَجَبْتُهُمْ : غَرِقَ وَجَيْشُهُ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ عَلِقَ
 قَالُوا : وَأَيْنَ بَاتَ مُوسَى، يَا عَجَبُ ! أَجَبْتُهُمْ : لَا تَعْجَبُوا فَقَدْ هَرَبَ
 فَهَتَفُوا : عِفْنَا هَوَى الرُّمُوزِ فِي صُورَةٍ كَسَحْنَةِ الْعَجُوزِ
 فَقُلْتُ : إِنَّهَا مِثَالُ النَّاسِ فَقَدْ أَحْبَبُوا فَاسِدَ الْأَسَاسِ

وَكُلُّ إِسْلَاحٍ تَعَلَّمُوهُ يُنْمِي كَرَمَهُ حَافَهُ ذُووهُ
كَأَنَّهُ حَبْرٌ بَدَا عَلَى وَرَقٍ فِي صُورَةٍ رَمَزِيَّةٍ تُوْحِي الْقَلْقَ
أَوْ قِصَّةٍ خَلَّتْ مِنَ الْمَعَانِي لَمَّا تَزَلْ مَهْزَلَةٌ الزَّمَانِ
وَالنَّاسُ يَهْتَفُونَ فِي النِّهَايَةِ ابْطَلِيهَا : الْجَهْلُ وَالْعَمَايَةُ

١٩٥٣

الْعِبْرَةُ بِالْعَمَلِ

عَجَزَ الْوَالِدُ ، فَاسْتَدْعَى بَنِيَهُ وَتَمَنَّى لَوْ أَطَاعُوا أَمْرَهُ
قَالَ لِلْأَكْبَرِ : يَا سِبْلِي النَّبِيَهُ سِرٌّ إِلَى حَقْلِي وَلَنْظَمُ نَهْرِهِ
فَأَجَابَ : الْعَفْوُ ، فَالصَّحَابُ عَيَّدُوا الْيَوْمَ ، فَلَا أُعَابُ
وَكَفَانِي الشُّغْلُ وَالْعَذَابُ حِينَ يَحْلُو اللَّهْوُ وَالشَّرَابُ
وَدَعَا الثَّانِي ، فَأَغْضَى مُطَرِقًا وَأَجَابَ : الْآنَ أَمْضِي كَمَا لَقِطَارُ
كَانَ كَذَابًا فَلَمَّا انْطَلَقَا دَخَلَ النَّادِي لِأَلْعَابِ الْقِمَارِ
وَدَعَا الْأَصْغَرَ ، فَأَغْتَاظَ وَقَالَ : لَسْتُ أَمْضِي ، لَسْتُ أَمْضِي ، وَمَضَى
كَانَ ذَا فَهْمٍ وَإِخْلَاصٍ فَنَالَ كُلَّ خَيْرٍ ، وَعَلَى الْجَهْلِ قَضَى
فَانْظُرُوا يَا قَوْمُ ! إِنَّ السِّرَّ فِي عَمَلِ الْمَفْرُوضِ ، وَالْإِهْمَالِ دَاءُ
وَكُنِيَ الْمُهْمِلَ أَنَّ لَا يَشْتَقِي مِنْ بُلُوغِ الْقَصْدِ أَوْ دَفْعِ الْبَلَاءِ

١٩٥٣

العاطفة المنقذة

يَنْفَعُ الْمَرْءَ كُلَّ حِينٍ حَنَانُهُ يَا لَعَطْفٍ كَالْفَجْرِ لَاحَ بَيَانُهُ
 فَهُوَ أَبْهَى مِنَ اللَّائِي ضَاءَتْ كَيْفَ لَا يَفْتِنُ الْوَرَى لِمَعَانُهُ ؟
 سَرَدَ الدَّهْرُ قِصَّةً عَنْ عَرُوسٍ خَرَجَتْ مِنْ إِكْلِيلِهَا الْمَيِّمُونَ
 فَرَأَتْ نَعْشًا ضَمَّ جِسْمَ فَتَاةٍ وَأَخُوهَا الْوَحِيدُ كَالْمَجْنُونِ
 مَا تَمَّ الْفَقْرُ سَارَ، وَالْفَقْرُ أَعْمَى لَيْسَ مِنْ وَرْدَةٍ وَلَا مِنْ مُوَاسِي
 وَالْعَرِيسُ (الْنَبِيلُ) يَنْظُرُ شَرْرًا بَيْنَ قَرَعِ الطُّبُولِ وَالْأَجْرَاسِ
 وَإِذَا بِالْعَرُوسِ تَنْزِعُ وَرْدًا كَانَ فِي صَدْرِهَا وَتَذْرِفُ دَمْعَةً
 ثُمَّ أَلْقَتْ بِهِ عَلَى النَّعْشِ تَكْرِيمًا لِمَنْ ضَمَّهَا إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ
 هَذِهِ عِبْرَةٌ رَأَتْهَا فَرَنْسَا فِي زَمَانِ الْإِقْطَاعِ وَالنُّبْلَاءِ :
 رَزَحَ الشَّعْبُ تَحْتَ كَابُوسِ بُؤْسٍ ، فَأَذَاقَ الْأَسْيَادَ شَرَّ بَلَاءِ
 وَقَضَتْ ثَوْرَةَ التَّحَرُّرِ بِالْحُكْمِ عَلَى الظَّالِمِينَ بِالْإِعْدَامِ
 فَاسْتَفَادَتْ تِلْكَ الْعَرُوسُ وَنَجَّتْ زَوْجَهَا مِنْ بَرَاثِنِ الْحُكْمِ
 أَكْرَمَتْ مَيِّتَةً ، فَأَكْرَمَهَا الشَّعْبُ بِحِفْظِ الْوِدَادِ وَالْإِنْقَادِ
 فَأَرْحَمُوا تُرَحَمُوا ، لِأَنَّ حَنَانَ الْمَرْءِ فِي النَّائِبَاتِ خَيْرٌ مَلَاذِ

الطبيب والفقيه

قَصَدَ الْفَلَّاحُ ذَيْبَ دَارِ إِدْرِيسَ الطَّبِيبَ
وَشَكَ آلامَهُ فِي الْعَيْنِ ، بِالْذَّمْعِ السَّكِيبِ
فَادَّعَى إِدْرِيسُ أَنَّ الدَّاءَ مُسْتَعْصٍ خَطِيرُ
وَأَضَافَ : الْأَمْرُ مُحْتَاجٌ إِلَى مَالٍ كَثِيرِ
قَالَ ذَيْبُ : مَا مَعِيَ فَلَسْتُ ، فَأَرْجُو الْمَعْدِرَةَ
مَوْزِدِيهِ الْيَوْمِي سَطْلُ مِنْ حَلِيبِ الْبَقَرَةِ
وَأَرْتَضَى إِدْرِيسُ نِصْفَ السَّطْلِ أَجْرًا لِلْعِيَادَةِ
وَأَنْقَضَى شَهْرَانِ وَالْفَلَّاحُ لَمْ يُدْرِكْ مُرَادَهُ
كُلَّ صُبْحٍ ، بَعْدَ لَيْلٍ ، يَسْكُنُ الْجَفْنَ السَّقِيمِ
فَإِذَا جَاءَ الْمَسَاءُ اسْتَيْقَظَ الدَّاءُ الْأَلِيمُ
وَمَضَى إِدْرِيسُ فِي دَعْوَى إِلَى دَارِ الْوَلَايَةِ
فَارْتَأَى تَلْمِيزَهُ « مَبْرُوكٌ » إِنِّهَاءَ الرِّوَايَةِ
لَمْ يَكُنْ فِي الْعَيْنِ إِلَّا شَوْكَةً جِدًّا صَغِيرَةً
شَفِيَ الْفَلَّاحُ ... (وَالذُّكْتُورُ) لَمْ يَعْلَمْ مَصِيرَهُ

وَأَخِيرًا قَالَ لِلتَّامِيذِ : هَلْ دَاوَيْتَ ذِيبًا ؟
ثَكَلَتْ أُمُّكَ يَا مَلْعُونُ ! ضَيَعْنَا الْحَلِييَا ...

هَذِهِ قِصَّةٌ مِّنْ سَاسُوا الْوَرَى ، وَالسَّرُّ بِادِي
زُمَرَةٍ ، تَسْتَمِرُّ الدُّنْيَا بِتَعَذِيبِ الْعِبَادِ

١٩٥٣

مَاتَ الْمُتَمَوِّلُ

إذا لم يبذل الأغنياء أموالهم ، لإزالة الفقر والجبل والمرض ،
تضطر البشرية إلى وضع « حدٍّ أدنى للفقر ، وحدٍّ أعلى للثراء » .

وَرِثَ الْجَرُّو سَلِيلُ الشَّحِّ أَكْوَامَ الْعِظَامِ
عَنْ أَبِي عَاتٍ تَوَلَّى جَمْعَهَا مُنْذُ الْفِطَامِ
وَقَضَى الْعُمَرَ وَلَمْ يَأْكُلْ سِوَى التَّزْرِ الْيَسِيرِ
هَكَذَا مَنْ يَجْمَعُ الْأَرْزَاقَ وَالْمَالَ الْكَثِيرَ

وَإِذَا أَفْهَمَتْهُ أَنَّ الْوَرَى بَاتُوا جِيَاغَ
قَالَ : بِالْأَمْوَالِ أَغْدُو صَاحِبَ الْأَمْرِ الْمُطَاعِ
عَاشَ جَبَّارًا ، وَلَمْ يَخْضَعْ لِمَنْ سِوَى الْعِبَادِ
فَكَانَ الْمَالُ رَبًّا نَظَّمَ الدُّنْيَا وَسَادَ

وَإِذَا صَوْتُ مُدَوٍّ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الْأَثِيمُ!
أَتُرَى أَصْبَحْتَ فِي أَمْنٍ مِنَ الْمَوْتِ الْعَظِيمِ؟
وَأَتَى الْمَوْتُ بِإِنذَارٍ إِلَى ذَاكَ الْجَهْلِ
وَعَلَيْهِ خَاتَمُ الرَّسْمِ وَالرَّمْزُ الْمَهْلُ
فَدَهَّتْ رَجْفَةً هَوَّاءَ لَمْ تُمِلهُ سَاعَةً
وَمَضَى بِالرُّوحِ إِبْلِيسُ، وَبِالْمَالِ جَمَاعَةٌ
وَمَشَى الْمَوَكِبُ بِالْجُثْمَانِ نَحْوَ الْمَقْبَرَةِ
وَكَانَ الْقَوْمُ فِي عِيدٍ كَعِيدِ الْعَنْصَرَةِ
شَيْعُوهُ بِطُقُوسٍ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا مَنَاصُ
أَتَرَاهَا مَهَّدَتْ لِابْنِ الْغِنَى دَرْبَ الْخِلَاصِ؟
أَمْ تَرَى يَفْتَحُ تَحْتَ الْأَرْضِ لِلذَّاتِ بَابًا؟
حَيْثُ لَا تَدْفَعُ إِلَّا غِبْطَةَ الرُّوحِ الْعَذَابَا
دُفِنَ الْمُوسِرُ، فَافْتَرَّتْ تُغُورُ الْبُؤْسَاءُ
وَهُنَا أَدْرَكَ مَنْ سَادُوا الْوَرَى عُقْبَى الثَّرَاءِ
وَأَنْطَوَتْ صَفْحَةٌ مِنْ دَوْنِ فِي سِفْرِ الْوُجُودِ:
كَيْفَ يَهْوَى الْمَرْءُ مَا يَفْنَى، وَلَا يَهْوَى الْخُلُودُ

دارُ البقاء

ظُلُمَةٌ سَادَتْ عَلَى دَارِ الْفَنَاءِ حَجَبَتْ أَسْرَارَهَا لِلْأَبَدِ
وَطَغَى الْمَاءُ عَلَيْهَا كَالرُّدَاءِ حَابِسًا فِيهَا أَنْيْنَ الْكَمَدِ
ثُمَّ مَدَّتْ فَوْقَهَا أَيْدِي الْهَوَاءِ كَفَنًا أَمْلَسَ مِثْلَ الْجِلْدِ
وَمَضَتْ تَاهَةً بَيْنَ النُّجُومِ
تَنْشُرُ الْأَخْبَارَ عَنْ أَصْلِ الْبَلَاءِ
أَتُرَى الْأَطْمَاعُ فِي الدُّنْيَا تَدُومُ؟
وَحَيَالُ الْمَوْتِ قَدْ عَمَّ الْفَضَاءُ

* * *

تِلْكَ حَالُ الْأَرْضِ فِي يَوْمِ النُّشُورِ صُورٌ زَالَتْ وَلاَحَتْ صُورُ
وَعُجْبَارٌ يَتَعَالَى وَيَشُورُ تَاهَ فِي بُمْدٍ مَدَاهُ النَّظَرُ
وَذُرِّيَاتٌ مِنَ النُّورِ تَدُورُ شَرٌّ حَيٌّ يَلِيهِ شَرٌّ
هُوَ أَرْوَاحٌ عَجِيبٌ أَمْرُهَا بَعِيُونَ الْفِكْرِ بَاتَتْ تُبْصِرُ
قُوَّةٌ عَلَيْهِ خَافِ سِرُّهَا تَبَعَتْ الْإِحْسَاسَ إِذْ يَنْدَثِرُ

فَاذْكُرِي يَا نَفْسُ ! إِنَّ حَارَ الْفُؤَادِ
 أَنَّ مَا طَائِنَتْهُ يَوْمَ الْمَعَادِ
 وَكَفَى مِنْ رَاحٍ يُغْوِيهِ الْفَسَادُ
 وَلَمَلَّ الْفِكْرَ خَلَّاقُ الْخُلُودِ
 وَالَّذِي خَلَقَهُ مِنْ وَهْمِ الْجُدُودِ
 كَانَ مِنْ مُبْدِعِهِمْ مِنْهُلَهُ
 بِالَّذِي يَلْقَاهُ مِنْ مُسْتَعْرَبٍ :

* * *

وَهُنَا نُودِي : أَنْتُمْ مُنْشَرُونَ
 وَرَأَيْنَا بُؤْسَاءَ يَمْرَحُونَ
 وَطُعْمَةً مِنْ غِنَاهُمْ يَرْتَدُونَ
 وَذَكَّرْنَا الشُّعْرَ وَالْفَنَّ الْجَمِيلَ
 فَإِذَا الْأَزْهَارُ مِنْ شَوْقٍ تَمِيلُ
 فَاسْتَعَدْنَا قَصَصَ الْعُمَرِ الْقَدِيمِ
 دُونَ أَثْوَابِ بِحَنَاتِ النِّعَمِ
 حُلَلًا تُصْنَعُ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ
 وَدُمُوعَ الْعُلَمَاءِ الْبَائِسِينَ
 وَيَفْوَحُ الْعِطْرُ بَيْنَ النَّاطِرِينَ

* * *

وَإِذَا صَوْتُ يُدَوِّي مِنْ بَعِيدٍ :
 يَشْتَهِي الْمَرْءُ فَيَلْقَى مَا يُرِيدُ
 هُنَا الْإِبْدَاعُ وَالْفِكْرُ الْجَدِيدُ
 حَيْثُ لَا تَقْتَرِسُ الْغَيْدَ الذَّنَابُ
 حَيْثُ يَلْقَى الْمُشْتَكِي أَخْلَى الثَّوَابِ
 هُنَا ابْنُ الْفَنِّ يَخْتَارُ السَّكْنَ
 وَإِذَا شَاءَ فَلَا يَمْضِي الزَّمَنُ
 حَيْثُ لَا يُشْرَى جَمَالُ بَشَمَنِ
 أَوْ يَعِثُ الْمُعْتَدِي بِالْآمِنِينَ
 عِنْدَ مَرَأَةٍ جَزَاءِ الْعَابِثِينَ

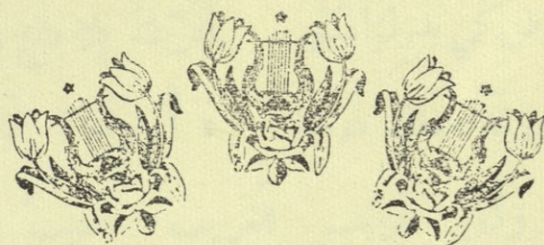
تِلْكَ دَارُ كُلِّ مَا فِيهَا أَنْعَاسُ
مِثْلَ مِرْآةٍ بَدَتْ فِيهَا الْفِرَاسُ
وَحِكَايَاتٍ عَلَى غَيْرِ الْقِيَاسِ
ضَلَّ فِي تَفْسِيرِهَا أَهْلُ الْفِكْرِ
بِأَغَانٍ وَرُسُومٍ تَبْتَكَرُ
لِلنَّوَايَا وَالْمَلَاتِي الْمَاضِيَةِ
بَعْدَ أَنْ غَاضَتْ مِيَاهُ السَّاقِيَةِ
لَمْ يُؤَلِّفْهَا خِيَالُ الرَّاوِيَةِ
فَارْتَأَى تَصْوِيرَهَا أَهْلُ الْفُنُونِ
لَمْ تَزَلْ مُجْتَازَةً عَبْرَ الْقُرُونِ

* * *

أَيُّهَا الدَّارُ الَّتِي تُغْرِى الْبَشَرَ
أَنْتِ فِي الْحَالَيْنِ أَنْوَارُ الْقَمَرِ
فَافْرَحُوا الْآنَ بِآيَاتِ الظَّفَرِ
تِلْكَ دَارُ تَنْطَوِي فِيهَا الْعُصُورُ
كَمْ عُيُونٍ نَاعِسَاتٍ وَبُذُورُ
بِحَيَاةٍ تَبْهَجُ الْقَلْبَ السَّلِيمَ
لُحْنٌ لِلْسَّارِينَ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ
أَيُّهَا الثَّائُونَ فِي الْهَمِّ الْمُقِيمِ
وَمَلَاذِ يُرْتَجَى فِيهِ اللَّقَاءُ
وَأَمَانِ سَكَنْتَ دَارَ الْبَقَاءِ

١٩٥٢





زهر الربى

الرّوصه الثّاني

الفَلّ والنّسرين

التّخميس والتّشّطير

فهرس السرب



تنظيم :

- (١) في التخميس : الشطران الاخيران الموضوعان بين هلالين « هما الأصل الخمس عليه ،
والثلاثة الأول للمؤلف ، فاذا كان الأصل أيضاً للمؤلف ، محذوف الهلالان .
- (٢) في التشطير : الشطر الأول من البيت الاول ، والثاني من البيت الثاني ، هما الأصل المشطّر
عليه ، وقس على ذلك كل بيتين ، وما بقي فهو للمؤلف .
- (٣) في التربييع : الشطران الثالث والرابع من كل بيتين هما الأصل المربع عليه ، وما بقي
فهو للمؤلف .

طَوِينَا رَحَابَ الْأَرْضِ كَيْ نُدْرِكَ الْمُنَى فَفَرَّتْ بِلَا دَائِعٍ ، وَهَاجَ بِنَا الضَّنَى
فَرُحْنَا نَغْنِيَّهَا ، وَقَدْ ضَاقَ ذَرْعُنَا : « أَجَارَتْنَا ! إِنَّا غَرِيبَاتٍ هَهُنَا
وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ »

وَمَرَّتْ بِنَا شَتَّى اللَّيَالِي كَأَنَّهَا عَدُوَانِ ، حَتَّى لَمَلَمَ الدَّهْرُ شَمْلَنَا
فِيَا مُنِيَّتِي هِيََا لِنَحْزِمَ أَمْرَنَا « فَإِنْ تَصَلِينَا ، فَالْمُودَّةُ يَبْنِنَا
وَلِنْ تَهْجُرِينَا ، فَالْغَرِيبُ غَرِيبُ »

١٩٥٣

أَمْيَاسَةَ الْأَعْطَافِ ، أُخْتُ الْعُنَادِلِ ! تَمَالِي نَبْتُ الشَّوْقِ بَيْنَ الْخِمَالِ
وَلِنْ قُلْتُ : دَعِ مَغْنَايَ ، رَدَّتْ شِمَالِي : « أَغْرَكَ مِنِّي أَنْ حُبَّكَ قَاتِلِي
وَأَنَّكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلُ » ؟

تَمَالِي ! فَأَيَّامُ التَّصَابِي قَلِيلَةٌ وَأَنْتِ بِمَا يَشْنِي الْعَلِيلَ بِحِيلَةٍ
صَلِينِي بِوَعْدٍ فَالْأَمَانِي جَمِيلَةٌ « فَقَالَتْ : يَمِينُ اللَّهِ مَا لَكَ حِيلَةٌ
وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الْغَوَايَةَ تَنْجَلِي »

١٩٥٣

م - ١٢

سَلَوْهَا لِمَاذَا بِالتَّبَاعِدِ أَشْرَفَتْ وَلِمَ حَمَلَتْ حِقْدًا عَلَيَّ وَمَا صَفَتْ ؟
أَلَيْفَةُ دَلَّ حِينَ وَاصَلْتُهَا جَفَتْ « وَلَمَّا رَأَيْتَنِي فِي النَّزَاعِ تَعَطَّفَتْ
عَلَيَّ ، وَدُونِي مِنْ تَعَطُّفِهَا شُغِلُ »

تَرَأَى لَهَا الْمَاضِيَ فَأَثْبَتَ أَنَّهَا عَلَى خَطَا ، وَالْدَّهْرُ صَحَّحَ ظَنَّهَا
وَلَمَّا تَخَلَّتْ عَنْ خِلَالِ فَتْنَهَا « أَتَتْ وَحِيَاضُ الْمَوْتِ يَبْنِي وَيَنْهَى
وَجَادَتْ بِوَصْلِ حِينَ لَا يَنْفَعُ الْوَصْلُ »

١٩٥٤

أَحَبُّ صَدِيقٍ مِنْ حَبَاكَ رِعَايَةً وَخَيْرُ أَمِيرٍ مَنْ أَرَاكَ عَدَالَةً
فَظُلُمُ غَرِيبِ الدَّارِ لَيْسَ غَرَابَةً « وَظُلُمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاظَةً
عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهْنَدِ »

وَأَعْدَلُ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ عَاشَ حَامِلًا فَلَمْ يَعْشَقِ الدُّنْيَا وَلَا رَدَّ سَائِلًا
فَلَا تَكُ إِنْ سُدَّتِ الْوَرَى مُتَفَائِلًا « سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا
وَيَأْنِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ »

١٩٥٣

ظَلُومٌ - وَلِيُّ الْحُكْمِ ضَنَّ بِعَدْلِهِ وَأَظْلَمُ - ذُو مَالٍ يَضِنُّ بِبِدْلِهِ
فَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ يَذْكُرْ بِفِعْلِهِ « وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلْ بِفَضْلِهِ
عَلَى قَوْمِهِ، يُسْتَغْفَرَ عَنْهُ وَيُدْمَرُ »

وَإِنَّ اللَّهَ يَرْجُو دَوَامَ فَلَاحِهِ خَلِيقٌ بَانَ لَا يَنْثَنِي عَنْ كِفَاحِهِ
فَمَنْ يَسْتَكِنُ لِلذَّلِّ يَهْلِكُ بِسَاحِهِ « وَمَنْ لَا يَذُّ عَنْ حَوْضِهِ بِسَاحِهِ
يُهْدَمُ، وَمَنْ لَا (يُدْفَعُ الظُّلْمَ) يُظْلَمُ »

فَدَعُ عَنْكَ غِرًّا لَيْسَ يَذَرِي طَرِيقَهُ وَصَاحِبَ أَطْمَاعٍ يَخُونُ شَقِيقَهُ
فَمَنْ وَاطَنَ الصَّدِيقَ أَمْسَى رَفِيقَهُ « وَمَنْ يَفْتَرِبَ يَحْسَبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ
وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمُ »

١٩٥٣

مُنِيْتُ بِغِرٍّ لَا أَطِيقُ أَحْتِمَالَهُ فَخَوِرَ بِضِيقِ الْعَقْلِ، مُبْدِي دَلَالَهُ
فَمَنْ لِي بِذِي لُبٍّ يُرِينِي أَعْتِدَالَهُ « أَخِي ثِقَةٌ لَا يُتْلَفُ الْخَمْرُ مَالَهُ
وَلَكِنَّهُ قَدْ يَهْلِكُ الْمَالُ نَائِلَهُ »

فَإِنْ كُنْتُ فِي هَمٍّ أَتَانِي مُهْرَوْلًا وَكَمْ يُكْثِرُ الْمَسْئُولُ عَظْفًا، تَدَلَّلَا
وَإِنْ كَانَ فِي ضِيقٍ بَدَأَ مُتَفَضِّلًا « تَرَاهُ، إِذَا مَا جِئْتَهُ، مُتَهَلِّلًا
كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ اللَّهِي أَنْتَ سَائِلُهُ »

١٩٥٣

سَمَا الْبَيَانُ بِنَفْسِي وَأَعْتَلَى الْأَدَبُ وَلَيْسَ لِي بَعْدَ هَذَا الْمُنتَهَى أَرْبُ
فِيَا أَخَا الْمَجْدِ! وَالْأَهْوَاءُ تَصْطَخِبُ « لَا يَحْمِلُ الْحِنْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ
وَلَا يَنَالُ الْعُلَى مَنْ طَبَعَهُ الْغَضَبُ »

وَالظَّرْفُ حُلَّةٌ نَوْرٍ أَنْتَ لِابِسِهَا مِثْلُ الْمُرُوجِ الَّتِي تَزْهِي عَرَائِسُهَا
فَلَا دَهَتْكَ مِنَ الدُّنْيَا وَسَاوِسُهَا « إِنَّ الْأَفَاعِي وَإِنْ لَانَتْ مَلَامِسُهَا
عِنْدَ التَّقَلُّبِ، فِي أَنْبَاهِهَا الْعَطَبُ »

١٩٥٣

يَا عَيْلَ لَا تَجْنِي عَلَيَّ وَأَيِّقْنِي بِبِسَالَتِي، فَالظُّلُمُ لَيْسَ يَهْمُنِي
وَإِذَا سَمِعْتَ تَخْرُصَاتِ الْأَلْسُنِ « أَتُنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتَ فَإِنِّي
سَمَحٌ مُخَالَقَتِي إِذَا لَمْ أَظْلَمْ »

عَرَفَ الْأَبَاةُ الصِّيدُ أَنِّي عَاقِلُ وَعَنِ الْكَرَامَةِ مَا ثَنَانِي شَاغِلُ
فَإِذَا رَضِيتُ، فَإِنَّ عَدْلِي شَامِلُ « وَإِذَا ظَلَمْتُ، فَإِنَّ ظُلْمِي بَاسِلُ
مُرٌّ مَذَاقُهُ كَطَعْمِ الْعَلَقَمِ »

١٩٥٣

أَيَا عَبَلْ هَلْ تَكْنِي الدَّمُوعُ السَّوَاجِمُ لِمَحْوٍ أَذْكَارٍ فِي فُؤَادٍ يُقَاوِمُ ؟
تَبَاعَدْتَ عَنِّي ، وَالْأَذَى مُتَلَا حِمُ « فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي عَلَى الْبُعْدِ نَادِمُ
وَلَا الْقَلْبُ فِي نَارِ الْغَرَامِ يُعَذِّبُ »

وَمَرَّ زَمَانٌ حَارٌّ فِيهِ مُطَبِّي فَقَالَ : أَبْتَعِدْ عَنْ حُبِّ خِلٍّ مُعَذِّبِ
أَنَا صَاحِبُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ الْمُهَذَّبِ ، « هَجَرْتُكَ فَأَمْضِي حَيْثُ شِئْتُ وَجَرَّبِي
مِنَ النَّاسِ غَيْرِي فَأَلَلَّيْبُ يُجَرِّبُ »

١٩٥٣

تُرَى هَلْ فَاقَنَا شَادٍ تَغْنَى بِعِزَّتِهِ ، وَبَدَعُ الْفَخْرِ مِنَّا ؟
فَنَحْنُ الْخَالِدُونَ بِمَا أَبْنَا « مَلَأْنَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا
وَمَاءُ الْبَحْرِ نَمْلُؤُهُ سَفِينَا »

وَلَيْسَ بِقَوْمِنَا غِرٌّ دَعِيٌّ وَلَا شَرِسٌ وَجَبَّارٌ عَتِيٌّ
يَقُولُ الْعِزُّ : وَهُوَ لَنَا سَمِيٌّ « إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ
تَخَرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَ »

وَنَحْنُ الْعَادِلُونَ إِذَا قَضَيْنَا وَنَحْنُ الْحَافِظُونَ إِذَا رَعَيْنَا
وَنَحْنُ الصَّادِقُونَ إِذَا أَدْعَيْنَا « أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا
فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ »

١٩٥٣

يَرِنُ بِآفَاقِ الْحَيَاةِ قَصِيدُنَا وَيَحْيَا عَلَى رَغْمِ الْفَنَاءِ شَهِيدُنَا
وَمَنْ حَسِبَتْ أَنَّ الْجِهَادَ يَكِيدُنَا : « تَمَيَّرْنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا
فَقُلْتُ لَهَا : إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلٌ »

وَقَدْ عَرَفَتْ كُلُّ الْبَرِيَّةِ فَضْلَنَا وَأَيَّدَ عُشَّاقُ الْمَكَرِمِ عَدْلَنَا
فَمَا عَدَلَ الشَّعْبُ الْكَثِيرُ أَقْلَنَا « وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا
شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلَى وَكُهُولٌ »

١٩٥٣

دُنْيَاكَ لَا تَرْجِعُ عَنْ دَهْلَا وَتُرْغِمُ الْمَرْءَ عَلَى وَضْلِهَا
إِيَّاكَ يَا ذَا الْعَقْلِ مِنْ عَذْلِهَا « مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا
أَسْرَعُ مِنْ مُنْحَدِرِ سَائِلٍ »

وَيُعْرِفُ الْعَاقِلُ مِنْ عَضْمِهِ لِسَانَهُ ، وَالْعَدْلُ فِي حُكْمِهِ
يَسْتَوْجِبُ الْمَدِيحَ مِنْ خَصْمِهِ « وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذِمِّهِ
ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ »

١٩٥٣

تَحَيَّلْتُ أَنَّ الشَّعْرَ فِي الْحُبِّ شَافِي
وَأَنَّ الْغِنَى بِالرُّوحِ لَا بِالْمَطَامِعِ
فَأَذْرَكْتُ أَنَّ الْوَهْمَ كَانَ مُخَادِعِي « وَلَمَّا رَأَيْتُ الْوَدَّ لَيْسَ بِنَافِعِي
عَمَدْتُ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَحْزَمًا »

وَحَطَّمْتُ أَغْلَالَ الْغَرَامِ بِشِدَّةٍ كَأَنَّ مَلَكَ اللَّهِ جَاءَ بِقُوَّةٍ
وَأَقْذَنِي مِنْ مِيتَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ « فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِذِلَّةٍ
وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا »

١٩٥٣

تَجَاوَزَ عَنِ الْأَسْوَاءِ فَالْحَرْبُ عَلَيَّ وَمَنْ لَمْ يُسَيِّئُوا لِلْمُسَالِمِ قَلَّةٌ
فَيَا صَاحِبِي! وَالْمُشْكِلَاتُ مُمْلَةٌ « إِذَا مَا أَتَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ
فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالًا لَزَلَّتْهُ عُدْرًا »

وَكُنْ دَاعِيًا فِي كُلِّ صُقْعٍ وَمِلَّةٍ إِلَى الصَّفْحِ، فَالْغُرَانُ أَفْضَلُ خَلَّةٍ
وَعِشْ لَابِسًا كَمَا لَزَّهَرٍ أَجْمَلُ خَلَّةٍ « غِنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَّةٍ
فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَلِكَ الْغِنَى فَقْرًا »

١٩٥٣

يُدَافِعُ عَنْ عِرْضِ الْفَتَى حُسْنُ فِعْلِهِ وَيُخْبِرُ شَرَّ الْمَرْءِ عَنْ سُوءِ أَصْلِهِ
فَدَعُ عَنْكَ غِرًّا قَالَ مِنْ فَرَطٍ جَهْلِهِ : « إِذَا الْمَرْءُ أَوْلَاكَ الْهُوَ أَنْ فَأُولِهِ
هُوَ أَنْ ، وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبًا أَوَاصِرُهُ »

فَذُو الْفَضْلِ شَهْمٌ صَفْحُهُ لَنْ يَشِينَهُ وَذُو الْبَغْيِ نَذْلٌ شَرُّهُ لَنْ يَزِينَهُ
أَهْنُهُ بِنُصِّ الطَّرْفِ تَسْمَعُ أَيْنَهُ « فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى أَنْ تُهَيِّمَهُ
فَذَرُهُ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي أَنْتَ قَادِرُهُ »

١٩٥٣

لَا تَتَّبِعِ اللَّذَاتِ حَيْثُ وَجَدَتْهَا إِنْ تُرَخِّ لِلنَّفْسِ الْعِثَانَ فَقَدَتْهَا
فَالنَّفْسُ لَا تَهْوِي إِذَا عَوَّدَتْهَا « وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبَتْهَا
وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ »

وَالْمَالُ إِنْ سَلَبَ النُّفُوسَ وَقَارَهَا مَا رَدَّ عَنْ - أُمَّ الْمَسَاوِي - عَارَهَا
حَجَبَتْ تَمَائِمُ حُسْنِهَا أَسْرَارَهَا « وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا
أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ »

١٩٥٣

تُعَذِّبُ قَلْبِي غَادَةً ذَاتُ صَوْلَةٍ وَتَحْسَبُنِي فِي الْحُبِّ صَاحِبَ دَوْلَةٍ
وَقَدْ أَمَرْتُ مَنِي الْفُؤَادَ بِجَوْلَةٍ « فَيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوِي كُلِّ لَيْلَةٍ
وَيَا سَلْوَةَ الْأَحْزَانِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ »

سَأَرْضِي بِحُكْمِ الْحُبِّ فَالْحِظْ سَنَهُ وَأَنْشِقُ رِيَاءَهُ وَأُنْشِدُ لَحْنَهُ
وَأَنْتِ تُغَذِّينَ الْفُؤَادَ وَفَنَّهُ « فَإِنْ يَنْقَطِعَ مِنْكَ الرَّجَاءُ فَإِنَّهُ
سَيَبْقَى عَلَيْكَ الْحُزْنُ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ »

١٩٥٢

وَحُورِيَّةٍ عِنْدَ الْأَصِيلِ عَرَفْتُهَا فَمَا رَاعَنِي إِلَّا أَسَاهَا وَصَمْتُهَا
ذَوِي عَوْدُهَا، لَكِنِّي مَذَّ رَعِيَّتُهَا « تَكَادُ يَدِي تَنْدِي إِذَا مَا لَمَسْتُهَا
وَيَنْبُتُ فِي أَعْطَافِهَا الْوَرَقُ الْخَضِرُ »

وَكَمْ فَتَنَّتْ رُوحِي بِرَوْعَةِ لَوْنِهَا فَهَلْ لَوْنَتْ فَنِّي الْجَمِيلَ بِفَنِّهَا؟
أَرَى الْقَلْبَ تَسْتَهْوِيهِ غَمَزَةُ عَيْنِهَا وَيُثْمِرُ زَهْرُ الْفِكْرِ مِنْ نَوْرِ حُسْنِهَا
فَمِنْهَا غِنَاءُ الرُّوحِ وَالْفَنِّ وَالشَّعْرِ

١٩٥٢

ملاحظة : البيت الثاني للمؤلف ، ولذلك لم يوضع بين « - » .

تَقَرَّبْتُ عَنْ أَهْلِي لِأَنْشُرَ مَذْهَبِي وَمَنْ يَطْلُبُ الْإِصْلَاحَ يَنْبِذُ وَيَتَعَبُ
وَلَسْتُ بِمُهْتَمٍّ لِمَنْ يَمْكُرُونَ بِي « وَإِنَّ الَّذِي يَنْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي
وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمْخْتَلِفٌ جَدًّا »

دَفَعْتُ، مِنْ الْإِشْفَاقِ، عَنْهُمْ هُمُومَهُمْ فَهَبُّوا إِلَى حَرْبِي وَبَشُّوا سُومَهُمْ
أَنَا مَنْ تَوَلَّى بِالْعِلَاجِ كُلُّهُمْ « فَإِنْ أَكَلُوا الْحَمِي وَفَرَّتْ لُحُومُهُمْ
وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا »

وَعُدْتُ، وَقَدْ نِلْتُ الْعِلَاءَ، إِلَيْهِمْ فَقَالُوا: أَيُّشْرَى مَجْدُهُ بِدُرِيِّهِمْ ؟
أَرُومٌ لَهُمْ عُذْرًا، فَقَلْبِي لَدَيْهِمْ « وَلَا أَجْمَلُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ
وَلَيْسَ رَأْسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا »



قَدِيمُ الْهُوَى مِثْلُ الْجَدِيدِ فَإِنْ بَدَأَ أَهَابَ بِأَسْبَابِ الْهَيَامِ وَجَدَّداً
وَكَمْ عَاشِقٍ مِثْلِي تَمَادَى فَأَنْشَدَا : « يَقُولُ الْعِدَى لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْعِدَى :
لَقَدْ تَابَ عَنْ لَيْلَى وَرَثَتْ وَسَائِلُهُ »

دَهَاهُ أَذَى مَنْ لَامَهُ ، فَتَمَلَّصَا وَكَذَّبَ مَنْ فِي ذَمِّ لَيْلَى تَخَرَّصَا
وَأَمْسَى عَلَى صَوْنِ الْمَوَدَّةِ آخِرَصَا « وَلَوْ أَصْبَحَتْ لَيْلَى تَدِبُّ عَلَى الْعَصَا
لَكَانَ هَوَى لَيْلَى جَدِيداً أَوَائِلُهُ »

١٩٥٣

عُرِفْنَا أَيَا لَيْلَى بِرَوْعَةٍ حُبَّنَا وَحُسْنِ أَغَانِينَا وَإِرْنَانِ صَوْتِنَا
فَفَرَّقْنَا الْجَهْلُ الْمُلِمُّ بِقَوْمِنَا « وَلَوْ تَلْتَقَى أَصْدَاؤُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا
وَمِنْ دُونِ رَمْسَيْنَا مِنَ الْأَرْضِ سَبَسَبُ »

لَسَنَتْ لِأَهْلِ الصَّدَقِ فِي الْحُبِّ شِرْعَةً ، وَشَادَتْ لَهُمْ فِي عَالَمِ الْفِكْرِ قُبَّةً
وَلَوْ أَنَّنِي أَقْضِي غَرَامًا وَلَوْعَةً « لَطَلَّ صَدَى صَوْتِي وَإِنْ كُنْتُ رِمَّةً
لِصَوْتِ صَدَى لَيْلَى يَهْشُ وَيَطْرَبُ »

١٩٥٣

عَرَفْتُ مِنَ الْمَآسِي كُلِّ فَنٍّ : فِرَاقَ أَحِبَّتِي وَجَوَى التَّمَنِّي
فَتَبْتُ عَنْ الْهَوَى وَكَثَرْتُ دَنِي « أَلَسْتُ وَعَدْتَنِي يَا قَلْبُ أَنِّي
إِذَا مَا تُبْتُ عَنْ لَيْلِي تَتَوْبُ » ؟

وَبِتُّ أَسَامِرُ الْأَحْلَامِ لَيْلًا وَبَدَرُ التَّمِّ قَدْ نَسِيتَ (سُهَيْلًا)
فِيَا قَلْبِي اتَّئِدْ ، وَكُفَيْتَ وَيْلًا « فَمَا أَنَا تَائِبٌ عَنْ حُبِّ لَيْلِي
فَمَا لَكَ كُلَّمَا ذُكِرْتُ تَذُوبُ » ؟

١٩٥٢

وَهِيَ جِلْدِي وَقَلْبِي الصَّلْدُ فُتًّا وَنَفْسِي أَوْجَسَتْ مِمَّا تَأْتِي
بَلَايَا الْحُبِّ وَالْأَشْوَاقِ شَتَّى « وَلَيْلِي مَا كَفَاهَا الْهَجْرُ حَتَّى
أَبَاحَتْ فِي الْهَوَى عَقْلِي وَدِينِي »

دُمُوعِي مِنْ لَظَى الْهَجْرَانِ سَالَتْ كَمَا الْوَرْدِ ذَرَاتٍ تَتَالَتْ
وَلَيْلِي فِي عَذَابِي قَدْ أَطَالَتْ « فَقُلْتُ لَهَا أَرْحَمِي ضَعْفِي فَقَالَتْ :
وَهَلْ فِي الْحُبِّ يَا أُمِّي أَرْحَمِينِي » ؟

١٩٥٢

بَلِيَّةُ الْمَرْءِ فِي شَرْعِ الْهَوَى النَّظَرُ فَلَا تُعَذِّبُ مُحِبًّا أَيُّهَا الْقَمَرُ !
نَحْنُ الضَّحَايَا، وَفِي تَارِيخِنَا عِبْرٌ : « إِنَّ أَلْمُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ
قَتَلْتَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا »

وَكَمْ شَكَادُوا الْهَوَى الْحَاطَّ صَاحِبِهِ لَكِنَّ قَاضِيَهُ أَغْنَى عَنْ مَطَالِبِهِ
وَخَطٌّ : كَمْ أَغْنَى فِي يَنْتِ كَاتِبِهِ « يَصْرَعَنَّ ذَا أَلْبٍّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ
وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانًا »

١٩٥٣

مَهَاةٌ شَاهَدَتْ جَنَّاتِ مِيٍّ وَقَدْ أَمْسَتْ قِفَارًا بَعْدَ رِيٍّ
فَقَالَتْ : بَدَلْتُ رَشْدًا بَغِيٍّ « سَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةٌ كُلُّ حَيٍّ
وَدَاعِيهِ — لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعٍ »

فَإِنْ ضَحِكَ الْمُنَاطِرُ مِنْ مَهَاةٍ تَرَى الْجَنَّاتِ أَسْوَأَ مِنْ فَلَاحَةٍ
فَبَعْضُ الْعَيْشِ شَرٌّ مِنْ وَفَاةٍ « وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ
إِذَا مَا عُودَ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ »

١٩٥٣

مُثِيرَةٌ وَجَدِي ! أَنْصِبِي إِنْ ذَكَرْتَنِي فَلَمْ مِثْلَ غَيْرِي، بَلْ أَقَلَّ حَسْبَتِي ؟
 سَمَوْتُ وَلَمْ أَعْلَمْ لِمَاذَا نَكَرْتَنِي ؟ « أَيْبَنِي ! أَفِي يُمْنِي يَدِيكَ جَعَلْتَنِي
 فَأَفْرَحَ ، أَمْ صَيَّرْتَنِي فِي شِمَالِكَ ؟ »

سَمَوْتُ بِأَخْلَاقِ بَنَاتِ كَرَامَةٍ وَفَنِّ سَرَى كَمَا لَبَدْرٍ حُفَّ بِهَالَةٍ
 وَلَسْتُ بِشَاكِ مَا أَرَى مِنْ جَهَالَةٍ : « لَيْتَنِي سَاءَنِي أَنْ نَلِيتَنِي بِمَسَاءَةٍ
 فَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ »

١٩٥٢

دَهَانِي الْهَوَى كَمَا لِلصَّ حَاوِلَ وَأَنْشَأَنِي فَمَا فُزْتُ بِالسَّلَوى وَلَا أَذْرَكَ الْمُبْنَى
 وَلَكِنَّهُ أَذْلَى فُؤَادِي، وَدَوَّنَا : « لَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمُحِبَّ إِذَا دَنَا
 يَمَلُّ ، وَأَنَّ الْبُعْدَ يَشْنِي مِنَ الْوَجْدِ »

وَرَدَدْتُ هَذَا الْبَيْتَ حَتَّى تَكُونَا مَلَالٌ بِنَفْسِي، وَالْغَرَامُ تَلَوَّنَا
 فَقُلْتُ : ابْتَعِدْ يَا قَلْبُ عَنْهَا فَأَعْلَنَا : « بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشَفَّ مَا بَنَا
 عَلَى أَنْ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ »

١٩٥٢

عَلَّمَ سِوَاكَ الصَّدَقَ تَكْسِبَ أَجْرَهُ فَالْحَقُّ يَفْضَحُ مَنْ يُمَثِّلُ دَوْرَهُ
وَلَقَدْ يُقَالُ لِمَنْ يُعَظَّمُ قَدْرُهُ : « يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرُهُ
هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ »

يَهْوَى الْأَنَامُ مِنَ الْمُهَذَّبِ عَدْلَهُ فَاتَّبِعْ، هُدَيْتَ، هُدَاهُ وَأَفْعَلْ فِعْلَهُ
وَإِذَا عَثَرْتَ عَلَى الْمُثَلِّ قُلْ لَهُ : « لَا تَنَّهُ عَنِ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ
عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ »

١٩٥٣

مُنَاضِلٌ مِنْ مَنَارِ الْفِكْرِ حُجَّتُهُ وَكَلَمًا هِجَّتُهُ رَاعَتْكَ قُوَّتُهُ
كَأَنَّمَا عَلِمَهُ الْفَيَاضُ خَمَرَتُهُ « يَسْقِي وَيَشْرَبُ لَا تُلْهِمِهِ سَكْرَتُهُ
عَنِ النَّدِيمِ وَلَا يَلْهُو عَنِ الْكَاسِ »

يُظَلُّ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى أَخَا شَغَفٍ، كَالْعَطْرِ بِالزَّهْرِ أَوْ كَالدُّرِّ بِالصَّدَفِ
فَإِنْ عَصَاهُ الْهَوَى كَالْحَاكِمِ الْخَرِيفِ، « أَطَاعَهُ سُكْرُهُ حَتَّى تَحْكُمَ فِي
عَقْلِ الصُّحَاةِ، وَهَذَا أَحْكَمُ النَّاسِ »

١٩٥٣

يَا أَصْدِقَائِي أَلَى أَمَلْتُ نُصْرَتَهُمْ فِي حُبِّ مِيٍّ، فَكَانَتْ مِيٍّ مُحْتَمَةً
أَشْكُو أَسَاءَةَ أَضَاعِ الْحُبِّ ذِمَّتَهُمْ « أَشْكُو الَّذِينَ أَذَاقُونِي مُحَبَّتَهُمْ
حَتَّى إِذَا أَيْقَظُونِي لِلْهَوَى رَقَدُوا »

إِنِّي دَفَنْتُ الْهَوَى مَذْلاَحَ مَكْرُهُمْ وَلَسْتُ أَرْضَى بِمَلِكِ الْأَرْضِ يَنْتَهُمُ
كَرَامَتِي فَوْقَ أَهْوَائِي فَقُلْ لَهُمْ: « لَا رَحْلَنَّا عَنِ الدُّنْيَا وَحُبِّهِمْ
بَيْنَ الْجَوَانِحِ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ »

١٩٥٢

أَمَانِيكَ فِي الدُّنْيَا عَلَانِيٌ تَارِكٌ فَلَا تَكُ فِي ظِلِّ الضَّلَالِ بِسَالِكِ
فَمَا أَنْتَ فِي دَارِ الْفَنَاءِ بِمَالِكِ « أَلَا كُلُّ حَيٍّ هَالِكٌ وَأَبْنُ هَالِكِ
وَذُو نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيقٌ »

وَلَا تَتَمَلَّمَنَّ مِنْ حَيَاةٍ تَشَرَّفَتْ، بِآلَائِكَ الْحُسْنَى، وَبِالْصَّدِّ أَسْرَفَتْ
فَكَمْ قَطَعَتْ دُنْيَاكَ عَهْدًا وَأَخْلَفَتْ، « إِذَا أُمْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشَفَتْ
لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ »

١٩٥٢

أَخَا الظُّلْمِ ! قُلْ لِلنَّاسِ كَيْفَ وَجَدْتَنِي، وَهَلْ كَانَ عَدْلًا مِنْكَ أَنْكَ عِثَّتِي ؟
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْفَظْ جَمِيلِي وَخُنْتَنِي « سَتَقْطَعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي
 يَمِينَكَ ، فَإِنْظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ » !

أَلَسْتُ قَتَيْتُ بِالْمَكْرُمَاتِ عَرَفْتَهُ ؟ فَأَنْصِفْ ، لِأَنَّ الْحَقَّ يَكْرَهُ كِبَيْتَهُ
 وَلَا تَغْمِطِ الْمَعْرُوفَ أَتَى ثَقَفْتَهُ « إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ
 عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ »
 ١٩٥٢

لَا تَعْدُلُوهُ فَ—إِنِّي أَكْرَمْتُهُ فَتَمَرَّدَتْ أَهْوَاؤُهُ ، وَخَسِرْتُهُ
 ذَنْبِي مَحَبَّتُهُ ، فَلَوْ أَبْغَضْتُهُ « مَنْ لِي بِإِنْسَانٍ إِذَا أَغْضَبْتُهُ
 وَسَخِطْتُ كَانَ الْحِلْمُ رَدَّ جَوَابِهِ ؟ »

فَأَصْبِرْ عَلَى الْأَيَّامِ ، كَمَا الْمَحْبُوبُ إِنْ أَبْدَى الْجَفَاءَ ، وَلَا تَتَيْنَّ وَلَا تَهِنِ
 مَنْ لِي بِذِي وَدٍّ إِذَا أَصْطَحِبَ أَوْ تَمَنِّ « وَإِذَا طَرَبْتُ إِلَى الْمُدَامِ شَرِبْتُ مِنْ
 أَخْلَاقِهِ وَسَكِرْتُ مِنْ آدَابِهِ »

وَإِذَا شَكَوْتُ ضَنْيَ أَجَابَ بِدَمْعِهِ أَوْ أَظْلَمَتْ دُنْيَايَ جَاءَ بِشَمْعِهِ
 يَفْتَرُّ كَالْمَالِ الثَّمِينِ بِأَمْعِهِ « وَتَرَاهُ يُصْغِي لِلْحَدِيثِ بِسَمْعِهِ
 وَبِقَلْبِهِ ، وَلَعَلَّهُ أَذْرَأُ بِهِ »
 ١٩٥٢

دَهَانِي هَوَى الْأَطْمَاعِ حَتَّى صَرَفْتُهُ وَأَعَسَرُ مَا أُنْسَى حَيْنٌ عَرَفْتُهُ
كَأَنِّي، وَقَدْ ضَيَّعْتُ حُبِّي وَعِفَّتُهُ، « تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضَّرِّ حَتَّى أَلِفْتُهُ
وَأَخَوَجَنِي طَوْلُ الْعَزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ »

وَلَمْ أَرَ كَمَا لَمَعُ رُفُوفُ النَّاسِ بَاقِيَا وَلَسَكِنِّي لَمْ أُلْقَ إِلَّا تَعَامِيَا
فَعَزَّيْتُ فُؤَادِي أَنْ يَذُوبَ تَسَامِيَا « وَصَيَّرَنِي يَأْسِي مِنَ النَّاسِ رَاجِيَا
لِسُرْعَةِ لُطْفِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أَذْرِي »

١٩٥٣

طَلَبْتُ مِنَ الْوَرْدِ الْمُنْعِ شَمَّةً فَلَا تَتَطَلَّبُ بَعْدَ ذَلِكَ أَرْمَهُ
فَمَنْ يَدْرِغُ بِالزُّهْدِ يَسْتَرْضِ خَصْمَهُ « وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَوَاهُ وَهْمَهُ
سَبَبَتُهُ الْمُنَى وَأَسْتَعْبَدَتْهُ الْمَطَامِعُ »

وَقَدْ يَشْتَهِي الْإِنْسَانُ مَا فِيهِ حَتْفُهُ فَأَيْسَرُ حَيْفٍ مَا أَصَابَكَ نِصْفُهُ
وَقُلْ: رَبِّ لُطْفًا بِي، فَيَهْدِيكَ لُطْفُهُ « لِكُلِّ أَمْرٍ رَأْيَانٍ: رَأْيٌ يَكْفُهُ
عَنِ الشَّيْءِ، أَحْيَانًا، وَرَأْيٌ يُنَازِعُ »

١٩٥٣

يَا عَاشِقَ الرُّوحِ اسْتَبَدَّ بِكَ الْجَوَى، وَالْحُبُّ سُلْطَانٌ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
تَهْوَى الْخُلُودَ فَإِنْ وَهَتْ مِنْكَ الْقُوَى « تَقَلُّ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنْ الْهَوَى
مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ »

يَدْوِي هَوَى الدُّنْيَا، فَلَا تَسْأَلْ مَتَى وَالْأَرْضُ تَطْوِي مَنْ أَطَاعَ وَمَنْ عَتَا
إِنَّ الَّذِي يَأْتِي يَزُولُ كَمَا أَتَى « كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى
وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ »

١٩٥٢

إِنْ عَقَّ شَارِبُ كَأْسِ الْحُبِّ سَاقِيَهُ، وَلَمْ يَلْبِ دَعِيَّ الْوَدِّ دَاعِيَهُ
فَدَعِ مُرَاعَاةَ مَنْ لَمْ يَزَعْ مَاضِيَهُ « أَوْلَى الْبَرِيَّةِ طُرًّا أَنْ تُرَاعِيَهُ
عِنْدَ الشُّرُورِ الَّذِي رَاعَاكَ فِي الْحَزَنِ »

وَأَهْجُرْ لِنَامًا إِذَا أَحْبَبْتَهُمْ مَكْرُوا وَإِنْ أَتَيْتَ بَايَاتِ النُّهَى سَخِرُوا
وَأَذْكُرْ كِرَامًا إِذَا أَكْرَمْتَهُمْ شَكْرُوا « إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَّرُوا
مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ فِي الْمَسْكَنِ الْخَشَنِ »

١٩٥٢

مُحِبُّكَ يَشْكُو وَجَدَهُ كُلَّ سَاعَةٍ بِنَظْمٍ أَنَا شَيْدٍ وَعَزَفٍ رَبَابَةٍ
وَيَطْوِي أَلْيَالِي شَادِيًا بَوْدَاعَةٍ : « أَعِيذُكَ أَنْ تُمَنِّي بِشَكْوَى صَبَابَةٍ
وَإِنْ أَكُسَبَتْنَا مِنْكَ عَطْفًا عَلَى الصَّبِّ »

فُوَادِي أَكْتُوِي يَا مَيَّ مِنْ لَوْعَةِ أَلْهُوِي، وَذَابَ كَشَمْعُ الْعَابِدِينَ وَمَا أَرْعَوِي
فَيُسْعِدُنِي أَنْ تَجْهَلِي - ذَابَ وَأَكْتُوِي - « وَيَحْزُنُنِي أَنْ تُعْرِفِي الْحُبَّ بِالْجَوِي
وَلَوْ نَفَعَتْنَا مِنْكَ مَعْرِفَةُ الْحُبِّ »

١٩٥٢

سَلَوْنَا وَعُدْنَا، وَالصَّبَابَةُ شَدَّهَا وَثَاقُ جَدِيدٍ، وَالصَّدُودُ أُسْتَرَدَّهَا
لَقَدْ بَلَغَتْ الْعُوبَةُ الْحُبَّ حَدَّهَا « إِذَا قُلْتُ قَضَيْتُ الصَّبَابَةَ رَدَّهَا
خَيَالٌ مُلِمٌّ مِنْ حَيْبٍ مُجَانِبٍ »

أَتَانِي وَقَدْ عَلَلْتُ نَفْسِي بِقُرْبِهِمْ وَقَالَ : أَنَا مُمٌّ، إِنَّ قَلْبِي كَقَلْبِهِمْ
فَوَاعَجِبِي ! هَلْ دَرَبُهُ عَكْسُ دَرَبِهِمْ ؟ « يَجُودُ، وَقَدْ ضَنَّ الْأُلَى شَغْنِي بِهِمْ
وَيَدْنُو، وَقَدْ شَطَّتْ دِيَارُ الْجَبَائِبِ »

١٩٥٣

مَضَى عَهْدُ التَّدَلُّهِ وَالتَّصَابِي مَضَى السُّكْرِ مِنْ بَعْدِ الشَّرَابِ
فَمَا خُفُوقِ قَلْبِي مِنْ إِيَابٍ « أَعَاذِلْ! قَدْ كَبُرْتُ عَنْ الْعِتَابِ
وَقَدْ ضَحِكَ الْمَشِيبُ مِنْ أَشْبَابِ »

كَأَنِّي رَوْضَةٌ لَمْ تَعْرِتْ كَسَاهَا الثَّلْجُ حُلَّتْهُ فَسَرَّتْ
وَلَمَّا، حُرْقَةُ الْأَهْوَاءِ، مَرَّتْ « رَدَدْتُ إِلَى التَّقِي نَفْسِي فَفَرَّتْ
كَمَا رَدَّ الْحُسَامُ إِلَى الْقِرَابِ »

١٩٥٣

لَا تَكْتَرِثْ لِمَالِي مُتَشَدِّقٍ فَالْفِعْلُ أَصْدَقُ مِنْ خَطِيبٍ مُفْلِقٍ
وَأَحْذَرُ صَدَاقَةٍ مُغْرِضٍ وَمُفَلِّقٍ « لَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مُتَمَلِّقٍ
حُلُوِّ اللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ »

وَأَشَدُّ مُؤْذٍ مَنْ يَصُوغُ مَقَالَةً فِي وَصْفِ مَا تُسَدِّي لِيَبْلُغَ غَايَةً
فَإِذَا تَعَذَّرَ أَنْ يَنَالَ عُلَاةَ « يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً
وَيَرْوِغُ مِنْكَ كَمَا يَرْوِغُ الثَّعْلَبُ »

١٩٥٣

رَمَتْنِي بِسَهْمِ الْحُبِّ عَيْنٌ قَرِيرَةٌ يَدِي عَنْ مَآتِيهَا الْحِسَانِ قَصِيرَةٌ
وَقَدْ قِيلَ لِي: إِنَّ الْغَرَامَ سَرِيرَةٌ « فَلَيْتَكَ تَحْلُو، وَالْحَيَاةَ مَرِيرَةٌ
وَلَيْتَكَ تَرْضَى، وَالْأَنَامُ غِضَابُ »

وَأَنْتَ بِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ مُقَامِرٌ وَمَا أَنْتَ بِالْوَجْدِ الْمُبْرِجِ شَاعِرٌ
فَلَيْتَكَ تَدْرِي مَا تُكِنُّ الضَّمَائِرُ « وَلَيْتَ الَّذِي يَبْنِي وَيَبْنِيكَ عَامِرٌ
وَيَبْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ »

وَرُبَّ فَوَادٍ عَاشَ وَقَفًّا عَلَى الضُّعَى فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَرْخَمْ، فَمَا رَاحِمٌ أَنَا
لَعَلَّ الرُّضَى بِالظُّلْمِ يَجْمَعُ يَبْنِيَنَا « إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوَدَّ يَا غَايَةَ الْمُنَى
فَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ »

١٩٥٢

إِلَيْكَ إِلَهِي! مَنْ عَلَى عَرْشِهِ أَسْتَوَى صَلَاةَ مُحِبٍّ صَالٍ فِي قَلْبِهِ الْجَوَى
يُرْنَمُ كَالْمُشْتَاكِ لَجَّتْ بِهِ النَّوَى: « إِذَا اللَّيْلُ أَضْوَانِي بَسَطْتُ يَدَ الْهَوَى
وَأَذَلْتُ دَمْعًا مِنْ خَلَائِقِهِ الْكِبَرُ »

أَنَا أُلَوِّهِ الْمُضْنَى أَطَالَتْ شُجُونُهُ أَغَانِي الْمُنَى، وَالْبُعْدُ هَاجَ فُتُونُهُ
وَمَاتَ الَّذِي لَيْلَاهُ شَاءَتْ مَنُونُهُ « مُمْلَلَتِي بِالْوَصْلِ، وَالْمَوْتُ دُونُهُ!
إِذَا مِتُّ ظَمَانًا فَلَا نَزَلَ الْقَطْرُ »

١٩٥٣

أَهْدِيكَ شِعْرًا كَرَوْضٍ فِيهِ تَخْتَالُ بَنَاتُ فِكْرِي، وَبَعْضُ الدَّرِّ أَقْوَالُ
 قَلْبِي يُحَدِّثُنِي إِنْ غَرَّنِي الْآلُ : « لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالُ
 فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ »

وَعَايَةُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا كَرَامَتُهُ مَا قِيَمَةُ الْمَرْءِ إِنْ لَمْ تَعْلُ رَايَتُهُ ؟
 ضَلَّ الَّذِي ظَنَّ أَنَّ الْمَالَ غَايَتُهُ « ذِكْرُ النَّبِيِّ عُمَرُ الْثَّانِي، وَحَاجَتُهُ
 مَا قَاتَهُ ، وَفُضُولُ الْمَيْشِ أَشْغَالُ »

١٩٥١

قَدْ يَفْقِدُ الْمَرْءُ بَيْنَ النَّاسِ عِزَّتَهُ إِذَا شَكَأَ أَمْرَهُ أَوْ سَبَّ مَحَنَتَهُ
 فَكُنْ كَالَيْثِ الشَّرَى مَا بَاعَ هَيْبَتَهُ « وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ فَتُسْمِتَهُ
 شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْغَرَبَانِ وَالرَّخَمِ »

تَصُونُ نَفْسِي عَنِ الْإِفْصَاحِ عِزَّتُهَا كَأَنَّمَا عِفَّةُ الْأَجْيَالِ عِفَّتُهَا
 وَقَدْ تَذِلُّ نَفُوسَ الْأُسْدِ مَحَنَتُهَا « سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي كَيْفَ لَذَّتُهَا
 فِيمَا النُّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ »

١٩٥١

رَأَيْتُ الْعَلِيمَ طَعَنَ عَلَى الْحِدْثَانِ وَطَوَى الزَّمَانَ حَوَادِثَ الْفُرْصَانِ
 مَا الْقَوْلُ مُخْتِاجٌ إِلَى بُرْهَانٍ : « أَلَرَأَيْتُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ
 هُوَ أَوَّلُ وَهْيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي »

وَلَرُبَّمَا سَبَقَ الْعَلِيمُ زَمَانَهُ وَقَضَى وَلَمْ يَذِرِ الْوَرَى إِحْسَانَهُ
 ظَنُّهُ طَعَنَ الزَّمَانَ فَكَانَهُ « وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ
 بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعِنِ الْأَقْرَانِ »

وَلَرُبَّمَا صَفَتِ الْحَيَاةُ الْمُجْرِمَ قَتَلَ الْأُلُوفَ، وَمَا صَفَتِ الْمُعَلَّمَ
 وَكَفَاكَ فَخْرًا أَنْ تَعِيشَ كَمَلِهِمْ « لَوْلَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَذْنِي ضَيْغَمٌ
 أَذْنِي إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ »

١٩٥١

تَرُدُّ الْمَعَالِي مَا يَرُدُّ الْمُهَاجِمُ وَتَسْتَعْبِدُ الْأَهْوَاءَ مَنْ لَا يُتَمَوَّمُ
 فَذَلَّلَتْهَا، وَالْمُسْكِرُمَاتُ تَمَامُ « عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعِزِّ تَأْتِي الْعِزَامُ
 وَتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكِرَامِ الْمُسْكِرَامُ »

وَكَمْ فِكْرَةٍ حَسَنَاءَ لَبَّحَ عِثَارُهَا بَنَيْتُ لَهَا عَرْشًا فَعَزَّ جِوَارُهَا
 فَمَالٌ يُضِيُّ الْعَالَمِينَ مَنَارُهَا « وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا
 وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَامُ »

١٩٥١

قَضَى الْأَدِيبُ فَقِيرًا فِي مَظَاهِرِهِ وَنَفْسُهُ وَهَبَتْ أَسْنَى جَوَاهِرِهِ
أَمَّا الْجَهْلُ فَأَثْرَى مِنْ صَفَائِرِهِ « وَمَا أُنْتَفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ
إِذَا أَسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ » ؟

إِنَّ الْحَيَاةَ وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَجَبِ ، تُغْرِى بَنِي الْجَهْلِ بِاللَّذَاتِ وَالنَّشَبِ
وَلَسْتُ مِنْهُمْ ، فَنُورُ الْعِلْمِ كَانَ أَبِي « أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي
وَأَسْمَعْتَ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمٌّ »

وَالْجِسْمُ ظِلٌّ فَلَا تَغْتَرَّ بِالْتَّرَفِ ، وَالرُّوحُ نُورٌ ، وَلَيْسَ الدُّرُّ كَالصَّدْفِ
إِنَّ الْكَمَالَ الَّذِي أَغْيَا الْوَرَى هَدَفِي « مَا أَبْمدَ الْيَبَ وَالنَّقْصَانُ مَنْ شَرَفِي
أَنَا الثَّرِيَا وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ »

١٩٥١

عَذَابُكَ يَا ذَا الْفَضْلِ مِمَّا عَشِقْتَهُ فَلَا تَتَأَفَّفَ مِنْ جُحُودِ - صَدَقْتَهُ
فَدَيْتَكَ عَدُّ كَمْ كَرِيمٍ عَرَفْتَهُ ؟ « إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ
وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا »

وَضَعْتُ عَلَى صَدْرِ الْحَيَاةِ قَلَانْدِي لَعَلَّ بَنِيهَا يَشْكُرُونَ مُحَمَّدِي
وَلِي شُهْرَةٌ يَشْتَاقُهَا كُلُّ مَاجِدٍ « وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوءَاةٍ قَصَائِدِي
إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا »

١٩٥١

هَوَى الْأَطْمَاعِ حَرَكَ كُلِّ سَاكِنٍ وَرِيحُ الْمَوْتِ تَعْصِفُ بِالْمَسَاكِينِ
فَإِنْ أَقْضِيَ اجْتَنَّبْتُ أَذَى عِرَاكِ « وَإِنْ أَسْلَمَ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ
سَلِمْتُ مِنَ الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ »

وَإِنْ أَرِقَ الْمَرِيضُ عَلَى وَسَادٍ كَمَنْ عَشِقَ الدُّنْيَى وَضَنَاءَ بَادٍ
فَأَنْشِدْ كَاخْلِيَّ بِلَا اُعْتِدَادٍ: « تَمَتَّعَ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ
وَلَا تَأْمُلْ كَرَى تَحْتَ الرَّجَامِ »

سَهَرْنَا لِلْمَعْنَى أَمَدًا وَنَمْنَا فَإِنْ أَوْدَى الْمَمَاتُ بِنَا أُسْتَرْحْنَا
وَلَيْسَ السَّرُّ أَنَّ الْجِسْمَ يَفْنَى « فَإِنَّ لِثَالِثِ الْحَالَيْنِ مَعْنَى
سِوَى مَعْنَى انْتِبَاهِكَ وَالنَّمَامِ »

١٩٥١

نَفَرَتْ نَفُوسُ النَّاسِ مِنْ آرَابِهَا لَمَّا رَأَتْ أَنَّ الزَّوَالَ مَضَى بِهَا
وَالنَّمْسُ تُدْرِكُ أَنَّ بَعْدَ ذَهَابِهَا « تَتَخَلَّفُ الْآثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا
حِينَئِذٍ، وَيُذَرِّكُهَا الْفَنَاءُ فَتَتَّبَعُ »

وَإِذَا اتَّخَذْتَ مِنَ الْفَوَاجِعِ عِبْرَةً، فَأَنْبِذْ هَوَى ابْنِ الْأَرْضِ وَأَعَشِقْ حِكْمَةَ
لَا تَحْسَبِ الدُّنْيَا تَدِيمٌ مَسْرَّةً: « الْمَجْدُ أَخْسَرُ وَالْمَسْكَرُ صَفْقَةٌ
مِنْ أَنْ يَهْيَسَ لَهَا الْهُمَامُ الْأَرْوَعُ »

١٩٥١

أَلَا إِنَّ حُكْمَ الْمَوْتِ فِي الْأَرْضِ عَدْلُهَا، تُرَى مَا تَكُونُ الْحَالُ لَوْ دَامَتِ اللَّهُي ؟
فَرَدَّ أَمْرُو عَانِي الضَّيِّ وَالْتَدَلَّهَا : « سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا ، فَلَوْ حَاشَ أَهْلُهَا
مُنِعْنَا بِهَا مِنْ جَيْئَةٍ وَذُهوبٍ »

أَنْحِيَا بِأَرْضٍ لَيْسَ فِيهَا لِرَاغِبٍ مُقَامٌ ، وَلَا قُوَّةٌ لِإِشْبَاعِ سَاغِبٍ ؟
دِيَارُ صِدَامٍ لَوَعَتْ كُلَّ صَاحِبٍ « تَمَلَّكَهَا الْآتِي تَمَلِّكَ سَالِبٍ
وَفَارَقَهَا الْمَاضِي فِرَاقَ سَلِيبٍ »

١٩٥٤

يَا صَاحِبَ الْفَنِّ الَّذِي فَتَنَ الْوَرَى وَجَنَى مِنَ الْحُبِّ الْبَرِيَّ تَحَسَّرَا
دَاوِ الْفُؤَادَ وَلَا تُعَانِدْ مَا جَرَى « جَهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَى
عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وَقَلْبٌ يَخْفُقُ »

دَاءُ الْغَرَامِ أَلَمٌ بِي وَبِلَوْثُهُ فَإِذَا مَرَرْتُ بِمُدْنَفٍ سَلِيَتُهُ
وَأَلَكُمُ سَخِرْتُ مِنَ الْهَوَى وَنَكَرْتُهُ « وَعَذَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ
فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَعِشُقُ »

وَأَمْرٌ مَا لَا قِيَّتُ فِرْيَةٌ مُفْتَرٍ وَخِلَافُ رَأْيٍ حَوْلَ وَحْدَةِ جَوْهَرٍ
وَأَنَا وَمَنْ أَهْوَى سَلِيلًا عَبَثَرٍ « نَبَكِي عَلَى الدُّنْيَا ، وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ
جَمَعْتَهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا »

١٩٥٢

حَيْرَتْ لُبَّهَا فُنُونُ السَّبَاقِ فِي هَوَاهَا فَاُسْتَهْزَأَتْ بِالرَّفَاقِ
وَعَدَتْ لَا تَرِقُ لِلْمُشْتَاكِ « أَتُرَاهَا لِكَثْرَةِ الْمُشَاكِ
تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَآقِي » ؟

وَسِوَاهَا مِنَ الصُّدُودِ تَصِيحُ : لَيْسَ مِنْ مُشْفِقٍ وَقَلْبِي جَرِيحُ
كَثْرَةُ الْعَاشِقِينَ جُرْمٌ صَرِيحُ « وَالْغِنَى فِي يَدِ اللَّيْمِ قَبِيحُ
قَدَرُ قُبُحِ الْكَرِيمِ فِي الْإِمْلَاقِ »

١٩٥١

سَلِّمِي ! لَنْ شَاهَدْتَ قَطَعَ الْعَلَائِقِ ، وَظَلَمَ ذَوِي الْقُرْبَى وَمَكَرَ الْمُنَافِقِ
فَأَنْتِ عَلَى رَغَمِ الْأَسَى وَالْعَوَاقِ « مُثَلَّةٌ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ تَفَارِقِي
وَحَتَّى كَأَنَّ الْيَأْسَ مِنْ وَصْلِكَ الْوَعْدُ »

أَرَاكِ نَشِيداً دَائِماً فِي مَسَامِعِي وَغَايَةً آمَالِي ، وَسِرّاً رَوَائِعِي
تُدَاوِينَ نَفْسِي ، تَصْنَعِينَ طِبَائِعِي « وَحَتَّى تَكَادِي تَمْسَحِينَ مَدَامِعِي
وَيَعْبَقُ فِي ثَوْبِي مِنْ رِيحِكَ النَّدَى »

وَإِنْ أَهْمَلْتَ حَسَنَاءَ أَسْبَابِ سَعْدِهَا لَتَرَعَى غَرَاماً زَائِلاً مِثْلَ وَعْدِهَا
فَلَا تَأْخُذِي عَنْهَا تَقْلُبَ وَدَّهَا : « إِذَا غَدَرْتَ حَسَنَاءَ وَفَّتْ بِعَهْدِهَا
فَمِنْ عَهْدِهَا أَنْ لَا يَدُومَ لَهَا عَهْدُ »

١٩٥٢

يَا مَنِيَّةَ الْعُمَرِ ضَاعَتْ فِي الْهَوَى حِيلِي، وَعِنَّةُ النَّفْسِ صَانَتْنِي عَنِ الزَّلَالِ
وَصَفَوْهُ وَدِّي غَنِيٌّ عَنْ وَفَائِكَ لِي « وَمَا صَبَابَةٌ مُشْتَاكِ عَلَى أَمَلٍ
مِنَ الْلِقَاءِ، كَمُشْتَاكِ بِلا أَمَلٍ »

وَالصَّبُّ إِنْ يَلْقَ دَلَالًا مِنْ مُعَذِّبِهِ يَنْفِرُ، وَلَوْ شَاقَهُ إِذْرَاكَ مَطْلَبِهِ
كَمْ قَالَ عَقْلِي لِقَلْبِي فِي تَقْلُبِهِ: « خُذْ مَا تَرَاهُ، وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ
فِي طَلْمَةِ الْبَدْرِ مَا يَغْنِيكَ عَنْ زُحَلٍ »

١٩٥٢

مِنَ النَّقْصِ لَمْ تَسْلَمْ مُحَمَّدٌ قَائِدٍ وَلَمْ يَنْجُ قَاضٍ مِنْ أَسِنَّةِ نَاقِدٍ
وَكَمْ عَابِدٍ أَمْسَى مَعَرَّةً جَاحِدٍ « كَأَنَّ الرَّدَى عَادٍ عَلَى كُلِّ مَا جِدَ
إِذَا لَمْ يُعَوِّذْ نَجْدَهُ بِمُيَرِبٍ »

وَقَدْ تَخَسَّرُ الْجَنَّاتُ بِالْعَيْنِ حُورَهَا، فَلَا بَلَغَتْ مِنْكَ الْعُدَاةُ سُورَهَا
كَأَنَّكَ شَمْسُ الْعَدْلِ خَطَّتْ سَطُورَهَا « وَفِي تَمَبٍّ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَهَا
وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرِبٍ »

١٩٥٣

أَذَى الْحُسَّادِ حَدَّثَنِي صَرِيحًا : عَلَى الْمِحْسَانِ أَنْ يَلْقَى قَبِيحًا
فَكَمْ مِنْ نَاقِدٍ عَمَلًا مَلِيحًا « وَكَمْ مِنْ حَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا
وَأَفْتُهُ مِنْ الْفَهْمِ السَّقِيمِ »

وَلِي شِعْرُهُ يَرُدُّ الْحُسْنَ عَنْهُ هُرَاءُ فَتَى جَفَاءُ وَلَمْ يَزِنَهُ
سَتَسْمَعُهُ بِلا بَدَلٍ، فَصْنُهُ « وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْأَذَانُ مِنْهُ
عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْعُلُومِ »

١٩٥٣

زَهَدْتُ، فَلَمْ تُجِدِ الْحَبِيبَ نَدَامَةً وَدَاوَتْ فُؤَادِي مِنْ هَوَاهُ انْتِفَاضَةً
وَمَا الزُّهْدُ إِلَّا يَقْظَةٌ فَقْنَاءَةٌ « وَمَا الْعِشْقُ إِلَّا غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ
يُعْرِضُ قَلْبُ نَفْسَهُ فَيُصَابُ »

فَهَلْ أَتَصَدَّى بَعْدَ لَذْعِي لِإِلْفِجٍ وَمَا كُنْتُ مِنْ نَارِ الْغَرَامِ بِرَابِجٍ
كَفَانِي مِنَ اللَّذَاتِ تَقْرِيرُ سَائِجٍ : « أَلَدُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيِ سَرَجُ سَابِجٍ
وَحَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ »

١٩٥٣

يَا قَلْدَ الصَّيْدِ الَّذِينَ أَقْلَهُمْ يَقْوَى عَلَى كَيْدِ الْمِدَى وَيُذِلُّهُمْ
 قُلْ لِلَّيْلِ ضَلُّوا، فَرُحْتَ تَذِلُّهُمْ: « مَا نَالَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كُلُّهُمْ
 شِعْرِي وَلَا سَمِعْتَ بِسِحْرِي بَابِلُ »

وَإِلَيْكَ عَنْ جِدِّي شَهَادَةٌ فَاحْصِ فَذِّ عَلَى دُرِّ الْمَحَامِدِ غَائِصُ:
 إِنِّي ابْنُ بَجْدَتِهَا، فَلَسْتُ بِنَاكِصِ « وَإِذَا أَتَيْتَ مَذْمَتِي مِنْ نَاقِصِ
 فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ »

١٩٥٣

ضِيَاءُ مِنَ الْفِكْرِ الْمُؤَلَّدِ أَفْلَتَا فَلَمْ جَمَالًا كَانَ فَنَّا مُشْتَتَا
 وَلَكِنِّي لَمْ أَلْقَ إِلَّا تَعَمُّتَا « أَعَادِي عَلَى مَا يُوْجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى
 وَأَهْدَأُ، وَالْأَفْكَارُ فِيَّ تَجُولُ »

وَسَاعِ، بَنَاتُ الْفِكْرِ لَا يَأْتِمِنُهُ تَرْفَعْتُ عَمَّا كَنَّهُ، فَأَبْنَهُ
 وَلَسْتُ حَسُودًا أَفْسَدَ الْبَغْيُ ظَنَّهُ « سِوَى وَجَعِ الْحُسَادِ دَاوٍ فَإِنَّهُ
 إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ يَحُولُ »

١٩٥١

تَنَسَّكَرَ لِدُنْيَا أَخْلَصَتْ لِحَلِيلِهَا وَمَا فَرَّحَتْ يَوْمًا فُؤَادَ حَلِيلِهَا
وَلَا تَبْتَئِسَ إِنْ أَكْثَرَتْ مِنْ عَوِيلِهَا « كَثِيرُ حَيَاةِ الْمَرْءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا
يَزُولُ، وَبَاقِي عَيْشِهِ مِثْلُ ذَاهِبٍ »

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّاعِرَ الْمُبْدِعَ أَرْتَقَى وَأَنَّ الَّذِي اسْتَعْلَى بِدُنْيَاهُ أَخْفَقَا
وَقَالَ لَهَا، لَمَّا اكْتَوَى وَتَحَرَّقَا : « إِلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ إِذَا اتَّقَى
عِضَاضَ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْمَقَارِبِ »

١٩٥٣

فَكَرَّرَ قَلِيلًا قَبْلَ عِشْقِ الْمَهَا فَالْنَعِيدُ أَزْهَارُ تُضِلُّ النُّهَى
وَمَا جَالُ الزَّهْرِ إِلَّا لُهَى « لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى
حُسْنِ الذِّي يَسْبِيهِ لَمْ يَسْبِهِ »

وَلَا تَبِعْ حِسًّا بِحُسْنِ ذَوَى كَفَاكَ مِنْ مُسْتَهْتَرٍ مَا أَرْعَوَى
أَمْسَى كَسِرٌ فِي فُؤَادِي نَوَى وَلَوْ دَرَى الْمَيِّتُ نَشِيدَ الْهَوَى
لَا هَتَرَ كَالْأَحْيَاءِ مِنْ عُجْبِهِ

١٩٥٢

ملاحظة : البيت الثاني للمؤلف ، لذلك لم يوضع بين « - » .

تَمَلَّكَ النَّفْسَ قَصْدُ لَسْتُ أَمَلِكُهَا وَأَتَعَبُ النَّاسِ مَنْ فِي الْوَهْمِ مَسَلِكُهَا
فَصُنْ دَمَ الْفِكْرِ فَلَا هَوَاءَ تَسْنِكُهَا « مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهَا
تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ »

وَدَعَكَ يَمَنْ رَأَى أَنَّ الْهَوَى أَمَلُ لِكُلِّ حُبٍّ وَإِنْ طَالَ الْمُدَى أَجَلُ
وَقُلْ لِمَنْ لَمْ تُفِذْ فِي وَصْلِهِ حِيلُ : « جَزَاءُ كُلِّ قَرِيبٍ مِنْكُمْ مَلَلُ
وَحَظُّ كُلِّ مُحِبٍّ مِنْكُمْ صَفْنُ »

١٩٥٣

كَيْفَ أَمْسَى فُؤَادُكَ الْمُسْتَهَامُ بَعْدَ أَنْ أَزْمَعَ الرَّحِيلَ الْغَرَامُ ؟
هَلْ تَعَابَتْهُمَا ؟ وَكَانَ الْكَلَامُ : « أَيْنَ أَزْمَعْتَ أَيُّهَا الْهُمَامُ ؟
نَحْنُ زَهْرُ الرَّبِّي وَأَنْتَ الْغَمَامُ ... »

أَيُّهَا الْحُرُّ ! إِنْ عَرَفْتَ الْإِسَارَا فِي الْهَوَى فَاجْعَلِ الْمَلَاذَ الْفِرَارَا
لَكَ نَفْسٌ تَأْبَى الْأَذَى وَالصَّغَارَا « وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ كِبَارَا
تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ »

١٩٥٤

بِرَبِّكَ قولي، وَوَقِيتِ الْعِثَارَا : أَتُصْبِحُ زُهُرُ الرِّيَاضِ قِفَارَا ؟
فَإِنِّي، وَقَدْ دَارَ دَهْرِي وَجَارَا ، « أَرَى ذَلِكَ الْقُرْبَ صَارَ أَزُورَارَا
وَصَارَ طَوِيلُ السَّلَامِ اخْتِصَارَا »

فَوَاهَا لِقَلْبِي مِنَ الْعَذَلِ أَلَا يَشْفَعُ الشَّعْرُ فِي الْحُبِّ لِي ؟
وَقَدْ كَلَّمْتَنِي بِأَبْنَى الْحُلِيِّ « قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ عَنْ مِقْوَلِي
وَتَبَنَ الْجِبَالِ وَخُضْنَ الْبَحَارَا »

١٩٥٣

وَسَادَةٍ، زَبَدُ الْأَمْوَاجِ عِزَّتُهُمْ تَزُولُ أَفْجَادُهُمْ، وَالْهَزْءُ يَتَبَعُهُمْ
فَلَا تَفَرُّنَا يَا ابْنَ الْفَنِّ صَوْلَتُهُمْ « وَأَنْتَ أَبْعَدُهُمْ ذِكْرًا، وَأَكْبَرُهُمْ
قَدْرًا، وَأَرْفَعُهُمْ فِي الْمَجْدِ بُنْيَانَا »

هَامُوا بِمَاجِنَةٍ تَفْنَى مَحَاسِنُهَا وَأَنْتَ تَكْرَهُ مَا يَأْتِيهِ مَاجِنُهَا
يَا ابْنَ الْحَيَاةِ الَّتِي تَبْقَى مَفَاتِيحُهَا « قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ أَرْضًا أَنْتَ سَاكِنُهَا
وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا »

١٩٥٣

تَخَذْتُ الصَّدْقَ وَالْإِخْلَاصَ دَرْبًا وَحُبَّ الْخَيْرِ وَالْإِصْلَاحَ دَأْبًا
فَنِلْتُ مِنَ الْوَرَى حَسَدًا وَسَبًّا « وَلَمَّا صَارَ وَدُّ النَّاسِ خِبًّا
جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بِابْتِسَامٍ »

وَكَمْ بَلَدٍ يَضِيعُ الْحُرُّ فِيهِ وَحَظُّ أَدِيهِ دُونَ السَّفِيهِ
سَكَتُ بِهِ كَمَجْرُوحٍ فِيهِ « وَصِرْتُ أَشْكُ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ
لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنَامِ »

١٩٥٢

نَسَأَلُ السَّائِرِينَ عَنْ دَارِ هِنْدٍ فَيَحَارُونَ بَيْنَ أَخَذٍ وَرَدٍّ
لَا تَحَارُوا، فَالرَّدُ لَيْسَ بِمُجَدٍّ « نَحْنُ أَذْرَى وَقَدْ سَأَلْنَا بِمُجَدٍّ:
أَقْصِرْ طَرِيقُنَا أَمْ يَطْوُلُ »

وَسُكُوتُ الْفَتَى الْمُحِبِّ نِفَاقُ وَالتَّسَلِّيُّ عَلَى الطَّرِيقِ ارْتِفَاقُ
فَطَوِيلُ قَبْلِ اللِّقَاءِ الْفِرَاقُ « وَكَثِيرٌ مِنَ السُّؤَالِ اشْتِيَاقُ
وَكَثِيرٌ مِنْ رَدِّهِ تَعْلِيلُ »

١٩٥٣

زَوَالُ الْمَحَبَّةِ مِنْ مُخْلِيفٍ وَهَجْرُ الْأَحِبَّةِ مِنْ مُرْجِفٍ
وَبَلَوَاكَ مِنْ ظَالِمٍ مُسْرِفٍ « وَكَمْ لِلْهَوَى مِنْ فَتَى مُدْنَفٍ
وَكََمْ لِلنَّوَى مِنْ قَتِيلٍ شَهِيدٍ »

وَهَلْ يُسْتَطَابُ كَلَامُ اللَّثَامِ لِتَجْعَلَ مِنْهُمْ شُهُودَ غَرَامِي؟
يَقُولُونَ: مَا كُنْتُ بِالْمُسْتَهَامِ « فَمَا لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الْكَلَامِ
وَقَدَرُ الشَّهَادَةِ قَدَرُ الشُّهُودِ »؟

١٩٥٣

وَمَجْمَعٌ هَذِرٌ بِالْهَرَاءِ مُفَاخِرٍ يُطَاوِلُ أَهْلَ الْفَنِّ غَيْرَ مُحَاذِرٍ
وَكََمْ قَاصِرٍ فِيهِ أَسْتَجَارَ بِعَائِرٍ « خَلِيلِي! إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ
فَلِمَ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ »؟

لَحَى اللَّهُ دُنْيَا إِنْ جَنَحْتَ لِعَذْلَهَا أَطَالَتْ بَلَايَاهَا، وَضَنْتْ بِعَذْلَهَا
فَلَا تَعْجَبُوا يَا مُنْصِفِينَ لِهَزْلَهَا « بِنَا قَضَتْ الْأَيَّامُ مَا يَبْنِي أَهْلَهَا
مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ »

١٩٥٤

أَهَابَ بِقَلْبِ الصَّبِّ حُبُّ التَّفَوُّقِ وَمَنْ طَلَبَ الْعُلْيَاءَ بِالْجِدِّ يَرْتَقِ
فِيَا مُنِيَّةَ الرُّوحِ الطَّمُوحِ تَرْفَعِي « لِعَيْنَيْكَ مَا يَلْقَى الْفُؤَادُ وَمَا لَقِيَ
وَلِلْحُبِّ مَا لَمْ يَبْقَ مِنِّي وَمَا بَقِيَ »

لَعَلَّ هَوَاكَ الْعَذْبَ يَرْحِمُ صَبَّهُ إِذَا أَنْصَفَ الْمَحْبُوبُ قَلْبًا أَحَبَّهُ
وَلَسْتُ بِسَاهٍ يَذْهَلُ الْحُسْنُ لَهُ « وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ الْعِشْقُ قَلْبَهُ
وَلَكِنَّ مَنْ يُبْصِرُ جُفُونَكَ يَعْشَقُ »

وَلَمَّا شَكَّتْ نَفْسِي وَمَلَّتْ ضَنْئِي الْهَوَى، تَرَكَتُ فُؤَادِي يَسْتَجِمُّ مِنَ الْجَوَى
وَفَارَقْتُ أَحْبَابِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى « وَبَيْنَ الرِّضَى وَالسُّخْطِ وَالْقُرْبِ وَالنَّوَى
مَجَالٌ لِدَمْعِ الْمُقْلَةِ الْمُتَرَقِّقِ »

وَرَحْتُ بِحُبِّ الرُّوحِ أَقْتَحِمُ الْعُلَى وَأُعْرِضُ عَنْ حُسْنٍ يَتَوَلَّى إِلَى الْبَلَى
أَعِفُّ عَنِ الْغَادَاتِ يَرْفُلْنَ بِالْحُلَى « وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى يَعِفُّ إِذَا خَلَا
عَفَافِي وَيُرْضَى الْحُبُّ وَالْخَيْلُ تَلْتَقِي »

كَأَنَّ الْإِخَاءَ الْحَقَّ كَلَّلَ مَفْرَقِي فَأَظْهَرْتُ نَحْوَ النَّاسِ كُلِّ تَعَلَّقِي
وَلَمْ أَتَقَوَّلْ، كَمَا لَفَتِي الْمُتَحَذِّقِ : « إِذَا شَاءَ أَنْ يَذْهَبَ بِلِخْمَةٍ أَهْمَقِي
أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقُّ »

يَخَالُ رَقِيبُ النَّاسِ أَنِّي مُسَيِّطِرٌ وَغَيْرِي بِأَسْبَابِ الْأَذَى مُتَعَثِّرٌ
فَوَالْهَفَّتَاهُ! كَمْ دَهَانِي تَحَسَّرُ « أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضَبْنِي شُوَيْرُ
ضَعِيفٌ يُقَاوِنِي، قَصِيرٌ يُطَاوِلُ » ؟

يَثُورُ وَيَهْذِي، وَهُوَ بِالْفَنِّ جَاهِلٌ وَكَمْ مِنْ شُدُوزٍ قِيدَتْهُ سَلْسِلُ
دَعِيٌّ، بِأَسْرَارِ الْفُنُونِ مُجَادِلٌ « لِسَانِي بِنُطْقِي صَامِتٌ عَنْهُ عَادِلُ
وَقَلْبِي بِصَمْتِي ضَاكِكٌ مِنْهُ هَازِلُ »

تَعَمَّدَ إِيْغْضَابِي بِشَكْلِ يَعْيبُهُ وَلَيْسَ سِوَى الْفَهْمِ الصَّحِيحِ طَيِّبُهُ
فَدَعَاهُ بِغَمٍّ، فَالْسُّكُوتُ نَصِيبُهُ « وَأَتَعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا تُجِيبُهُ
وَأَغِيْظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لَا تُشَاكِلُ »

سَمَوْتُ بِشِعْرِ حُسْنِهِ مِنْ تَفَنِّي وَغَنَى بِإِبْدَاعِي زَمَانِي وَمَوْطِنِي
وَعَرَبَدَ حُسَّادِي وَجُهَالُ مَعْدِنِي « وَمَا أَلْتِيَهُ طَبِي فِيهِمْ غَيْرَ أَنِّي
بَغِيضٌ إِلَيَّ الْجَاهِلُ الْمُتَعَاقِلُ »



مَا لِلْحَيَاةِ أُشْتِطَّ عِذَاهُهَا وَحَالُهُمْ فِي حُبِّهَا حَالُهَا ؟
 هَامُوا بِهَا شَوْقًا فَكَانَتْ لَهُمْ « تَجَرِبَةُ الدُّنْيَا » وَأَفْعَالُهَا
 حَمَّتْ أَخَا الزُّهْدِ عَلَى زُهْدِهِ »

وَالْحُبُّ كَالْوَرْدِ وَلَيْدِ الثَّرَى فِي زَمَنِ أَزْهَارِهِ تُشْتَرَى
 وَاهَا لِسِرٍّ فِي الْبَرَايَا سَرَى : « تَشْتَاقُ أَيَّارَ نَفُوسِ الْوَرَى
 وَإِنَّمَا الشَّوْقُ إِلَى وَرْدِهِ »

وَالْمَرْءُ لَا يَشْتَاقُ إِنْ صَدَّ عَنْ قَصْدِهِ مَنْ يَدَّعِي وَدَّهَ
 فَلَا يَصْنُ قَلْبَكَ مَنْ رَدَّهَ « كَمْ صَائِنٍ عَنْ قُبْلَةِ خَدَّهَ
 سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَى خَدِّهِ »

وَكَفَرَ الْمَحْبُوبُ عَنْ ذَنْبِهِ لَمَّا تَوَلَّى الْقَلْبُ عَنْ حُبِّهِ
 زَالَ الْهَوَى، وَمَرَّ عَهْدِي بِهِ « أَمْسِ الَّذِي مَرَّ ، عَلَى قُرْبِهِ ،
 تَعَجَزُ أَهْلُ الْأَرْضِ عَنْ رَدِّهِ »



مِنَ النَّاسِ ذُو مَالٍ يَمُوتُ شَرَاهَةً وَجَمْعُ غَفِيرٍ أَنَّ جَوْعًا وَفَاقَةً
وَنَحْنُ الْأُلَى خِلْنَا الشَّقَاءَ فُكَاهَةً « ضَحِكْنَا ، وَكَانَ الضَّحْكُ مِنَّا سَهَاهَةً
وَحُقَّ لِسُكَّانِ الْبَسِيطَةِ أَنْ يَبْكُوا »

أَمَّا مِنْ نِظَامٍ يُوجِدُ الْعَدْلَ بَيْنَنَا وَيَدْرَأُ عَنَّا صَدَمَةَ الْفَقْرِ بِالْغِنَى ؟
فَنَحْنُ إِذَا لَمْ يَجْمَعْ الْحُبُّ شَمْلَنَا « يُحَطِّمُنَا رَيْبُ الزَّمَانِ كَأَنَّا
زُجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لَهُ سَبْكُ »

١٩٥٣

لَعَلَّ اجْتِهَادَ الْكَادِحِينَ غَبَاءٌ ! وَغَمَطُ حُقُوقِ الْعَامِلِينَ وَبَاءٌ
فِيَا دَهْرُ كَمْ يَشْقَى بِكَ الْحُكَمَاءُ ! « أُولُو الْفَضْلِ فِي أَوْطَانِهِمْ غُرَبَاءُ
تَشِدُّ وَتَنَاسَى عَنْهُمْ الْقُرَبَاءُ »

فَلَا تَسْأَلِ النَّائِنِ إِظْهَارَ حُبِّهِمْ وَدَرْبُكَ يَا نِدَّ الرُّؤْيَى غَيْرُ دَرَبِهِمْ
فَقَدْ سَاءَ نِي مَا يَصْنَعُونَ بِصَحْبِهِمْ « وَزَهَّدَنِي فِي الْخَلْقِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ
وَعِلْمِي بِأَنَّ الْعَالَمِينَ هَبَاءُ »

١٩٥٣

عَرَفْتُ سَبِيلَ الطَّالِبِينَ تَعَالِيَا فَكُنْتُ عَنِ الْعَدْلِ الصَّحِيحِ مُحَامِيَا
وَعَفْتُ الْإِلَى ظَنُّوا السُّمُوءَ التَّسَامِيَا « وَلَمَّا رَأَيْتُ الْجَهْلَ فِي النَّاسِ فَاشِيَا
تَجَاهَلْتُ حَتَّى ظُنَّ أَنِّي جَاهِلٌ »

وَأَغْرَضْتُ عَنْ مَرَعَى الْعُمَةِ، تَعَفُّفًا وَعَنْ نَيْلِ مُلْكٍ بِالْصَّدَامِ، تَلَطُّفًا
وَبِتُّ مَلَكَآ فِي الْأَعَالِي مُرْفَرِفَا « يُنَافِسُ يَوْمِي فِي أَمْسِي تَشْرِفَا
وَتَحْسُدُ أَسْحَارِي عَلَيَّ الْأَصَائِلُ »

١٩٥٢

تَقْضِي الْعَدَالَةَ أَنْ تُقَرَّرَ شِرْعَةً لِيَعِيشَ أَبْنَاءُ الْبَرِيَّةِ إِخْوَةً
فَيَقُولُ مَنْ وَجَدَ التَّسْلُطَ سُنَّةً : « مُلَّ الْمَقَامُ، فَكَمْ أَعَاشِرُ أُمَّةٍ
أَمَرَتْ بِغَيْرِ صِلَاحِهَا أُمَرَاؤُهَا »

بَلَّغَتْ بِأُمَّتِنَا الْمُصِيبَةُ حَدَّهَا وَفِي الْبَلِيَّةِ مَا يُحِبُّ وَرَدَّهَا
أُمَرَاءُ بَابِلَ لَمْ يَصُونُوا عَهْدَهَا « ظَلَمُوا الرِّعِيَّةَ وَأَسْتَجَازُوا كَيْدَهَا
وَعَدَوْا مَصَالِحَهَا وَهُمْ أَجْرَاؤُهَا »

١٩٥٢

ضياء عَيْنَيْكَ فِي الْأَحْلَامِ يُطْرِبُنِي وَأَنْسُ مَعْنَاكَ يُصْبِنُنِي وَيَجْذِبُنِي
كَأَنَّنِي وَالْهَوَى الْمُنْذِرِي يُلْهِبُنِي « مَا سِرْتُ إِلَّا وَطَيْفٌ مِنْكَ يَصْجِبُنِي
سُرَى أَمَامِي، وَتَأْوِيًا عَلَى أَثَرِي »

وَالشَّعْرُ يَسْبِي قُلُوبَ الْغَيْدِ رَائِعُهُ وَلَيْسَ بِجَهْلٍ سِرَّ السَّحْرِ صَانِعُهُ
يَقُولُ قَلْبِي، وَقَدْ مَنَّا دَافِعُهُ : « لَوْ حَطَّ رَحْلِي فَوْقَ الشَّمْسِ رَافِعُهُ
أَلْفَيْتُ ثُمَّ خَيَالًا مِنْكَ مُنْتَظِرِي »

١٩٥٢

لَا تَسْأَلُوا عَنْ حَالِ جَارِهِمْ كَمْ هَامَ شَوْقًا فِي مَزَارِهِمْ
فَالْقَلْبُ يَخْفُقُ لِأَذْكَارِهِمْ « وَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى دِيَارِهِمْ
وَطُلُوهُمَا بِمِدِّ الْبَلَى نَهْبُ »

فَسَكَبْتُ دَمْعِي فِي رُبِّي فَنَيْتُ أَزْهَارُهَا، وَعُهُودُهَا طُوِيَتْ
وَمَضَيْتُ مِثْلَ يَتِيمَةٍ شَقِيتُ « وَتَلَفَّتْ عَيْنِي فَمَذْ خَفِيتُ
عَنِّي الطُّلُوعُ تَلَفَّتْ الْقَلْبُ »

١٩٥٣

أَيُّهَا الْجَاهِلَانِ سِرَّ الْهَيْامِ ! نَاهِيَايَ عَنْ حُبِّ بَدْرِ التَّمَامِ
لَا تَجُورَا عَلَى الْفَتَى الْمُسْتَهَامِ « خَلَّيَانِي بِلَوْعَتِي وَغَرَامِي
يَا خَلِيلِي ! وَأَذْهَبَا بِسَلَامِ »

لَا تَظُنَّا أَنِّي أَدَاوِي بِطِبِّ لَتَصُدَّا عَنْ الْحَبِيبَةِ قَلْبِي
لَسْتُ تَدْرِيبَ مَبْلَغِ حُبِّي « قَدْ دَعَانِي الْهَوَى وَابَّاهُ لُبِّي
فَدَعَانِي ، وَلَا تُطِيلَا مَلَامِي »

وَأَعْلَمَا أَنِّي أُرَدُّ دَوْمًا قَوْلَ مَنْ لَمْ يَذُقْ مِنَ الْوَجْدِ نَوْمًا :
أَكْثَرَ الْجَاهِلُونَ عَذْلًا وَلَوْ مَا « إِنَّ مَنْ ذَاقَ خَمْرَةَ الْحُبِّ يَوْمًا
لَا يُيَالِي بِكَثْرَةِ اللَّوَامِ »

سَوْفَ يَرْتَدُّ عَنْ هَوَاهُ اخْتِيَارًا عِنْدَمَا يَبْلُغُ النَّشِيدُ الْقَرَارَا
فَاطِيلًا تَرَقُّبًا وَأَتَتِظَارَا يَهْجُرُ الْأَسْرَ مَنْ أَطَاقَ الْفَرَارَا
وَيَمِلُّ الْعُشَّاقُ رَغِي الذَّمَامِ

١٩٥٢

ملاحظة : البيت الرابع للمؤلف ، لذلك لم يوضع بين « - » .

إِلَيْكُمْ فِي جَلِيلِ الْأَمْرِ يُحْتَكَمُ، وَمِنْكُمْ فَاضَ نُورُ الْعَدْلِ وَالْكَرَمِ
فَكَيْفَ يَهْوَى مُحِبُّ الْحَقِّ ذَيْرَكُمْ؟ « يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ
فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ »

وَلَا تَفَاخِرْ بِمَجْدٍ عَابِرِ أُمَمٍ فَإِنَّمَا تَجِدُكُمْ بَيْنَ الْوَرَى عِلْمَ
فِيَا حِمَاةَ الْهُدَى أَعْلَتَهُمُ الشِّيمُ « يَكْفِيكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْفَخْرِ أَنْكُمْ
مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ »

١٩٥٣

يَا رُعَاةَ الْقَلْبِ مَاذَا رَدَّكُمْ عَنْ هَوَاكُمُ فَهَجَرْتُمْ رَبْعَكُمْ؟
نَحْنُ مَا زِلْنَا نُنْعِي بَعْدَكُمْ : « أَذْكُرُونَا مِثْلَ ذِكْرَانَا لَكُمْ
رُبَّ ذِكْرِي قَرَّبَتْ مَنْ نَزَحَا »

قَسَمًا، مَا حُلْتُ عَنْ عَهْدِكُمْ وَلَئِنْ لَمْ أَنْجُ مِنْ صَدِّكُمْ
وَأَنَا الْمَغْبُونُ فِي وُدِّكُمْ « قَدْ عَرَفْتُ أَلْهَمَ مِنْ بَعْدِكُمْ
فَكَأَنِّي مَا عَرَفْتُ الْفَرَحَا »

١٩٥٢

لَيْسَ الْغَرَامُ بِلاِ وَصَالٍ غَايَةً وَأَنَا فَتَى لَا يَسْتَبِيحُ حَصَانَةً
 يَا وَرْدَةَ الْأَدَبِ الْمُغْنَى آيَةً : « حَجَبُوكِ عَنْ مُقَلِّ الْأَنَامِ مَخَافَةَ
 مِنْ أَنْ تُخَدِّشَ حُسْنَكَ الْأَبْصَارُ »

لَا تَجْزَعِي ! فَأَنَا الْفَرَّاشَةُ سَرَّحَتْ ، فِي الرُّوضِ طَرْفًا ، ثُمَّ مِنْ سُكْرِ صَحَتِ
 خَافِي الْأُلَى قَطَفُوا الْوَرَادَ تَفَتَّحَتْ « فَتَوَهَّوْكِ ، وَلَمْ يَرَوْكِ فَأَصْبَحَتْ
 مِنْ وَهْمِهِمْ فِي خَدِّكِ الْآثَارُ »

١٩٥٣

مَعْنَى الْوَدَادِ مِنْ الْجَفَاءِ تَبَيَّنَا وَالْوُدَّ يَعْقِلُ كَالْأَسَارَى الْأَلْسُنَا
 وَالْقَلْبُ مُنْتَظَرُ تَبَاشِيرِ الْمُنَى « وَأَرَاكَ تَكْلَفُ بِالْعِتَابِ وَوَدُنَا
 صَافٍ ، عَلَيْهِ مِنْ الْوَفَاءِ دَلِيلُ »

يَا مَنْ لِرِقَّتِهِ الْعُقُولُ أَسِيرَةٌ ! جُذْ بِالرِّضَى ، فَالظَّرْفُ عِنْدَكَ سِيرَةٌ
 لِي فِي هَوَاكَ كَمَا عَلِمْتَ سَرِيرَةٌ « وَلَعَلَّ أَيَّامَ الْحَيَاةِ قَصِيرَةٌ
 فَعَلَامَ يَكْثُرُ عَتَبُنَا وَيَطُولُ ؟ »

١٩٥٤

هَوَى الْحَقِّ يَسْمُو بِالْفَتَى وَيُجِلُّهُ وَأَعْظَمُ مَا تَهَوَّاهُ مَا لَا تَمْلَهُ
فَيَارَبَّ! يَا مَنْ أَنْفُسُ الْخَلْقِ ظِلُّهُ «مَكَانُكَ مِنْ قَلْبِي هُوَ الْقَلْبُ كُلُّهُ
فَلَيْسَ لَخَلْقٍ فِي مَكَانِكَ مَوْضِعٌ»

وَأَنْتَ رَوْوفٌ بِالْفُؤَادِ الْمُتَمِّمِ وَأَنْتَ إِلَى نَيْلِ السَّعَادَةِ مُلْهِمِي
أَحَبَّكَ قَلْبِي يَا مَلَاذِي وَمُنْعَمِي «وَحَطَّكَ رُوحِي بَيْنَ جِلْدِي وَأَعْظَمِي
فَكَيْفَ تَرَانِي إِنْ فَقَدْتُكَ أَصْنَعُ؟»

١٩٥٢

لَا يُدْرِكُ الْحَقَّ مَنْ فِي الْحُبِّ غَايَتُهُ إِلَّا إِذَا أُشْتَهَرَتْ يَوْمًا رِوَايَتُهُ
فَالْحَقُّ يَظْهَرُ، وَالْوَجْدَانُ آلَتُهُ «وَالْوَجْدُ يُطْرِبُ مَنْ فِي الْوَجْدِ رَاحَتُهُ
وَالْوَجْدُ عِنْدَ وُجُودِ الْحَقِّ مَفْقُودٌ»

وَالْحُبُّ مُذْ لَاحَ حَقِّي كَانَ يَعْرِفُنِي، وَذِكْرُ وَجْدِي لَدَى الْمَحْبُوبِ يُطْرِبُنِي
مَا كَانَ يَقْصُدُ غَيْرِي حِينَ يَذْكُرُنِي «قَدْ كَانَ يُوَحِّشُنِي وَحْدِي وَيُؤْنِسُنِي
بِرُؤْيَا الْوَجْدِ مَنْ فِي الْوَجْدِ مَوْجُودٌ»

١٩٥٣

نَكِرَ الْأَدِيبُ ابْنَ الْأَدِيبِ زَمَانَهُ فَإِذَا قَضَى قَتْنَ الْأَنَامِ بَيَانَهُ
فَكَأَنَّهُ ، وَإِلَى الْفَنَاءِ كَيَانَهُ « رَوْحٌ يُرْفَرُ ، وَالْفَضَاءُ مَكَانَهُ
عَشِقَ الثَّرَى ، فَهَوَتْ بِهِ أَحْزَانَهُ »

وَكَأَنَّمَا كَالْكَهْرَبَاءِ سَطْوَعُهُ أَوْ كَالْقِطَارِ مَجِيئُهُ وَرُجُوعُهُ
خَدَمَ الْعِبَادَ ، وَلَمْ يُفِدْهُ خُنُوعُهُ « فَالْنَّارُ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُهُ
وَالْمَاءُ مَا سَحَّتْ بِهِ أَجْفَانُهُ »

١٩٥٣

تَبَدَّدَتْ كَسَحَابِ الصَّيْفِ أَدْمَعُهُ فَلَيْسَ يَبْكِي عَلَى حُبِّ يُوَدِّعُهُ
يَا مَنْ تَظُنِّينَ أَنَّ لَا شَيْءَ يُرْجِعُهُ « لَا تَعْذُلِيهِ ، فَإِنَّ الْعَذْلَ يُولِعُهُ
قَدْ قُلْتُ حَقًّا ، وَلَكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ »

وَالصَّبُّ كَالطُّفْلِ يَرْضَى عَنْ مُهَذِّبِهِ ، أَوْ صَاحِبِ الْجُرْحِ يَعْفُو عَنْ مُطِيبِهِ
يَا مَنْ أَجَرْتَ فُؤَادِي مِنْ مُعَذِّبِهِ « جَاوَزْتَ فِي نُصْحِهِ حَدًّا أَضَرَّ بِهِ
مِنْ حَيْثُ قَدَّرْتَ أَنَّ النُّصْحَ يَنْفَعُهُ »

وَلَوْ ذَكَرْتَ لَهُ عُذْرًا لَيَقْبَلَهُ لَبَاتَ آخِرُ دَرْبِ الْحُبِّ أَوَّلَهُ
أَنَا الْعَلِيلُ الَّذِي لَا وَعْدَ عَلَيْهِ « كَمْ قَائِلٍ لِي : ذُقْتَ الْبَيْنَ قُلْتُ لَهُ :
الذَّنْبُ وَاللَّهُ ذَنْبِي ، لَسْتُ أَدْفَعُهُ »

١٩٥٣

مُقَارَعَةُ أَيَّامٍ أَعْيَتْ تَمَنِّي، فَلَمْ أُغْنِ مِسْكِينًا، وَلَمْ أَرْدَعْ الْغَنَى
وَلَمَّا شَكَتْ نَفْسِي صِرَاعًا أَعْلَنِي « تَنَكَّرَ لِي دَهْرِي وَلَمْ يَدْرِ أَنِّي
أَعِزُّ وَأَحْدَثُ الزَّمَانِ تَهَوُّنُ »

وَمَا الْمَرْءُ بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا ثَنَاءُ وَمَا ذَلَّ الْمَسْكُورَةُ إِلَّا لِقَاؤُهُ
أَرَيْتُ زَمَانِي الْعَزَمَ كَيْفَ مَضَاؤُهُ « فَبَاتَ يُرِينِي الْخَطْبَ كَيْفَ أَعْتَدَاؤُهُ
وَبِتُّ أَرِيهِ الصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ »

١٩٥٢

تَعَوَّدَ الْحَزَمَ تَنْفِ الْهَمِّ وَالسَّامَا وَإِنْ أَضَعْتَ الْمُنَى فَاسْتَنْصِرِ الْقَلَمَا
يَقُولُ مَنْ ذَاكَ مِنْ أَيَّامِهِ الْأَلَمَا : « مَنْ أَغْفَلَ الْحَزَمَ أَذْمَى كَفَّهُ نَدَمَا
وَأَسْتَضْحَكَ النَّصْرَ مَنْ أَبْكَى السُّيُوفَ دَمَا »

فَسِرْ إِلَى الْقَصْدِ، إِنَّ الْمُبْتَغَى وَلَهُ أَوْ لَا، فَدَعَهُ، وَإِلَّا أُنْتَابَكَ الْبَلَاءُ
مَنْ يَشْكُ لِلدَّهْرِ كَانَ الدَّهْرُ مَوْتِيْلَهُ « وَالْدَّهْرُ يَعْلَمُ أَنِّي لَا أَذِلُّ لَهُ
فَكَيْفَ أَفْتَحُ بِالشُّكْوَى إِلَيْهِ فَمَا »

١٩٥٣

مِنْ الْحُبِّ مَا يَبْلَى وَإِنْ كَانَ هَائِلًا فَلَا تَجْعَلِي جُرْحِي بِحُبِّكَ قَاتِلًا
فَلَيْسَ مُصِيبًا مَنْ يُرَدُّ قَاتِلًا : « أَرَى كُلَّ حُبٍّ غَيْرَ حُبِّكَ زَائِلًا
وَكُلَّ فُؤَادٍ، إِنْ تَأَلَّمَ، سَالِيًا »

فَإِنْ تَنْبِذِي وَدِّي تَرَكْتُكِ حُرَّةً وَإِنْ تَحَفَظِيهِ كُنْتُ لِلرُّوحِ قُرَّةً
وَإِنْ تُكْرِمِينِي تَبْعِي فِي نَشْوَةٍ « وَحُبُّكَ لَا يَبْلَى، وَيَزْدَادُ جِدَّةً
بِقَلْبِي، وَأَشْوَاقِي تَظَلُّ كَمَا هِيَا »

١٩٥٣

جُنَّ الْوَرَى وَطَغَتْ عَلَيْهِ هُمُومُهُ وَكَأَنَّ مَهْزَلَةَ اللُّغَاتِ نَعِيمُهُ
وَالْجَهْلُ بَلَبَلَتْ الْعُقُولَ سُمُومُهُ « مَنْ شَكَّ فِي أَدَبِي فَلَسْتُ أَلُومُهُ
مَا أَجْهَلَ الْإِنْسَانَ بِالْإِنْسَانِ »

غَرُّ يَعْيبُ أَخَا الْجَمَالِ وَفَضْلُهُ فَمَا إِذَا تَفَهَّمَهُ تَبَيَّنَ جَهْلُهُ
وَأَنَا الَّذِي تَدْرِي الْآيَالِي عَدْلُهُ : « لَا أَشْتَكِي هَذَا الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ
فَالْفَضْلُ مَحْسُودٌ بِكُلِّ مَكَانٍ »

١٩٥٣

١٥ - م

- ٢٢٥ -

وَرَامِيَةً بِاللَّحْظِ قَلْبِي وَقَدْ رَسَتْ بِأَعْمَاقِهِ مِنْهَا سِهَامٌ تَكْدَسَتْ
أَرْوْمُهَا عُدْرًا وَأَشْكُرُ إِنْ أَسَتْ « عَفَا اللَّهُ عَنْهَا فَهِيَ رَوْحِي وَإِنْ قَسَتْ

عَلَيَّ، فَرَجُوْهُ لَدَى الْهَفْوَةِ الْعَفْوُ »

وَمَا هَفَوَاتُ الْمَرْءَ إِلَّا رِفَاقَهُ وَمَا الْعَفْوُ عَمَّنْ جَارَ إِلَّا اخْتِرَاقُهُ
يَقُولُونَ: خَيْرٌ مِنْ ظُلُومٍ فِرَاقُهُ « وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَوْرَ مَرٌّ مَذَاقُهُ
وَلَكِنَّهُ مِنْهَا، وَفِي حُبِّهَا، حُلُوٌّ »

١٩٥٣

جَمَالُ نَفْسِي ضِيَاءٌ فِي طَبِيعَتِهَا، إِذَا ابْتَغَى ذُو الْهَوَى نُكْرَانَ زِينَتِهَا
وَكَلَّمَا طَعَنَ الْبَاغِي بِشِيمَتِهَا « غَالِي بِنَفْسِي عِرْفَانِي بِقِيمَتِهَا
فَصُنَّتْهَا عَنْ رَخِيصِ الْقَدْرِ مُبْتَدَلِ »

وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْحَقَّ رَائِدُهَا، إِنْ أَنْكَرَ الشَّيْمَةَ الْحَسَنَاءَ جَاحِدُهَا
يَا صَاحِبِي! إِنَّمَا الدُّنْيَا شَدَائِدُهَا « وَإِنَّمَا رَجُلُ الدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا
مَنْ لَا يُعَوِّلُ فِي الدُّنْيَا عَلَى رَجُلٍ »

١٩٥٢

إِذَا لَمْ أَفْزُ مِنْ أُمَّتِي بِمَوَدَّةٍ فَلَا خَيْرَ فِي جُهْدٍ وَإِعْدَادٍ عُدَّةٍ
وَإِنْ عَقَّنِي جُهْدِي وَوَلَّى بِحِدَّةٍ « تَطَلَّعْتُ فِي يَوْمِي رِخَاءً وَشِدَّةٍ
وَنَادَيْتُ فِي الْأَحْيَاءِ : هَلْ مِنْ مُسَاعِدٍ ؟ »

فَرَدَّ بَنُو أُمِّي، وَقَلْبِي كَمَاثَتْ : سَنَبَحْتُ عَنْ جُهْدٍ عَلَى الدَّرْبِ نَابِتٍ ...
وَسَارُوا، وَهَذَا الْعُمُرُ آتٍ كَفَائِتٍ ، « فَلَمْ أَرْ فِيهَا سَاءً نِي غَيْرَ شَامِتٍ
وَلَمْ أَرْ فِيهَا سَرَّي غَيْرَ حَاسِدٍ »

١٩٥٤

حَكَمْتُمْ عَلَيْنَا بِالْصُدُودِ لِعَثْرَةٍ فَهَلَّا ذَكَرْتُمْ كَمْ لَنَا مِنْ مَبَرَّةٍ ؟
أَحِبَّاءَنَا ! فِي فِتْرَةٍ بَعْدَ فِتْرَةٍ « دَعُوا الصَّبَّ يَشْفِي الْقَلْبَ مِنْكُمْ بِنَظَرَةٍ
فَلَا بُدَّ لِلْمُشْتَاكِ أَنْ يَتَزَوَّدَا »

وَكَمْ وَقَفَتْ فِي مُهْجَةِ الصَّبِّ حَسْرَةٌ، وَقَالَتْ : لَعَلَّ الْيَأْسَ فِي الْحُبِّ فَرَحَةٌ
فَقُلْتُ لَهَا : مُرِّي فَدُنْيَاكَ مُرَّةً « وَكُلُّهُ لَهْ فِي أَوَّلِ الشَّوْطِ مَرَحَةٌ
وَلَكِنْ يَبِينُ السَّبْقُ فِي آخِرِ الْمَدَى »

١٩٥٣

إِصْبِرْ فِي الصَّبْرِ إِعْجَازٌ وَمَقْدِرَةٌ وَلَيْسَ فِيهِ أَسَالِيبٌ مُخَدَّرَةٌ
وَأِنْ عَجَزْتَ فَلَا تُجْدِيكَ مَعْدِرَةٌ « إِنِّي رَأَيْتُ، وَفِي الْأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ،
لِلصَّبْرِ عَاقِبَةٌ مَحْمُودَةٌ الْأَمْرُ »

صَبْرًا عَلَى الْهَمِّ! إِنَّ الصَّبْرَ يَقْتُلُهُ وَأَبْعَدُ الْقَصْدِ مَا أَعْيَاكَ أَوَّلُهُ
كَمْ فَاتَ قَصْدٌ بِلَا صَبْرٍ يُذِلُّهُ « وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرِ يَوْمُهُ
وَأَسْتَضَحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالْوَطْرِ »

١٩٥٣

شِعْرِي غَرِيبٌ يُعَانِي دَاءَ غُرْبَتِهِ يَسْمُو عَلَى مَنْ تَنَاسَى سِرَّ رِفْعَتِهِ
بِهِ أَسْتَعْنْتُ عَلَى حُبِّي وَصَوْلَتِهِ « وَسِرْتُ فِيهِ وَلَمْ أَبْرَحْ بِدَوَائِهِ
حَتَّى وَجَدْتُ مُلُوكَ الْعِشْقِ خُدَّائِي »

فَيَا بَنِي الْفَنِّ! لَمْ يُرْضِ الْوَرَى قَلَمٌ وَلَا نَبِيٌّ أَتَى إِلَّا رَمَى لَهُمُ
فَلَا تَكُونُوا كَمَنْ فِي قَلْبِهِ صَمَمٌ « إِنْ كَانَ مَنَزَلَتِي فِي الْحُبِّ عِنْدَكُمْ
مَا قَدْ رَأَيْتُ فَقَدْ ضَيَعْتُ أَيَّامِي »

١٩٥٣

هَامَ الْمُتَيِّمُ فِي رَوْضِ الْمُنَى الْبَهِيحِ وَالْحُسْنُ يُغْرِي فُؤَادَ الصَّبِّ بِالْأَرْجِ
وَيَسْتَبِيهِ بِلَحْظِ فَاتِكِ غَنِيحِ « مَا بَيْنَ مُعْتَرِكِ الْأَحْدَاقِ وَالْمُهَيِّجِ
أَنَا الْقَتِيلُ بِلا إِثْمٍ وَلَا حَرَجِ »

أَنَا الَّذِي كَمْ سَبَاهُ الْحُبُّ وَالْوَلَهُ وَكَمْ تَصَدَّى لَهُ عَذْلٌ، فَجَنَدَهُ
مَا زِلْتُ أَحْسَبُنِي شَيْخَ الْأُلَى أَدْلَهُوا « أَهْفُو إِلَى كُلِّ قَلْبٍ بِالْغَرَامِ لَهُ
شُغْلٌ، وَكُلِّ لِسَانٍ بِالْهُوَى لَهْجِ »

١٩٥٤

آرَاءُ إِخْوَانِي بِكُمْ وَحَدَّثْتُهَا وَأَخَذْتُ عَنْكُمْ حِكْمَةً فَوَعَيْتُهَا
يَا غَائِبِينَ! بِكُمْ مُنَايَ وَجَدْتُهَا « لَوْ أَنَّ رُوحِي فِي يَدَيَّ وَوَهَبْتُهَا
لِمُبَشَّرِي بِقُدُومِكُمْ لَمْ أَنْصِفِ »

يُنْدِي الْأَحِبَّةُ عِزَّةً وَتَرْفَعَا وَجَلَالُكُمْ لَا يَسْتَطِيبُ تَمَنُّعًا
مَلَأَ الْقُلُوبَ مَحَبَّةً وَنَحْشَةً « لَا تَحْسَبُونِي فِي الْهُوَى مُتَمَنِّعًا
كَلَفِي بِكُمْ خُلُقٌ بَغَيْرِ تَكَلُّفِ »

١٩٥٣

هُوَ الْحُسْنُ عَرْشُ يَدْهَلِ النَّفْسُ إِنْ غَوَتْ، وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا النَّفْسُ وَالنَّفْسُ مَاطَوَتْ
وَعَابَثَةً بِالنَّاسِ عَنْ عَرْشِهَا هَوَتْ « مَتَى أَوْعَدْتَ أَوْلَتْ، وَإِنْ وَعَدْتَ لَوَتْ

وَإِنْ أَقْسَمْتَ لَا تُبْرِئِ السُّقْمَ بَرَّتِ »

شَغَفْتُ بِهَا دَهْرًا فَأَخْفَيْتُ لَوْعَةً وَقَدْ مَلَأَتْ أَرْجَاءَ نَفْسِي خَيْبَةً
فَإِنْ بَعُدْتَ لَمْ تَحْبِسِ الْعَيْنُ دَمْعَةً « وَإِنْ عَرَضْتَ أَطْرُقَ حَيَاءٌ وَهَيْبَةٌ

وَإِنْ أَعَرَضْتَ أَشْفِقُ فَلَمْ أَتْلَفْ »

فَمَا عَرَفْتُ تِلْكَ الْحَيْبَةَ مُشْبِهِي مُحِبًّا خَفِيفَ الظِّلِّ جَمَّ التَّنْبَهُ
أَحَاطَ بِي اللَّيْلُ الَّذِي لَيْسَ يَنْتَهِي « كَأَنِّي هِلَالُ الشَّكِّ لَوْ لَا تَأَوُّهِي

خَفِيتُ فَلَمْ تُهْدِ الْعُيُوفُ لِرُؤْيِي »

١٩٥٣

تَفَكَّرْ فَإِذَا رَأَى الْحَقِيقَةَ مُشْتَهَى وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الْمَحَبَّةُ مُنْتَهَى

هِيَ الْخَمْرَةُ الْفُضْلَى الَّتِي تَفْتِنُ النَّهْيَ « هَنِئْنَا لِأَهْلِ الدِّيرِ كَمْ سَكِرُوا بِهَا

وَمَا شَرَبُوا مِنْهَا وَلَكِنَّهُمْ هَمُّوا »

فِيَا آيَةَ الْحُبِّ الَّذِي طَابَ نَشْرُهُ بِكَ الصَّبُّ يَسْتَشْنِي وَيَعَذُّبُ شِعْرُهُ

وَقَدْ قَالَ قَبْلِي شَاعِرٌ سَارَ ذِكْرُهُ : « عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْبِكَ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ

وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلَا سَهْمٌ »

١٩٥٣

أَنَا مَنْ تَيْمَمُهُ الْوَجْدُ أَنَا لَيْسَ لِي عَنْ عَبَقِ الْحُبِّ غِنَى
 أَيُّهَا الشَّاكِي أَضَالِيلَ الْمُنَى ! « رَوْحَ الْقَلْبِ بِذِكْرِ الْمُنْحَنِ
 وَأَعِذْهُ عِنْدَ سَمْعِي يَا أُخِي »
 كَيْفَ لَا تَشْتَاقُ رُوحِي الْمُلْتَقَى وَأَنَا الشَّاكِي الْهِيَامَ الْمُحْرِقَا ؟
 هَلْ أَدَاوَى بِالْتَقَى أَمْ بِالرُّقَى ؟ « لَمْ يَرْقُ لِي مَنْزِلٌ بَعْدَ النِّقَا
 لَا وَلَا مُسْتَحْسَنٌ مِنْ بَعْدِ مَيِّ »
 فَاسْغَفِنِي كَيْ أَذُوقَ الْوَسْنَا وَاذْكُرِي حُبِّي، وَقِيَّتِ الْمَحْنَا
 لَا تَقُولِي : لَعِبَ الشَّيْبُ بِنَا « مَا رَأَتْ مِثْلَكَ عَيْنِي حَسْنَا
 وَكَمِثْلِي بِكَ صَبَاً لَمْ تَرِي »
 ١٩٥٣

صُنْتُ الْحَبِيبَ بِقَلْبِي، خَوْفَ مُشْتَبِهِ، بِصِدْقِ وَدِّي، وَحِذْرًا مِنْ تَقْلِيدِهِ
 وَقُلْتُ يَا مَيِّ! دَارِي الدَّارَ وَأَنْتَبِهِي « لَا ضَيْمَ يَخْشَاهُ قَلْبِي، وَالْحَبِيبُ بِهِ
 فَإِنَّ سَاكِنَ ذَاكَ الْبَيْتِ يَحْمِيهِ »
 قَالَتْ : فَوَإِذَاكَ أَمْسَى مِلْكَ قَاطِنِهِ فَهَلْ تَصُونُ غِرَاسِي فِي جَنَائِنِهِ ؟
 قَلْبِي كَقَلْبِكَ مَشْغُوفٌ بِفَاتِنِهِ « مَنْ مِثْلُ قَلْبِي؟ أَوْ مَنْ مِثْلُ سَاكِنِهِ ؟
 اللَّهُ يَحْفَظُ قَلْبِي وَالَّذِي فِيهِ »

أَعْرَضَتْ نَوْرُ الْهُدَى عَنْ حَبِيبَا يَوْمَ أَمْسَى هَامًّا فِي حُبِّهَا
لَا تَلُمُ مُنْتَبِهَا كَمْ نُبَّهَا « أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ وَجْدِي بِهَا !
إِنَّهَا أَعْظَمُ مِمَّا تَزْعُمُ »

هِيَ خَيْرٌ أَوْهَنْتَ مِنِّي الْقُوَى يَا لَسُكْرِ لَيْسَ يَشْفِيهِ دَوَا
وَكَأَنَّ الشَّعْرَ عَنْ قَلْبِي رَوَى : « سَطَرْتُ قَبْلِي أَحَادِيثُ الْهُوَى
وَبِمِسْكِكَ مِنْ حَدِيثِي تُخْتَمُ »

١٩٥٣

كَمْ رَعَيْتُ الدُّجَى وَنَادَيْتُ: رَبِّي ! آهِ مِنْ دَهْلًا وَشِدَّةٍ حُبِّي
فِي مَرَاعِي الْغَرَامِ يَسْرَحُ لُبِّي « يَعْشَقُ اللَّطْفَ وَالرَّشَاقَةَ قَلْبِي
وَيُحِبُّ الْغَزَالَ ذَا الْأَلْفَاتِ »

وَجَزَاءُ الْمُحِبِّ صَدٌّ وَعَسْفُ يَيْدَ أَنِّي عَنْ الْإِسَاءَةِ أَغْفُو
فَيَظُنُّ الْعُدَالَ أَنِّي أُسِفُ « وَيَقُولُونَ: عَاشِقٌ، وَهُوَ وَصْفُ
مِنْ صِفَاتِي الْمُقَوِّمَاتِ لِذَاتِي »

١٩٥٣

أَتَرْضَى مِنَ الدُّنْيَا تَحْمَلُ كُرْبَةً بِخَوْضِ خِصَامٍ وَأُطْرَاجِ مَسَرَّةٍ ؟
فَفِي الدَّهْرِ كَفَى مِنْ دَوَاهٍ مُمِضَّةٍ : « فَقَدْتُ حَبِيبًا ، وَأَبْتُلَيْتُ بِغُرْبَةٍ
وَحَسْبُكَ مِنْ هَذَيْنِ أَمْرَانِ مُرَّانِ »

فَبِاللَّهِ لَا تَأْبَهُ لَأَرَاءِ جَاهِلٍ فَلَذَاتُ هَذَا الْعُمَرِ أَخْلَامُ غَافِلٍ
كَفَى الْمَرْءُ أَنْ يَحْيَا بِأَمَالٍ حَاقِلٍ « وَمَا النَّاسُ إِلَّا رَاحِلٌ بَعْدَ رَاحِلٍ
إِلَى الْعَالَمِ الْبَاقِي، مِنْ الْعَالَمِ الْفَانِي »

١٩٥٣

عَذَّبْتُمُونِي خَصِيصًا وَلَسْتُ صَبًّا حَرِيصًا
قَدْ كُنْتُ سِرًّا عَوِيصًا « مَلَكْتُمُونِي رَخِيصًا
فَانْحَطَّ قَدْرِي لَدَيْكُمْ »

تَخَذْتُمُونِي رَبَابًا مُسَلِّيًّا مُسْتَطَابًا
وَكَمْ تَبِعْتُمْ صِحَابًا « فَأَغْلَقَ اللَّهُ بَابًا
مِنْهُ دَخَلْتُ إِلَيْكُمْ »

وَكَمْ شَقِيتُمْ وَعُدْتُمْ إِلَى الرَّبَابِ وَنُحْتُمْ
وَلَا أَظُنُّ اتَّعَظْتُمْ « وَحَقَّكُمْ مَا عَرَقْتُمْ
قَدَرَ الَّذِي فِي يَدَيْكُمْ »

١٩٥٣

سَمِعْتُ نَسِيمَ الصُّبْحِ يَتْلُو رِوَايَةً وَيَنْقُلُ عَنْ ذَاتِ الْجَمَالِ شِكَايَةً
فَحَمَلَتْهُ مِنْ شِعْرِ رُوحِي رِسَالَةً : « عَلَى مِثْلِهَا يَبْكِي الْمُحِبُّ صَبَابَةً
فِيَا مُهْجَتِي ! لَا عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ »

وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَسْتَطِيبُ قَطِيعَةً وَيَتَّخِذُ الذَّنْبَ الْقَدِيمَ ذَرِيعَةً
فَإِنَّ أَنْصَفَتْ عَادَتُ وَكَانَتْ شَهِيدَةً « عَلَى أَنَّ لِي فِي الْحُبِّ نَفْسًا عَزِيزَةً
وَفِي النَّاسِ عُشَّاقٌ بَغَيْرِ نَفُوسٍ »

١٩٥٣

يَا صَاحِبِي ! كَادَ الْوُشَاةُ لَنَا قَالُوا : أَفْتَرَيْتَ وَعِفْتَ الْفَتَنَّا
وَسَعَوْا لَدَيْكَ بِمَا يَكْذِبُنَا « مَا قُلْتَ أَنْتَ ، وَلَا سَمِعْتُ أَنَا
هَذَا كَلَامٌ لَا يَلِيقُ بِنَا »

إِنِّي أَبْرَأُ مَنْ وَدِدْتُهُمْ مِمَّا بَدَا لِي ، أَوْ بَدَا لَهُمْ
عُودُوا نَعْدُ ، وَلِيَحْكُمِ الْكَرَمُ « إِنَّ الْكَرَامَ إِذَا صَحِبْتَهُمْ
سَتَرُوا الْقَبِيحَ وَأَظْهَرُوا الْحَسَنَ »

١٩٥٢

تَرَكْتُ هَوَى الْأَوْهَامِ فَأَعْتَزَّ جَانِبِي وَأَذْرَكْتُ أَنْبَ الْعَالَمِينَ أَقَارِبِي
فَغَيَّرْتُ عَادَاتِي، وَيَا لِلْغَرَائِبِ « لَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَنْكَرُ صَاحِبِي
إِذَا لَمْ يَكُنْ دِينِي إِلَى دِينِهِ دَانِي »

وَلَمَّا كَفَانِي الْحَقُّ كُلَّ مَشُورَةٍ تَبَيَّنْتُ مَعْنَى الْحُبِّ فِي كُلِّ سُورَةٍ
فَأَعْلَنْتُهُ فِي كُلِّ نَادٍ وَكُورَةٍ « وَقَدْ صَارَ قَلْبِي قَابِلًا كُلَّ صُورَةٍ
فَمَرَعَى لِعِزْلَانٍ وَدَيْرٍ لِرُهْبَانٍ »

كَأَنِّي مَنَارٌ بَيْنَ غَادٍ وَرَاحٍ يُضِيءُ فَيُوحِي آيَهُ لِلْقَرَائِحِ
وَنَفْسِي مُصَلَّى حَافِلٍ بِالْمَدَائِحِ « وَمَعْبُدُ أَوْثَانٍ، وَكَعْبَةٌ سَائِحِ
وَالْأَوَاحُ تَوَرَّاةٍ، وَمُصْحَفُ قُرْآنٍ »

وَمَا الدِّينُ عِنْدِي غَيْرُ رُوحٍ تَأَلَّهْتُ وَهَامَتُ بِمَوْلَاهَا، وَلَمَّا تَدَلَّهْتُ
شَدْتُ لِلْوَرَى لِحْنًا، بِهِ كَمْ تَوَلَّهْتُ: « أَدِينُ بِدِينِ الْحُبِّ أَتَى تَوَجَّهْتُ
رَكَائِبُهُ، فَالْحُبُّ دِينِي وَإِيمَانِي »



نَشَرْتُ حُبِّي عَلَى الْأَطْيَارِ وَالزَّهَرِ فَرَّاحَ يُظْهِرُ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ غُرَرِ
يَا مَنْ أَرَى فِي هَوَاهُ غَايَةَ الْوَطَرِ « سَلْ فِي الظَّلَامِ أَخَاكَ الْبَدْرَ عَنْ سَهَرِي
تَدْرِي النُّجُومُ كَمَا يَدْرِي الْوَرَى خَبْرِي »

إِنِّي سَكِرْتُ مِنَ النَّجْوَى فَلَا مَلْلَ مِنْ الْحَبِيبِ وَلَا وَصْلَ وَلَا أَمَلْ
أَشْدُو وَحِيدًا، وَأَنْعَامُ الْهَوَى عِلْلُ « حَتَّى يُخَيَّلَ أَنِّي شَارِبٌ مِمْلُ
بَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الْكَأْسِ وَالْوَتَرِ »

١٩٥٢

وَلَّى الْهَوَى فَأَنْتَشَى بِالذِّكْرِ صَاحِبُهُ وَحَطَّمَ الدَّنَّ وَالْأَقْدَاحَ شَارِبُهُ
فِيَا مَخْطِئَتِي! وَالرَّأْيُ صَائِبُهُ، « كُنَّا نَرَى الْيَأْسَ تُسَلِّينَا عَوَاقِبُهُ
وَقَدْ يَتَسَنَّا، فَمَا لِلْيَأْسِ يُغْرِينَا ؟ »

كُنَّا نَرَى الْحُبَّ آمَالًا مُرْفَرِفَةً وَلَمْ نَكُنْ نَرْتَجِي مِنْ رَوْضِهِ هِبَةً
فَإِنْ قَطَعْتَ بِأَسْبَابِ الْهَوَى صِلَةً « أَوْلِي وَفَاءً، وَإِنْ لَمْ تَبْذُلِي صِلَةً
فَالذِّكْرُ يُقْنِعُنَا، وَالطِّيفُ يَكْفِينَا »

١٩٥٢

أَسْبَابُ وَجْدِكَ أَيُّهَا الْخِفَافُ كِتْمَانُ سِرِّكَ، وَالْهُوَى مِخْرَاقُ
وَلَيْتَ نَهَاكَ الْعُرْفُ وَالْأَخْلَاقُ « لَا تُخَفِّ مَا فَعَلْتَ بِكَ الْأَشْوَاقُ
وَأُشْرَحَ هَوَاكَ، فَكُلُّنَا عُشَّاقُ »

وَأَنْظُرْ إِلَى غُصْنٍ مِنَ الْحِمْلِ اتَّوَى وَإِلَى شَهِيدٍ فِي الْمَجَاهِلِ قَدْ تَوَى
وَأَشْكُ الظُّلَامَةَ مِنْ حَبِيبٍ مَارَعَوَى « فَمَسَى يُعِينُكَ مَنْ شَكَّوْتَ لَهُ الْهُوَى
فِي حِمْلِهِ، فَأَلْمَاشِقُونَ رِفَاقُ »

١٩٥٣

بَدَّلْ نِظَامَكَ وَأَعْدِلْ أَيُّهَا الْفَلَكُ فَالْعَدْلُ يُصْلِحُ مَنْ فِي غِيَّهِمْ سَلَكَوا
أَلَمْ أَقُلْ لَكَ، وَالْأَهْوَاءُ تَمْتَرُكَ : « إِنَّ الدِّينَ بِأَمْرِ الْحُبِّ قَدْ مَلَكَوا
لَمْ يَتَّقُوا الْحُبَّ فِي ضُرِّي وَإِيْدَائِي »

تَعَمَّدُوا اللَّهَ عَنِّي فِي مَشَاغِلِهِمْ وَلَمْ أَكُنْ عَنْ هَوَى الدُّنْيَا بِشَاغِلِهِمْ
فَدَعَكَ يَا قَلْبُ مِنْ ذِكْرِي مَشَاكِلِهِمْ « لَمْ يُدْنِنِي الشَّوْقُ يَوْمًا مِنْ مَنَازِلِهِمْ
إِلَّا تَوَلَّوْا مَعَ الْأَيَّامِ إِقْصَائِي »

١٩٥٣

تَقْضِي الْمَحَبَّةُ أَنْ تَعِيشَ مُوَسِيَا لِتَكُونَ عَنْ أَبْنَاءِ دَهْرِكَ رَاضِيَا
فَأُجْهِدْ وَسَاعِدْ مَنْ يَحْيِيكَ شَاكِيَا « وَلَدَتَكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ آدَمَ بَاكِيَا
وَالنَّاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سُرُورَا »

حَسْبُوكَ مُنْقِذُهُمْ فِدَاوِ جُرُوحِهِمْ خَيْرُ الْوَرَى مَنْ جَاءَهُمْ لِيُرِيحَهُمْ
فَإِذَا عَجِزَتْ، وَلَمْ تُقِرَّ عُيُونُهُمْ، « فَأَحْرِصْ عَلَى عَمَلٍ تَكُونُ بِهِ وَهُمْ
يَبْكُونَ حَوْلَكَ، ضَاحِكًا مَسْرُورَا »

١٩٥٣

رَأَيْتُ الْفَتَى يَسْمَى لِيَذْكُرَ بَرَّهُ فَإِنْ غَيَّبَتْهُ الْأَرْضُ أَحْيَاهُ ذِكْرُهُ
وَمَنْ يَسْعَ لِلْفَانِي يُدَاهِمُهُ شَرُّهُ « وَمَنْ يَحْمَدِ الدُّنْيَا لِشَيْءٍ يَسْرِهُ
فَسَوْفَ تَرَاهُ بَعْدَ حِينٍ يَلُومُهَا »

تَطَوَّحْنَا الدُّنْيَا يَمِينًا وَيَسْرَةً وَتَسْلُبُ مَا أَعْطَتْ وَلَوْ كَانَ ذَرَّةً
فِيَا لِحَيَّوْنَ لَيْسَ تُؤْمِنُ مَرَّةً « إِذَا أَذْبَرْتَ كَانَتْ عَلَى الْمَرْءِ حَسْرَةً
وَإِنْ أَقْبَلْتَ كَانَتْ كَثِيرًا مُهْمُومًا »

١٩٥٣

مِنَ الْفَنِّ أَنْعَامِي وَوَشْيُ قَصَائِدِي وَمِنْ بَحْرِهِ أَلْفِيَّاضٍ دُرٌّ قَلَائِدِي
وَكَمْ عَقْنِي خَلِيٍّ، وَدَمَدَمَ نَاقِدِي « فَدَارَيْتُ كُلَّ النَّاسِ لَكِنَّ حَاسِدِي
مُدَارَاتُهُ شَطَطَتْ وَعَزَّ نَوَالُهَا »

يَرَانِي دُعَاةَ الْعِلْمِ أَكْبَرَ نَقْمَةٍ وَكَمْ هَاجُوا بُرْجِي فَبَاؤُوا بِذِلَّةٍ
هُوَ اللَّهُ يَحْمِينِي بِعِزٍّ وَمِنْعَةٍ « وَكَيْفَ يُدَارِي الْمَرْءُ حَاسِدَ نِعْمَةٍ
إِذَا كَانَ لَا يُرْضِيهِ إِلَّا زَوَالُهَا » ؟

١٩٥٣

يَا أَهْيَلْ أَلْهَوَى تَلَلًا فَنِّي كَالدَّرَارِي وَأَطْرَبَ النَّاسِ لَحْنِي
وَشَدَا الْعَارِفُونَ بِالْحُبِّ أَنِّي « أَنَا شَيْخُ الْغَرَامِ، مَنْ يَتَّبِعْنِي
أَهْدِيهِ فِي أَلْهَوَى صِرَاطًا سَوِيًّا »

وَكَفَانِي كَرَامَةً مَا أَعْتَرَاهُمْ يَوْمَ أَرْمَعْتُ رِحْلَةً عَنْ حِمَاهُمْ
فَدَهَاوَهُمْ مِنَ الْأَسَى مَا دَهَاوَهُمْ « أَنَا مَيِّتُ أَلْهَوَى، وَيَوْمَ أَرَاهُمْ
بَعْدَ طَوْلِ الْغِيَابِ أُبْعَثُ حَيًّا »

١٩٥٣

عَشِقْنَا، وَكَمْ عَانِي الْغَرَامَ مُحَافِظُ، فَلَا يُكْثِرُ الْإِرْشَادَ وَالنُّصْحَ وَاعِظُ
وَهَلْ تُخْطِئُ الرَّعْمِيَّ السَّيِّدَ لَوْ أَحِظُ « صِحَاحُ مِرَاضٍ نَاعِسَاتٍ يَوَاقِظُ
لَهَا عِنْدَ تَحْرِيكِ الْجُفُونِ سُكُونُ »

تَمُرُّ بِحَرْحَاهَا وَتَسْتَضِجِبُ الدَّوَا وَتَبْخُلُ بِالتَّطْيِيبِ مِنْ عِلَّةِ الْجَوَى
عُيُونُ بِنَارِ السَّحْرِ تَلْدَعُ مَنْ غَوَى « إِذَا صَادَفَتْ قَلْبًا خَلِيًّا مِنْ أَلْهَوَى
تَقُولُ لَهُ : كُنْ مُغْرَمًا فَيَكُونُ »

١٩٥٣

حَبِيبَتُكَ حُبَّ الطَّلِّ شَاقَّتَهُ رَوْضَةٌ وَحُبُّ هَزَارِ الْأَيَّامِ أَغْوَتْهُ زَهْرَةٌ
وَإِنِّي، وَإِنْ لَمْ تُرْهِبِ النَّفْسَ رَوْعَةً « أَهَابُكَ إِجْلَالًا، وَمَا بِكَ قُدْرَةٌ
عَلَيَّ، وَلَكِنْ مِلٌّ عَيْنٍ حَبِيبُهَا »

وَكَمْ بَدَلَتْ حَسَنَاءَ، إِلَّاكَ، جُهْدَهَا - لِأَسْرِي؛ وَلَمْ تَبْلُغْ مِنَ الْقَلْبِ قَصْدَهَا
وَكَمْ أَكْثَرَتْ قُرْبًا فَأَثَرَتْ بُعْدَهَا « وَمَا هَجَرَتْكَ النَّفْسُ أَنَّكَ عِنْدَهَا
قَلِيلٌ، وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيبُهَا »

١٩٥٣

يَثُورُ الْهَوَى، وَالذَّهْرُ يَعْصِفُ بِالْمُنَى فَيَا وَيْحَ أُمِّ الشَّوْقِ كَمْ طَوَّحَتْ بِنَا
وَيَا بِنْتَ قَاسِي الْقَلْبِ مِنْ وَفْرَةِ الْغِنَى « إِذَا قُلْتُ : أَهْدَى الْهَجْرُ لِي حُلْمَ الضَّنَى
تَقُولِينَ : لَوْلَا الْهَجْرُ لَمْ يَطِبِ الْحُبُّ »

وَأَنْتِ الَّتِي هَيَّأْتَ يَوْمَ فَتَنَتْنِي شِرَاكًا لِصَيْدِي، ثُمَّ غَبَّتِ وَهَجَّتْنِي
أَرَدْتَ فَنَائِي فِي هَوَاكِ فَرُعْتَنِي « وَإِنْ قُلْتُ : مَا ذَنْبِي إِلَيْكَ؟ أَجَبْتَنِي :
وُجُودُكَ ذَنْبٌ لَا يُقَاسُ بِهِ ذَنْبٌ »

١٩٥٣

مَعَانِي الْهَوَى نَوْرٌ عَلَى الْفِكْرِ سَاطِعٌ، وَمَوْحِي الْهَوَى يَحْتَالُ، وَالْقَلْبُ قَانِعٌ
كَأَنِّي، وَأَسْبَابُ الْغَرَامِ تُمَانِعُ، « إِذَا رُمْتُ عَنْهَا سَلْوَةً قَالَ شَافِعُ
مِنْ الْحُبِّ : مِيعَادُ السَّلْوِ الْمَقَابِرُ »

فَلَيْتَ الَّتِي لَمْ تُخْلِصِ الْوُدَّ فِي الْهَوَى، تُهَيِّئُ لِي مِنْ بَعْضِ آيَاتِهَا دَوَا
وَلَوْ أَنَّهَا ضَلَّتْ، وَغَضَنُ الصَّبَا اتَّوَلَّى « سَيَبْقَى لَهَا فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ إِنْ ذَوَى
سَرِيرَةٌ وَدَّ يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ »

١٩٥٢

يَبْنِي الْحَكِيمُ مَعَ التَّوَّاضِعِ رِفْعَةً إِنَّ يَرْفَعُ الْجِدُّ الْمُغَامِرَ بَغْتَةً
فَإِذَا غَدَوْتَ مِنَ الْبَلَاغَةِ حُجَّةً « لَا تَطْلُبَنَّ بَايَةَ لَكَ رُتْبَةً
قَلَمُ الْبَلِيغِ بِغَيْرِ جَدٍّ مَغْزَلُ »

وَالْجِدُّ وَالْجِدُّ السَّعِيدُ دَعَاهُمَا أَخَوَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ مِنْ سَوَاهُمَا
فَإِذَا جَمَعَتْهُمَا بَدَتْ صِفَتَاهُمَا « سَكَنَ السَّمَاءُ كَانَ السَّمَاءُ كِلَاهُمَا
هَذَا لَهُ رُمُوحٌ، وَذَلِكَ أَعْزَلُ »

١٩٥٣

يَهْوِي فُؤَادُ الْفَتَى قَصْدًا يَوْمَهُ فَإِنْ أَعَدَّ لَهُ ، فَالْفَوْزُ مَوْئِلُهُ
وَسَائِلُ قَالَ ، وَالْأَهْوَاءُ تَشْغَلُهُ : « الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ تَدْخُلُهُ
فَمَا تُرَى بَعْدَ هَذَا أَلْبَابِ مَا الدَّارُ ؟ »

تَجَاهَلُ السَّائِلُ الْقَانُونَ وَأَغْتَنِمَا لَدَائِدَ الْعُمْرِ حَتَّى أَدْرَكَ الْهَرَمَا
فَقُلْ لَهُ ، إِنَّ يَكُنْ عَنْ غِيَّةٍ نَدِمَا : « الدَّارُ دَارُ نَعِيمٍ إِنْ عَمِلْتَ بِمَا
يُرْضَى إِلَهِهَ وَإِلَّا الدَّارُ فَالنَّارُ »

١٩٥٢

أَشْكُو لِرَبِّي، وَلَا أَشْكُو لِفَاتِنَةٍ : مَا عَذَّبَ الْقَلْبَ مِنْ نَارِ مُعَاوِدَةٍ
مَالِي قُتِنْتُ وَلَمْ أَتَمَعْ لِهَامِسَةٍ : « أَقْصِرْ فُؤَادِي ! فَمَا الَّذِي كَرَى بِنَافِعَةٍ
وَلَا بِشَافِعَةٍ فِي رَدِّ مَا كَانَا »

إِنْ كُنْتُ يَا قَلْبُ تَرْجُو مِنْ هَوَاكَ مُنَى، وَلَيْسَ يُغْنِيكَ مِنْ دُنْيَا الزَّوَالِ غِنَى
فَدَعْ هَوَاكَ الَّذِي يُضْنِي وَغَنِّ لَنَا : « سَلَا الْفُؤَادُ الَّذِي شَاطَرَتْهُ زَمَنَا
حَمَلَ الصَّبَابَةَ فَأَخْفَقَ وَحَدَّكَ الْآنَا »

أَلَسْتُ تَذْكُرُ يَا صَدَّاحُ مِنْ صَدَحَا : يَا لَيْتَ قَلْبِكَ مِنْ سِحْرِ الْغَرَامِ صَحَا ؟
لَحَاكَ لَاحٍ فَلَمْ يَرُدَّكَ يَوْمَ لَحَا « مَا كَانَ ضَرَّكَ إِذْ عُلِّقَتْ شَمْسُ ضُحَى
لَوْ أَذْكُرْتَ ضَحَايَا الْعِشْقِ أَحْيَانَا ؟ »

إِنَّ الَّتِي سَلَبَتْ مِنْ فَيْكَ بَهْجَتَهُ يَا بُلْبُلَ الشَّعْرِ لَمْ تَسْلُبْكَ فِتْنَتَهُ
لَكِنَّا سَأَلْتُ مَنْ زَانَ رَوْضَتَهُ : « هَلَّا أَخَذْتَ لِهَذَا الْيَوْمِ أَهْبَتَهُ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْبِحَ الْأَشْوَاقُ أَشْجَانَا ؟ »

فَقُلْتُ لَا، وَسَأَلْتُ الدَّمْعَ حِينَ هَمَى : أَلَا يُدَاوِي فُؤَادَ الصَّبِّ عَرَفُ لَمَى ؟
فَأَسْتَضْحَكْتُ وَأَجَابْتُ : لَا عَدِمْتُ فَمَا « لَهْفِي عَلَيْكَ قَضَيْتَ الْعُمْرَ مُقْتَحِمًا
فِي الْوَصْلِ نَارًا وَفِي الْهَجْرَانِ نِيرَانَا »

لَا تَعْدُلُوهُ فَإِنَّ الشَّوْقَ أَنَّهُ كَهُ لَمَّا رَأَى مِنْ ظَلَامِ الْهَجْرِ أَحْلَكَهُ
 شَهِيدُ حُبِّ شَدَا ، وَالْوَجْدُ أَهْلَكَهُ : « يَا مَنْ أَقَامَ فُؤَادِي إِذْ تَمَلَّكَهُ
 مَا بَيْنَ نَارَيْنِ مِنْ شَوْقٍ وَمِنْ شَجَنِ »

أَلَيْسَ يَكْفِيكَ أَنَّ النَّفْسَ قَدْ عَلِمَتْ ، سِرَّ الدَّلَالِ فَمَا بَا حَتْ وَلَا سَمِعَتْ ؟
 يَا مَنْ صَلَّى مُهْجَتِي نَارًا فَمَا سَلِمَتْ ! « تَقْدِيكَ أَعْيُنُ قَوْمٍ حَوْلَكَ أَزْدَحَمَتْ
 ظَمَأِي إِلَى نَهْلَةٍ مِنْ وَجْهِكَ الْحَسَنِ »

رَفِيقًا ! بِصَبٍّ تَخَلَّى عَنْ صَبَابَتِهِ وَمَا تَخَلَّى لِحَبٍّ عَنْ كِرَامَتِهِ
 وَأَنْتَ كَاللَّحْنِ جَارٍ فِي سَلَاسَتِهِ « جَرَدْتَ كُلَّ مَلِيحٍ مِنْ مَلَا حَتِهِ
 لَمْ تَتَّقِ اللَّهَ فِي ظَنِّي وَلَا غُصْنٍ »

إِنَّ الَّذِي مَدَّ فِي الْآفَاقِ شُهُرَتَهُ شَكَا هَوَانَ الْهَوَى إِذْ مَسَّ عِزَّتَهُ
 فَيَا مُعَذِّبَهُ ! إِنَّ رُمْتَ رِفْعَتَهُ « فَاسْتَبَقَ لِلْبَدْرِ بَيْنَ الشَّهْبِ رُبَّتَهُ
 تَمَلَّكَهُ فِي أَوْجِهِ عَبْدًا بِلا ثَمَنِ »

لَا حَتَّ مَعَانِي الْهَوَى مِنْ مُقَلَّةِ الْأَمَلِ - فَلَا تَسْكُنْ عَنْ نِدَاءِ الْحُبِّ فِي شُغْلٍ
وَقُلْ لِمَنْ ذَهَبَتْ فِي الْحُسْنِ كَالْمَثَلِ : « يَا رَا حَةَ الْقَلْبِ يَا شُغْلَ الْفُؤَادِ صَلِي
مُتَيَّمًا أَنْتِ فِي الْحَالَيْنِ دُنْيَاهُ »

إِنَّ الْغَرَامَ يُغْنِي فِي مَلَاعِبِهِ بِسِحْرِ مَنْ مَلَأَتْ كَلَسَاتِ شَارِبِهِ
فِيَا مَثَارَ هَوَى مُودٍ بِصَاحِبِهِ « زَيْنِي النَّدَى وَسِيلِي فِي جَوَانِبِهِ
لُطْفًا يَعْزُّمُ رَعَايَا اللَّطْفِ رِيَّاهُ »

قَرُبَ نَفْسٍ مِنَ الْأَهْوَاءِ مُتَعَبَةً وَدَّتْ لَوْ أُرْتَفَعَتْ عَنْهَا بِأَجْنَحَةٍ
يَا مَنْ تَرَأَتْ كَأَطْيَارٍ مُرْفَرَفَةٍ « رِيحَانَةُ أَنْتِ فِي صَحْرَاءِ مُجْدِبَةٍ
مِنْ الرِّيَّاحِينَ ، حَيَّانَا بِهَا اللَّهُ »

وَكَمْ سَرَى نَحْوَنَا مِنْ عِطْرِهَا أَرْجُ حَنَنْتُ لَهُ أَنْفُسُ ، هَامَتُ بِهِ مُهَبِّجُ
سَكِرْتُ مِنْهُ وَفِي سُكْرِ الْهَوَى فَرَجُ « إِنْ غَابَ سَاقِي الْطَّلَا أَوْ صَدَّ لَاحِرَجُ
هَذَا جَمَالِكَ تُغْنِينَا حُمَيَّاهُ »

أَضْنَاكَ مَاضٍ فَلَا تَحْفَلِ يَوْمَ غَدٍ - يَا مُشْتَكِي الْحُبِّ! وَأَهْجُرْ آفَةَ الْكَمَدِ
وَأِنْ سَلَوْتَ فَلَا تَقْرَأْ عَلَى أَحَدٍ : « يَا أَسْمَى الْحَيِّ هَلْ فَتَّشْتَ فِي كَبْدِي
وَهَلْ تَبَيَّنْتَ دَاءً فِي زَوَايَاهَا ؟

فَالنَّفْسُ تَهْتَزُّ حُزْنًا مِنْ تَفَقُّمِهَا مَعْنَى الْحَزَنِ وَتَشْكُو مِنْ مُعَامَلِهَا
وَتَزْفِرُ النَّارُ فِيهَا مِنْ تَأَلُّمِهَا « أَوَاهُ مِنْ حُرْقٍ أَوْدَتْ بِمُعْظَمِهَا
وَلَمْ تَزَلْ تَتَمَشَّى فِي بَقَايَاهَا »

وَالشَّوْقُ ثَوْرَةٌ رُوحٍ إِنْ أَحَبَّ لَهَا وَالْحُبُّ فِكْرٌ إِذَا لَمْ تَسْتَثِرْهُ سَهَا
فَلَا تُغْنِ لِقَلْبٍ بَاتَ مُدْلَهَا : « يَا شَوْقُ رِفْقًا بِأَضْلَاعِ عَصَفَتْ بِهَا
فَالْقَلْبُ يَخْفِقُ ذُعْرًا فِي حَنَائِيهَا »

١٩٥٢

ذَاكَ الْمَعْنَى جَهَوْلُ الْحُبِّ يَمُدُّهُ أَجَارُهُ اللَّهُ مِمَّا الْقَابُ يَحْمِلُهُ
لَعَلَّ سِفْرَ هَوَاهُ كَانَ أَوَّلُهُ : « إِذَا وَهَى الْحُبُّ فَالْهَجْرَانُ يَقْتُلُهُ
وَإِنْ تَمَكَّنَ فَالْهَجْرَانُ يُحْيِيهِ »

وَالصَّبُّ يَأْلَمُ مِنْ عَذَلٍ فَيَرْجُهُ كَشَارِبِ الْخَمْرِ يَحْسُوهَا فَتُظْمِئُهُ
وَمَنْ كَوَاهُ الْجَوَى لَا عَذَلَ يُبْرِئُهُ « فَأَصْغُرُ النَّارِ عَصْفُ الرِّيحِ يُطْفِئُهُ
وَمُعْظَمُ النَّارِ عَصْفُ الرِّيحِ يَذْكِيهِ »

١٩٥٢

أَلِفْتُ مِنَ الْأَيَّامِ حَمَلَ النُّوَابِ
فَإِنْ كَلَّ جَهْدِي أَوْ تَدَاعَتْ رَغَائِي
وَكَانَ اخْتِبَارِي وَحْدَهُ خَيْرَ صَاحِبِ
« أَتَقْضِي مَعِيَ إِنْ حَانَ حَيْنِي تَجَارِبِي ؟ »

وَمَا نِلْتُمُهَا إِلَّا بِطُولِ عَنَائِي ؟ »

صُفُوفٌ مِنَ الْأَرَاءِ غَيْرُ قَلِيلَةٍ
أَرَاهَا تُسَاوِي مَالَ أَلْفِ قَبِيلَةٍ
تَبْدُ سُمُومًا كُلَّ جَهْدٍ وَحِيلَةٍ
« وَيَحْزُنُنِي أَنْ لَا أَرَى مِنْ وَسِيلَةٍ

لِأُورِثَهَا مَنْ يَسْتَحِقُّ عَطَائِي »

وَلَسْتُ بِمَنْ يَسْتَبْدِلُ الْحَمْدَ وَالشَّنَاءَ
وَلَكِنِّي أَرْتِي لِضَائِعِ جُهْدِنَا :
بِمَا حَوَتْ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتْ الْمُنَى
« إِذَا وَرَثَ الْجُهَاَلُ أَبْنَاءَهُمْ غِنَى

وَجَاهًا ، فَمَا أَشْقَى بَنِي الْحُكَمَاءِ »

١٩٥٤

عَشِقْنَاهُا مَلُوعَةً وَبِالْأَمَالِ مُتْرَعَةً
وَحِينَ تَمُرُّ مُسْرَعَةً « أَرَى زُمَرًا مُشِيعَةً
مُتْرَعَةً

وَأَسْمَعُ أَيَّامًا صَوْتِ »

عَلَى الْمَوْتِ بَكَتْ مِلْلٌ فَهَلْ عَادَ الْأَلَى رَحَلُوا ؟
كَانَ النَّاسَ قَدْ جَهِلُوا « وَلَوْ عَقَلُوا لَمَا فَعَلُوا
جَلالُ الْمَوْتِ فِي الْمَوْتِ »

١٩٥٣

حَكَمَ الطُّغَاةُ فَحَارَبُوا لِلْمَغْنَمِ وَبِمَكْرِهِمْ هَضَمُوا حُقُوقَ الْمَعْدَمِ
وَقَضَوْا عَلَى حُرِّيَّةِ الْمُتَكَلِّمِ « يَا وَيْحَهُمْ نَصَبُوا مَنَاراً مِنْ دَمِ
يُوحَى إِلَى جَيْلِ الْغَدِ الْبَغْضَاءِ »

وَالنَّاسُ مَلَّوْا تُرَهَّاتِ الْمُعْتَدِي جُودُ الْفُؤَادِ أَجَلُ مَنْ جُودِ أَلِيْدِ
فَسَلِ الْعُتَاةَ بِجُرْأَةٍ وَتَمَرَّدِ : « مَا ضَرَّ لَوْ جَعَلُوا الْعِلَاقَةَ فِي غَدِ
بَيْنَ الشُّعُوبِ مَوَدَّةً وَإِخَاءً » ؟

١٩٥٢

سَبَى فُؤَادِي وَلَمْ يَرَأْفَ بِهِ قَمَرُ فِي طَرْفِهِ حَوْرٌ، فِي ثَغْرِهِ دُرُّ
فَقُلْتُ: يَا مَنْ لَهَا بَيْنَ الْوَرَى غُرُّ « صَوْنِي جَمَالِكَ عَنَّا إِنَّا بَشَرُ
مِنَ التُّرَابِ وَهَذَا الْحُسْنُ رُوحَانِي »

مُضْنَاكَ زَهْرُ الرَّبِّيْ عَوْدَ الْأَرَاكِ حَكِي، وَقَلْبُهُ فِي سَبِيلِ الْهَدْيِ قَدْ سَلَكَ
فَأَتَقْدِيهِ، وَكَمْ صَبَّ إِلَيْكَ شَكَا « أَوْ فَأُبْتَغِيْ فَلَكَ تَأْوِينَهُ مَلَكَا
لَمْ يَتَّخِذْ شَرَكَا فِي الْعَالَمِ الْفَنَانِي »

١٩٥١

أَصْبَحَ الْحُبُّ بِقَلْبِي كَالطُّلُوفِ هَذِهِ عَاقِبَةُ الصَّبِّ الْمَلُولِ
عَاشَ مَفْتُونًا فَأَغْوَاهُ الذُّهُولُ « وَسُرُورُ الْحُبِّ وَهُمْ لَا يَطُولُ
وَجَمَالُ الْحُبِّ ظِلٌّ لَا يُقِيمُ »

وَأَضَالِيلُ أَهْوَايَ تَسْبِي الْعُقُولِ ثُمَّ تَذْوِي مِثْلَ أَزْهَارِ الْحُقُولِ
وَالصَّبَا كَالْبَدْرِ يَعْرِوهُ الْأَفُولُ « وَعُودُ الْحُبِّ أَحْلَامُ تَزُولُ
عِنْدَمَا يَسْتَيْقِظُ الْعَقْلُ السَّلِيمُ »

١٩٥٣

يَا ابْنَةَ اللَّيْلِ الَّذِي نَاغَى مَعِيَ أَمَلًا وَلَّى كَنَجْمٍ مُسْرِعٍ
لَا تُتَاجَى ضَوْؤُهُ بِالْأَذْمَعِ « هُوَذَا الصُّبْحُ يُنَادِي فَأَسْمَعِي
وَهَامِّي تَقْتَفِي خُطَوَاتِيهِ »

غِبْطَةُ النَّفْسِ بُلُوغُ الْمَطْمَعِ فَإِذَا لَمْ تُدْرِكِ الْقَصْدَ أَرْجِعِي
لَا تَسِيرِي فِي الظَّلَامِ الْمَفْزَعِ ! « قَدْ كَفَانَا مِنْ مَسَاءٍ يَدْعِي
أَنْ نَرَى نُورَ الصُّبْحِ مِنْ آيَاتِهِ »

١٩٥٤

مِنَ الشَّعْرِ مَا يَبْدُو كَضَرْبٍ مِنَ السَّحْرِ - وَمَا الْفَنُّ إِلَّا نَفْحَةٌ اللَّهِ فِي الْفِكْرِ
وَلَمَّا أَرَدْتُ الْبَحْثَ عَنْ مَنْشَأِ السَّرِّ « قَرَأْتُ، وَمَا غَيْرُ الطَّبِيعَةِ مِنْ سِفْرِ

صَحَائِفَ تَحْوِي كُلَّ فَنٍّ مِنَ الشَّعْرِ »

وَحُيِّلَ لِي أَنِّي رَسُولٌ مُجَاهِدٌ وَأَنْ لَيْسَ لِي فِي مَهْمَةِ الْبَحْثِ رَأْدٌ
فَهَمْتُ بِنَظْمِ الشَّعْرِ، وَالْدَّهْرُ شَاهِدٌ، « وَمَا حَادِثَاتُ الْكَوْنِ إِلَّا قِصَائِدُ

يَفْوُهُ بِهَا لِلْسَّامِعِينَ فَمُ الدَّهْرِ »

١٩٥٣

هُيَامِي بَوَجْهِ اللَّهِ لِلْفِكْرِ أَفْصَحَا عَنْ السَّرِّ فِي بَدْعِ الْوُجُودِ، فَسَبَّحَا
وَلَمَّا بَدَأَ لِي الْحَقُّ، وَالْبَاطِلُ أَمَحَى « عِبَدْتُ أَسْمَكَ الْمَحْمُودَ فِي اللَّيْلِ وَالضُّحَى
إِذِ الشَّمْسُ تَسْتَخْفِي، إِذِ الشَّمْسُ تَطْلُعُ »

نِظَامُكَ يَا رَبَّ الْبَرِيَّةِ سَالِمٌ مِنَ الْعَيْبِ، وَالْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ هَائِمٌ
وَلَنْ يَفْرُطَ الْعِقْدَ الَّذِي أَنْتَ نَاطِمٌ، « فَأَيَّقَنْتُ أَنَّ الْكَوْنَ بِاللَّهِ قَائِمٌ
وَأَيَّقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لِلْكَوْنِ مُبْدِعٌ »

فَيَا رَبَّ! إِنَّ أَعْيَا أَخَا الدَّرْسِ حِفْظُهُ، فَيَكْفِيهِ مِنْ فَهْمِ الْحَقِيقَةِ وَعِظُهُ
وَحَسْبُ الَّذِي يُرْضِيكَ أَنْكَ حِفْظُهُ « وَأَنْتَكَ مَعْنَى، وَالْخَلِيقَةُ لَفْظُهُ

وَأَنْتَكَ نَوْرٌ، وَالْخَلِيقَةُ بُرْهَانٌ »

١٩٥٤

فَتَنَّتْ زُهَّادَ قَوْمِي عِزِّي وَسَمَتَ فَوْقَ الثُّرَيَّا هَمِّي
يَيْدَ أَنِّي غَارِقٌ فِي شَقْوَتِي « أَنَا لَوْلَا أَنْ لِي مِنْ أُمَّتِي
خَازِلًا، مَا بَتُّ أَشْكُو النُّوبَا »

تَهَرَّبُ النِّعْمَةُ مِنْ جَاحِدِهَا هَرَبَ الْغِزْلَانِ مِنْ صَائِدِهَا
فَتَى تَفَلَّتْ مِنْ وَائِدِهَا « أُمَّةٌ قَذَفَتْ فِي سَاعِدِهَا
بُغْضُهَا الْأَهْلَ وَحُبُّ الْغُرَبَا » ؟

١٩٠٤

إِنِّي أَنَا زِلُّ مَنْ يُمَاطِلُنِي وَأَعْفُ عَنْ غِرٍّ يُطَاوِلُنِي
وَإِذَا تَكَاثَرَ مَنْ يُشَاغِلُنِي « أَصْبَحْتُ فَرْدًا لَا يُنَاصِرُنِي
غَيْرُ الْبَيَانِ وَأَصْبَحُوا جَمْعًا »

عَبَثْتُ بِأَحْلَامِي حَبَائِلُهُمْ وَتَعَمَّدْتُ حَرْبِي مَبَازِلُهُمْ
وَأَنَا الْمُهْدَبُ لَا أَقَابِلُهُمْ « كَمْ حَاوَلْتُ هَذْمِي مَعَاوِلُهُمْ
وَأَبَى إِلَهُ فَرَادَنِي رَفْعًا »

وَلَيْنَ رَعَاهُمْ مَنْ يُعَذِّبُنِي حَتَّى أُشِيدَ بَعِزَّةَ الْوَتَنِ
فَلَسَوْفَ أَصْرُخُ يَا بَنِي وَطَنِي ! « مَنْ ذَا يُوَاسِينِي وَيَكَلِّئُنِي
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَمَنْ يَرْعَى ؟ »

١٩٠٣

يَحْلُو لِقَلْبِي أَنْ يَصُونَ حَبِيبَهُ إِنْ شَاءَ غَيْرِي أَنْ يَنَالَ نَصِيبَهُ ...
يَا مَيِّ! مَا خِفْتُ النَّعِيمَ وَطَيْبَهُ « لَوْ لَمْ أَخَفْ حَرَّ الْهَوَىٰ وَلَهْيَبَهُ
لَجَعَلْتُ بَيْنَ جَوَانِحِي مَثْوَاكَ »

فَتَأَمَّلِي حَالَ الْمُحِبِّ وَجَرَّبِي أَنْ تَقْبَلِي رَأْيِي بِقَلْبٍ طَيِّبٍ :
لَا تَضْرِي النَّيْرَانَ فِي لَتَطْرَبِي « إِنِّي أَغَارُ مِنَ الْكُؤُوسِ فَجَنَّبِي
كَأْسَ الْمُدَامَةِ أَنْ تُقْبَلَ فَكِ »

١٩٥٣

مِنْ الرُّوحِ جَاءَ الْجِسْمُ، وَالسَّرُّ حَيَّرَا، أَخَا الْعِلْمِ حَتَّى اسْتَعْرَبَ الْأَمْرَ وَافْتَرَى
وَمَا الظَّنُّ إِثْبَاتٌ، فَحَدَّثَ بِمَا تَرَى : « مَغْيِبُكَ سَيْفُ اللَّهِ! فِي غِمْدِكَ الثَّرَى
دَلِيلٌ بِأَنَّ اللَّهَ لَا شَكَّ وَاحِدٌ »

وَهَلْ يَنْفَعُ الشَّخْصَ الْمُجِدَّ طُمُوحُهُ، مَتَى أَصْبَحَتْ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ رُوحُهُ ؟
وَمَا الْجِدُّ إِلَّا الْفَتْحُ ضَاءَتْ صُرُوحُهُ « وَلَوْ أَنَّ شَخْصًا خَلَدَتْهُ فَتُوحُهُ
لَمَا كَانَ فِي الْأَقْوَامِ إِلَّاكَ خَالِدٌ »

١٩٥٣

سَكَبَ الْإِبَاءُ عَلَى الْفَقِيرِ الْوَالِهِ سَلَوَى تُلَطَّفُ مَا يَمُرُّ بِبَالِهِ
فَإِذَا وَقَفْتَ عَلَى حَقِيقَةِ حَالِهِ « قُلْ لِلْغَنِيِّ الْمُسْتَعِزُّ بِمَالِهِ :
مَهْلًا لَقَدْ أَسْرَفْتَ فِي الْخِيَلِ »

عَذَّبْتَ مَسْكِينًا جَهَلْتَ مَقَامَهُ وَجَرَحْتَ عِزَّتَهُ ، وَهَجَّجْتَ سَقَامَهُ
أَتَظَلُّ تَسْلِبُ حَقَّهُ وَطَعَامَهُ ؟ « وَتَظَلُّ تَرْفُلُ بِالْحَرِيرِ أَمَامَهُ
فِي حِينٍ قَدْ أَمْسَى بِغَيْرِ كِسَاءٍ »

١٩٥٣

يَا نِدَّ مَنْ رَامَ الْوُصُولَ إِلَى الْعُلَى مَا سِرُّ فَضْلِكَ أَنْ تَقُولَ : نَعَمْ وَلَا
فَالسِّرُّ فِي فَهْمِ الْحَقِيقَةِ أَوَّلًا « كَمْ فِي السَّوَائِلِ مِنْ شَبِيهِهِ لِلطَّلَا
فَعَلَامَ لَيْسَ لَهَا مَقَامُ الرَّاحِ ؟ »

إِنَّ الَّذِي قَسَمَ أَهْبَاتِ لِأَهْلِهَا - بِالرَّغْمِ مِنْ حَوْلِ الْحُظُوظِ وَطَوْلِهَا
جَعَلَ التَّفَاوُتَ فِي النُّفُوسِ وَمِثْلِهَا « لَيْسَ الْحُظُوظُ مِنَ الْجُسُومِ وَشَكْلِهَا
السِّرُّ كُلُّ السِّرِّ فِي الْأَرْوَاحِ »

١٩٥٣

مَلَأْتَ قَلْبِي مِنْ شَذَا نَفْحَتِكَ فَزِدْهُ يَا مَنَّانُ مِنْ حِكْمَتِكَ
وَهَبْ لِنَفْسِي الْخُلْدَ فِي جَنَّتِكَ « أَنَا الَّذِي أَبْدَعْتُ مِنْ قُدْرَتِكَ
فَعِشْتُ أَرْعَى فِي حِمَى نِعْمَتِكَ »

أَطْمَعْتَ بِالْعَفْوِ نُفُوسَ الْوَرَى فَضَلَّ مَنْ أَغْوَاهُ حُبُّ الثَّرَى
فَلَا تُعَذِّبْنِي لِأَمْرِ جَرَى « دَعْنِي إِلَى الْآثَامِ حَتَّى أَرَى
كَيْفَ يَذُوبُ الْإِنِّمُ فِي رَحْمَتِكَ »

١٩٥٣

أَكْرَمَ بِنَسْرِ عَاشَ فَوْقَ الْقِمَمِ فَاسْتَصَغَرَ الدُّنْيَا مَقَرَّ السَّأَمِ
وَصَاحَ بِالْعَاقِبَةِ الشَّدِيدِ النَّدَمِ : « عِشْ رَاضِيًا وَاهْجُرْ دَوَاعِيَ الْأَلَمِ
وَأَعْدِلْ مَعَ الظَّالِمِ مَهْمَا ظَلَمَ »

مَنْ يَعْلُ عَنْ دَارِ الضَّيِّ يَنْتَعِشْ وَاهَا لِدَرْبِ بِلَاسِي فُرِشْ
وَمَنْ تُسَيِّرُهُ الْأَمَانِي يَطِشْ « نِهَايَةُ الدُّنْيَا فَنَاءٌ فَعِشْ
فِيهَا طَلِيقًا وَأَعْتَبِرْهَا عَدَمَ »

١٩٥٣

إِذَا أَطْمَأَنَّ الْمَرْءُ لِلْمُلْتَقَى أَمْسَى كَغُضَنِ ذَابِلٍ أَوْرَقًا
فَلَا تَقُلْ لِعِشْقٍ أَخْفَقَا : « أَوَّلَى بِهِذَا الْقَلْبِ أَنْ يَخْفُقَا
وَفِي ضِرَامِ الْحُبِّ أَنْ يُحْرَقَا »

مَا الْحُبُّ إِلَّا الْخَيْرُ فِي مَذْهَبِي وَكُلُّ إِنْسَانٍ عَلَى مَا رَبِّي
فَلَيْتَنِي هَمَّتْ وَقَلْبِي صَبِي « مَا أَضِيعَ الْيَوْمَ الَّذِي مَرَّ بِي
مِنْ غَيْرِ أَنْ أَهْوَى وَأَنْ أَعْشَقَا »

١٩٥٣

قَدْ يَسْكُتُ الشَّعْبُ إِذَا الظُّلْمُ فَاحٌ ، وَيَسْكُرُ الظَّالِمُ مِمَّا اسْتَبَاحَ
فِيَا نَدِيمَ اللَّيْلِ ! وَالْفَجْرُ لَاحٌ : « أَسْمِعْ أَلَدِيكَ أَطَالَ الصَّبَاحُ
وَقَدْ بَدَأَ فِي الْأَفْقِ نَوْرُ الصَّبَاحِ ؟ »

قُمْ نُحْيِ فِي رَوْضِ الْمُنَى حَفْلَةً فَإِنَّ لِلْحَقِّ بِهَا جَوْلَةً
وَالظُّلْمُ دِيكَ مُدَّعٍ صَوْلَةً « مَا صَاحَ إِلَّا نَادِبًا لَيْلَةً
وَلَّتْ مِنَ الْعُمَرِ السَّرِيعِ الرِّوَاخُ »

١٩٥٣

مِنْ ثَوْرَةِ الرُّوحِ اسْتَحَالَ الْكَمَالُ فَأَرْبَدَ دَهْرِي مِنْ عَذَابِي وَطَالَ
مَنْ كَانَ مِثْلِي لَيْسَ يَرْضَى بِحَالٍ « أَلْقَلْبُ قَدْ أَضْنَاهُ عِشْقُ الْجَمَالِ
وَالصَّدْرُ قَدْ ضَاقَ بِمَا لَا يُقَالُ »

وَالدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي فُؤَادِي هُمَى وَأَنْصَبَ فِي الْيَنْبُوعِ مُسْتَسْلِمًا
وَبَاتَ يَهْدِي كَالْجَرِيحِ ارْتَمَى : « يَا رَبُّ هَلْ يُرْضِيكَ هَذَا الظَّمَا ؟
وَالْمَاءُ يَنْسَابُ أَمَامِي زُلَالُ »

١٩٥٣

هَلْ تُفْسِدُ الْأَقْدَاحُ مَاءَ السَّحَابِ ؟ أَوْ يُدْفَعُ الْمَوْتُ إِذَا الْمَرْءُ تَابَ ؟
فِيَا نَدِيمِي فِي نَوَالِ الرِّغَابِ ! « إِنَّ دَارَتِ الْكَأْسُ وَلَدَّ الشَّرَابِ
فَكُنْ رَاضِيَّ النَّفْسِ بَيْنَ الصَّحَابِ »

عَافِرُ كُؤُوسِ الْخَمْرِ فَالْفِكْرُ لَا يَهِيمُ فِي أَجْوَانِهِ إِنْ سَلَا
وَأَعَشَقَ لِأَنَّ الْحُبَّ بَابُ الْعُلَى « وَأَشْرَبُ فَمَا يُجْدِيكَ هَجْرُ الطُّلَى
إِنْ كَانَ مَقْدُورًا عَلَيْكَ الْعَذَابُ »

١٩٥٣

تَمَرَّ الْقُبُحُ فَرِيعَ الْحَسَنِ وَمَزَقَتْ شَمْلَ الْأَنَامِ الْفِتَنُ
وَالْحَظُّ بِالْغَرِّ الْجَهُولِ اقْتَرَنَ « وَكَلَّمَا رَاقَبْتُ حَالَ الزَّمَنِ
رَأَيْتُهُ يَحْرُمُ أَهْلَ الْفِطَنِ »

فِيَا لَدَهْرِي مِنْ أَذَى الْعَامِلِ عَلَى زَوَالِ الْأَمَلِ الْآفِلِ
هَلْ بِتْ مِثْلَ الْيَائِسِ الْقَائِلِ : « سُبْحَانَ رَبِّي ! كَلَّمَا لَاحَ لِي
نَجْمٌ طَوَّتُهُ ظُلُمَاتُ الْمِحْنِ »

١٩٥٣

قَلْبِي مِنَ السَّحْرِ يَا ذَاتَ الْجَمَالِ صَحَا ، وَأَقْتَرَّ مِثْلَ سَجِينِ الظُّلَمِ إِنْ سَرَحَا
وَرَاحَ يَسْتَرْجِعُ الْأَذْكَارَ وَالْمُلُحَا « يَبْكِي وَيَضْحَكُ لَا حُزْنَ نَا وَلَا فَرْحَا
كَمَا شَقِ خَطَّ سَطْرًا فِي أَلْهَوَى وَحَا »

فِيَا مُعَذِّبِي ! مَا عُدْتُ مَائِلَةً إِزَاءَ نَفْسِي ، وَلَوْ أَوْلَيْتَهَا صِلَةً
وَإِنْ حَسِبْتُ التَّقَى فِي الْحُبِّ نَافِلَةً « سَلَى أَلْهَوَى وَالصَّبَا إِنْ كُنْتُ جَاهِلَةً
هَلْ كُنْتُ عِنْدَهُمَا إِلَّا كَمَا اقْتَرَحَا »

١٩٥٣

١٧ - م

لَا أَغْضِبُ النَّاسَ، لَيْسَ الْمَرْءُ قُوَّتُهُ، بَلْ لُطْفُهُ، فَهُوَ لَا يُخْفِي سَجِيَّتَهُ
كَمْ فَاضِلًا كَانَ هَذَا الرَّأْيُ شَيْمَتَهُ: « أَغْضِبُ صَدِيقَكَ تَسْتَطْلِعُ سَرِيرَتَهُ
لِلسَّرِّ نَافِذَتَانِ: الشُّكْرُ وَالغَضَبُ » ؟

يَنْهَى فِعْلُ « ابْنِ أَخِي » عَنْ حَقَارَتِهِ، وَلَيْسَ يَخْجَلُ حُسْنٌ مِنْ نَضَارَتِهِ
فَلَا تَقُلْ لِعَظِيمٍ فِي طَهَارَتِهِ: « مَا صَرَّحَ الْحَوْضُ عَمَّا فِي قَرَارَتِهِ
مِنْ رَاسِبِ الطِّينِ إِلَّا وَهُوَ مُضْطَرَبٌ »

١٩٥٣

يَا قَلْبُ كَمْ لَعِبَ النَّدَمَ بِكَ فَأَرْتَوَيْتَ مِنَ الْأَلَمِ
سَبَبُ التَّوَجُّعِ وَالسَّقَمِ: « أَبْغَضْتُ أَعْدَائِي فَلَمْ
أَتَعِبْ بِبُغْضِي غَيْرَ قَلْبِي »

عَانِي الضَّنَى فَسَأَلْتُهُ عَنْ هَمِّهِ، وَطَرَحْتُهُ
وَمَعَ الْعِدَى أَصْلَحْتُهُ « وَحَبِيبَتُهُمْ فَأَرْحَتُهُ
وَرَبِّحَتُهُمْ وَسَرَرْتُ رَبِّي »

فَكَانَ عَقْلِي قَائِدُ وَالْبُغْضِ جَيْشُ بَائِدُ
أَشْدُو، وَرَبِّحِي زَائِدُ: « حُبِّي لِنَفْسِي حَائِدُ
لَا فَضْلَ لِي أَبَدًا بِحُبِّي »

١٩٥٣

يا أيُّها الأغنياءُ اليومَ فُزْتُ بِكُمْ فَوَزَ الصُّبُورُ عَلَى آلامِ عِشْرَتِكُمْ
فَوَاقِعُ الْحَالِ فِي قَانُونِ دَوْلَتِكُمْ : « تَشْكُو خَزَائِنُكُمْ ضَيْقًا بِثَرَوَتِكُمْ
وَالنَّاسُ يَشْكُونُ مِنْ فَقْرٍ وَمِنْ ضَيْقٍ »

قَضِيَّةٌ مَبْدَأُ الْإِقْطَاعِ أَيْدِيهَا وَكَمْ جُمُوعُ أَخَوِ الْأَطْمَاعِ هَدَّهَا
يَا خَازِنَ الْمَالِ فِي أَهْرَاءِ شَيْدِهَا ! « وَدَّتْ مَلَايِينُكُمْ لَوْ كُنْتُ سَيِّدَهَا
كَيْمَا تُنَحَّرَ مِنْ رِقِّ الصَّنَادِيقِ »

١٩٥٣

يَا نَفْسُ مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكِ طَالِبَةً خَيْرًا، وَعَنْ نَزَوَاتِ الشَّرِّ رَاغِبَةً !
تَذَكَّرِي حِكْمَةً كَأَنَّكَ لَاهِبَةٌ : « إِنَّ الْأَشْيَاءَ أَسْخَى النَّاسِ قَاطِبَةً
فَطَالَمَا نَفَعُوا الدُّنْيَا وَمَا انْتَفَعُوا »

وَعِنْدَمَا رَحَلُوا وَأَهْلَوْكَ الطَّمَعُ نَادَاهُمْ مَا لَهُمْ : عُودُوا ! فَمَارَجَعُوا
يَا وَيْلَهُمْ حَصَدُوا الشَّحَّ الَّذِي زَرَعُوا « لَمْ يَمْنَعُوا النَّاسَ يَوْمًا بَعْضَ مَا جَمَعُوا
إِلَّا لِكَيْ يَمْنَحُوهُمْ كُلَّ مَا جَمَعُوا »

١٩٥٣

ضَرَبْتُ فِي الْأَرْضِ وَالْأَشْوَكَ حُرَّاسِي، وَعَفْتُ لَهَوَ الْوَرَى بِالْكَأْسِ وَالطَّاسِ
وَأَنْتِ رَافِلَةٌ بِالْفَرَوِ وَالْمَاسِ « تَشْكِينَ فَصَلَ الشِّتَاءِ الْبَارِدِ الْقَاسِي
مَاذَا أَقُولُ أَنَا فِي عِشْرَةِ النَّاسِ؟ »

عَانَيْتُ مِنْ بَرْدِهِمْ مَا أَعْجَزَ الْآسِي وَلَمْ يَزَلْ وَلَعِي بِالْإِنْسِ نَبْرَاسِي
أَقُولُ لِلنَّفْسِ: يَكْفِي حَرُّ أَنْفَاسِي « نَامِي عَلَى الثَّلْجِ نَامِي لَيْسَ مِنْ بَاسِ
فَالثَّلْجُ غَيْرُ قُوَادٍ دُونَ إِحْسَاسِ »

١٩٥٣

يَعْلَمُ الْعَارِفَانِ: رَبِّي وَجَارِي أَنَّ نَهْجَ الْإِصْلَاحِ كَانَ شِعَارِي
لَسْتُ أَخْشَى تَأْخُرِي وَعِثَارِي « رَبِّ ذَنْبٍ مَحْوَتُهُ بِاعْتِدَارِي
وَحَمَلْتُ الْوَرَى عَلَى إِكْبَارِي »

لِي نَفْسٌ مِنَ الضَّلَالِ أَفَاقَتْ وَإِلَى الصِّدْقِ وَالصَّرَاحَةِ تَاقَتْ
كَمْ صِفَاتٍ فَضْلِي بِذَاتِي أَحَاقَتْ « وَإِذَا قَبِسَتْ الْفَضَائِلُ فَاقَتْ
كَرَّمَ الْمَفْوِ جُرْأَةً الْإِقْرَارِ »

١٩٥٣

ضَلَّ الْوَرَى، فَاسْتَبَدَّ الْفَقْرُ وَالْجَشَعُ، وَالنَّاسُ يَبْذُرُ فِي مَازِقٍ وَقَعُوا
وَصَاحَ مُسْتَهْزِئٌ: يَا أَيُّهَا التَّبَعُ! « جُودُوا عَلَى صَاحِبِ الْمَلِكِ وَأَرْتَدِعُوا
عَنْ عَذْلِهِ، فَأَشَدُّ الْفَاقَةِ الطَّمَعُ »

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ عَافَ النَّاسُ مُصْحَبَتَهُ وَأَحْرَقَ الظَّمَا الْقَتْلُ مُهْجَتَهُ؟
لَا بَرْدَ لِلَّهِ فِي الدَّارَيْنِ لَوْعَتَهُ « مَا دَاءٌ مَنْ تُطْفِئُ الْأَنْدَاءُ غُلَّتَهُ
كَدَاءٌ مَنْ عَجَزَتْ عَنْ رِيهِ الثَّرْعُ »

أَخَوَا الْمَطَامِيعَ لَا يَنْتَبِهُ مَنْ عَذَلُوا وَالْعَدْلُ تَحْقِيقُ فِي إِعْلَانِهِ الْحِيلُ
لَا دَرَّ دَرُّ الْغِنَى، فَالْنَّاسُ تَقْتَتِلُ « وَالْفَقْرُ يُزْهِرُ فِي صَحْرَائِهِ أَمَلُ
خَيْرٍ مِنَ الْمَالِ فِي جَنَائِهِ الْفَزَعُ »

وَمَوْجَزُ الْقَوْلِ: أَنَّ النَّفْسَ إِنْ طَمِعَتْ قَضَتْ عَلَى غَيْرِهَا جَوْعًا، وَمَا أَنْتَفَعَتْ
وَالنَّفْسُ تَشْبَعُ مِثْلَ الْجِسْمِ إِنْ قَنَعَتْ « جَوْعُ النَّفْسِ هُوَ الْجَوْعُ الَّذِي أَمْتَنَعَتْ
عَنْ سَدِّهِ هَذِهِ الدُّنْيَا وَمَا تَسَعُ »



هَذَا الْخُلُودُ ، فَإِنْ بَلَغْتَ مَحَلَّهُ فَأَرَأَيْتَ بِمَنْ عِشْقُ الزَّوَالِ أَذَلَّهُ
 يَا فَاتِنَ الْفِرْدَوْسِ لَمَّا أُحْتَلَّهُ « ذِكْرَكَ عُرْسُ الْمَجْدِ لَمْ يُكْسِرْ لَهُ
 دُفٌّ ، وَلَمْ يُحْطَمْ لَهُ مِنْ مَارُ »

يَا مَنْ سَمَا بِفُنُونِهِ وَكَمَالِهِ وَكَأَنَّ وَصْفَ الْفَجْرِ وَصْفُ خِلَالِهِ
 هَذَا نَشِيدُكَ فَأَبْتَهِجْ بِجَمَالِهِ « تَشْدُو بَنَاتُ النُّورِ لَحْنَ جَلَالِهِ
 وَعَلَى سَوَاعِدِهَا اللَّدَانُ الْغَارُ »

١٩٥٣

ظَلَّ حَيًّا بِرَمْسِهِ بَاعِثًا نَوْرَ شَمْسِهِ
 أَفْتَرَضِي بِطَمْسِهِ ؟ « لَفْتَةً نَحْوَ أَمْسِهِ
 أَيُّهَا الشَّاعِرُ أَلْعَلَّ !

وَتَلَدَّ بِخَمْرِهِ إِنَّهَا رَمَزُ سِحْرِهِ
 وَتَرَفَّقَ بِسِرِّهِ « إِنَّ فِي سِفْرِ عُمْرِهِ
 صَفَحَاتٍ مِنَ الْأَلَمِ »

كَانَ بِالْأَمْسِ شَاعِرًا ذَلِكَ السَّاكِنُ الذَّرِي
 عَاشَ وَلَهُنَّ ثَائِرًا « لَيْسَ يَرْجُو مِنَ الْوَرَى
 بِسَمَةِ تَغْسِلُ السَّقَمَ »

١٩٥٣

نَشْوَةُ الْمِرَّةِ رُؤْيُ الْمُسْتَقْبَلِ فَأَهْدِي يَا نَفْسُ ! لَيْسَ الْأَمْرُ لِي
وَإِذَا لَمْ تَبْلُغِي عَيْشَ الْخَلِي « يَا ابْنَةَ الْأَحْلَامِ ! لَا تَسْتَقْبِلِي
مَصْرَعَ النَّشْوَةِ بِالطَّرْفِ الْكَثِيبِ »

وَأَفْرَحِي كَالزَّهْرِ فِي أُنْدَائِهِ لَذَّةُ الْأَرْوَاحِ مِنْ نَعْمَائِهِ
لَا تَحَارِي كَالْوَحِيدِ التَّائِهَةِ ! « يَكْتَفِي الزَّنْبَقُ فِي صَحْرَائِهِ
بِنْدَى الْفَجْرِ وَأَنْسَامِ الْمَغِيبِ »

١٩٥٣

« لِنَفْسِ الْأَمْسِ وَلِنُسْدِنِ عَلَيْهِ ذَيْلَ نِسْيَانِ »
فِيَا نَوْرَ الْهُدَى اعْتَصِمِي ! بِجَبَلِ الْوُدِّ وَالْكَرَمِ
غَدَا نَهْضِي إِلَى الْعَدَمِ « فَإِنْ أَبْصَرْتَنِي أَبْتَسِمِي
وَحَيَّيْنِي بِتَخَنُّانِ »

وَإِنْ بَتَّ كَهَائِمَةً ، عَلَى مَا فَاتَ نَادِمَةً
فَكُونِي نِصْفَ بِاسْمَةٍ « وَسِيرِي سَيْرَ حَالِمَةٍ
وَقُولِي : كَانَتْ يَهْوَانِي »

١٩٥٣

ضاع، لَمْ يُجِدْهِ التَّائِي فتيلا، مَنْ جَنَى النَّاسُ مِنْهُ نَفْعًا جَزِيلا
شاعِرٌ مُلْهِمٌ يُشْرِفُ جِيلا « يَخْلَعُ الْخُلْدُ زُأْرَةً وَهَدِيلا

مِنْ مَزَامِيرِ زَهْوِهِ وَأَفْتَتَانِهِ »

أَهْمَلُوهُ فَضِيْعُوهُ، وَدَانَتْ لِلْهَوَى أُمَّةٌ عَنِ الْعَدْلِ بَانَتْ
لَمْ تَجِدْ مِثْلَهُ حَكِيماً فَهَانَتْ « كَانَ وَقفاً عَلَى النُّبُوغِ وَكَانَتْ

رَوْعَةُ الشَّيْءِ وَضَعَهُ فِي مَكَانِهِ »

١٩٥٣

يَا رَبَّةَ الْحُسْنِ الَّذِي قَرَّبَا فِي مَذْبَحِ الْأَوْثَانِ زَهَرَ الرَّبُّي
كَمْ غَادَةٍ مِثْلِكَ فَنِّي سَبِي « لَهَا مُحْيَا هُوَ زَيْنُ الصَّبَا

مِنْ كَبِدِ الصَّبِّ — أَحْ مَقْدُودُ »

فَتَّانَةٌ تَاهَتْ، وَلَمَّا هَوَتْ تَابَتْ، وَمِنْ دَنِّ الدُّمُوعِ أُرْتَوَتْ
قَوَامُهَا يَحْكِي الْغُصُونُ التَّوَتْ « وَنَهْدُهَا ذَاوٍ كَمَا لَوْ ذَوَتْ

عَلَى دَوَالِيهِم — الْعَنَاقِيدُ »

رَمَى لَهَا مِنْ حَارٍ فِيهِ النُّهَى فَقَاضَ مِنْ أَطْيَابِهِ دَنُهَا
وَعَادَ يُزْهِى بِالْهُدَى حُسْنُهَا « يَشْخَصُ فِي نَجْمِ الْعُلَى جَفْنُهَا

كَأَنَّ نَظْمَهُ بِالنَّجْمِ مَعْقُودُ »

١٩٥٤

زَارَ الْهَوَى زَهْرَ الرَّبِّي الْأَغْيَدَا وَالْعُمُرُ لَا يَزَالُ يَمْضِي سُدى
فِيَا مُنَى الصَّبِّ الَّذِي أَنْشَدَا : « لَا تَوْصِدِي قَلْبَكَ دُونَ الْوَدَى
فَالْجُرْحُ قَدْ يُغْسَلُ بِالدَّمْعَةِ »

لَا تُهْمِلِي رَوْضِي ! فَمَثَلِي يَرَى فِي الْحُبِّ سِرًّا حَارَ فِيهِ الْوَرَى
وَلَا تَظُنِّي أَنَّ قَلْبِي أَقْتَرَى « يَا نَجْمَةً عَالِقَةً بِاللَّيْلِ
أَفْلَتَكَ الطَّيْنُ وَلَمْ تُفْلِتِي »

١٩٥٤

قِيلَ التَّمَدُّنُ عَمَّ السَّكُونِ فَاصْطَلَحَتْ ، أَحْوَالُهُ وَصُدُورُ الْأُمَّةِ أَنْشَرَحَتْ
فَقُلْتُ لَا تُسْرِفُوا ، فَالْقِصَّةُ أَنْجَرَحَتْ « هَذِي عُقُولُ بَنِي الْإِنْسَانِ مَا بَرَحَتْ
عَمِيَاءَ تَسْبِيحُ فِي بَحْرِ الْخُرَافَاتِ »

تَقَسَّمُوا دُولًا مَعْبُودَهَا الذَّهَبُ ، فَحَارَبَتْ بَعْضُهَا وَأَسْتَحْكَمَ الشَّعْبُ
وَلَذَّةُ الْجَسَدِ الْفَانِي هِيَ السَّبَبُ « إِنَّا ضَحِكْنَا مِنَ الْمَاضِي فَلَا عَجَبُ
إِنْ بَاتَ حَاضِرُنَا أَضْحُوكَا الْآتِي »

١٩٥٣

يَا عَيْنُ هَاجِ الْهُوَى وَأَسْتَحْكَمْ الدَّاءُ، وَزَادَ فِي نَارِهِ أَنْ فَاتَنِي الْمَاءُ
وَالصَّدْرُ وَكُرُّ الْهُوَى غَمَّتُهُ وَرَقَاءُ : « عَادَ الرَّبِيعُ وَمَا عَادَ الْأَحِبَّاءُ
لَا الزَّهْرُ زَهْرُهُ وَلَا الْأَنْدَاءُ أَنْدَاءُ »

عُودُوا إِلَى صَبِّكُمْ فَالْعُمُرُ كَالْحُلُمِ ، وَفَرِّحُوا قَلْبَهُ بِالْعَطْفِ وَالْكَرَمِ
فَلَا يُرَدِّدُ بَعْدَ الْيَوْمِ مِنْ أَلَمٍ : « يَظَلُّ يَسْأَلُنِي عَنْهُمْ بِلا سَامِ
قَلْبٍ يَعِيشُ بِهِمْ وَالْقَلْبُ أَصْبَاءُ »

فَإِنْ تَعُودُوا يَزِدُّ حُبًّا وَتَكْرِمَةً ، أَوْ لَا ، فَلَا تَقْطَعُوا عَنْ صَبِّكُمْ صَلَةً
كَمْ مِنْ مُوَلِّينَ عَنْ قَلْبِي غَدَا عِظَةً « كَانُوا بِهِ أَمْسٍ أَشْوَاقًا مُبْرِحَةً
وَالْيَوْمَ هُمْ فِيهِ أَحْلَامُ وَأَصْدَاءُ »

١٩٥٢

رُدِّي الدَّاءَ وَأَطْلِقِ الْفِكْرَا زَهْرُ الرَّبِّي لَا يَرْضَى الْأَسْرَا
إِنْ كُنْتَ فِي رَوْضِ الْمُنَى سِحْرَا « غَنِّي الْحَيَاةَ وَهَدِّهِ الْعُمْرَا
فَالْقَلْبُ بِعَدِكَ حَاشَ بِالذِّكْرِى »

إِنْ كُنْتَ نَوْراً فَوْقَ رَأْيَتِي فَمَعْلَامَ لَا تُمَسِّنَ رَاعِيَتِي ؟
يَا صُورَةً فِي كَأْسِ سَاقِيَتِي ! « أَبْصَرْتُ فِي عَيْنِكَ مُوَحِّيتِي
وَقَرَأْتُ فِيكَ قَصِيدَتِي الْكُبْرَى »

١٩٥٤

مَاجَ الْهُوَى فَوْقَانَا الْفَنُّ مَاجَّةً كَأَلْبَحْرِ هَدَا أَمْرُ اللَّهِ هَاجَّةً
فَقُلْ لِمَنْ رَاحَ يَسْتَوْحِي مَعَارِجَهُ : « تَبَارَكَ الْفَنُّ مَا أَحْلَى مَبَاهِجَهُ
فِيهِ مِنْ الزَّهْرِ مَنْشُورٌ وَمَنْضُودٌ »

فِيهِ رِيَاضٌ بِعِطْرِ الرُّوحِ عَابِقَةٌ وَفَاتِنَاتُ بَزْهَرِ الْفِكْرِ حَالِقَةٌ
وَمُغْرِيَاتُ مِنَ الْإِبْدَاعِ فَائِقَةٌ « وَفِيهِ مِنْ شَعْلِ الْإِلْهَامِ بَارِقَةٌ
وَفِيهِ مِنْ كَرَمَةِ الْخُلْدِ الْعَنَاقِيدُ »

هِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي رُوحِي تُمَجِّدُهَا فَلَا تَسَلْ يَوْمَهَا عَمَّا يَرَى غَدُهَا
كَأَنَّمَا الْفَنُّ بِالنَّجْوَى يُزَوِّدُهَا « يُوْحِي إِلَى النَّفْسِ أَنْغَامًا تُهْدِيهَا
حَتَّى تَغِيبَ ، وَلِلْأَنْغَامِ تَرْدِيدُ »

١٩٥٤

لَوْ أَدْرَكَ الْمَرْءُ مَا فِي الْحُبِّ مِنْ مَنَنِ ، لَمَا شَكَ مَا بِهِ مِنْ عَابِرِ الْمَحَنِ
أَنَا الَّذِي ذِكْرِيَا تُؤَدُّ تُطْرِبُنِي « أَطُوفُ بِالْغَابِرِ النَّائِي فَيَحْزُنُنِي
أَنِّي فَرَشْتُ طَرِيقَ الْأَمْسِ أَشْجَانَا »

لَمْ أَغْضِ عَنْ زَلَّةٍ زَالَتْ مَعَالِمُهَا فَالْيَوْمَ دُنْيَا الْهُوَى تَبْدُو مَظَالِمُهَا
وَأَمْسٍ دُنْيَا الْهُوَى تُرْجِي مَكَارِمُهَا « فَلَيْتَ أَحْلَامُهُ دَامَتْ مَنَاعِمُهَا
وَلَيْتَ طَوْلَ التَّشْكِي مِنْهُ مَا كَانَ »

١٩٥٣

لَيْسَ الْهَوَى غَيْرَ رُوحٍ فِي الرَّبِّي سَرَحًا، وَرَاحَ يَجْمَعُ مِنْ شَطِّ الرُّوَى الْمُلْحَا
وَالْعُمُرُ كَمَا لَبَحِرٍ، وَالْمَفْتُونُ كَمِ صَدْحَا: « يَا زَوْرَقَ الْحُبِّ جُزْ يَمِّ الدُّنْيَا فَرِحَا
لَأَنْتَ فِي غُنْيَةٍ عَنْ كُلِّ مَلَّاحٍ »

يَا زَوْرَقَ الْحُبِّ! دُنْيَا الرُّوحِ آتِيَةٌ وَالْفَنُّ يَخْلُدُ وَالْأَهْوَاءُ فَانِيَةٌ
لَا تَرْهَبِ الْمَوْجَ فَالْشُّطَّانُ دَانِيَةٌ « رَبَّانِكَ الشَّعْرُ لَا تَتْنِيهِ غَاشِيَةٌ
عَنْ الشَّرَى فِي سَمَاءِ ذَاتِ أَلْوَاكِ »

١٩٥٤



عاشقُ الْعِلْمِ غَنِيٌّ مَا أُذْخِرَ جَادَ بِالْفِكْرِ جُزَافًا فَافْتَقَرَ
وَكُنِبَتِ الْأَرْضُ رَوَاهُ الْمَطَرُ نَفَعَ الْعَالَمُ أَجْنَسَ الْبَشَرُ
كُلَّمَا أَكْسَبَهُمْ رَأْيًا حَصِيفُ

وَأَذَلَّ الْعِلْمُ أَصْحَابُ الْحَجَرِ عِنْدَمَا أُعْتَزُوا بِأَكْدَاسِ الدَّرَرِ
فَقَضَى الْعَالَمُ مِنْ فَرْطِ الضَّجَرِ عَاشَ فِي الدُّنْيَا غَرِيبًا مُحْتَقَرُ
قَانِمًا مِنْهَا بِشَوْبٍ وَرَغِيفٍ^١

١٩٥٣

مِنَ الضَّيْمِ مَا يُذْكَى بِقَلْبِكَ هِمَّةٌ وَيَمَلَأُ عِنْدَ الْيَأْسِ نَفْسَكَ قُوَّةٌ
وَمَا كُنْتُ رَغْدِيدًا لِأَرْهَبَ سَطْوَةً : إِذَا مَاتَ قَلْبِي مِنْ أَذَى الْحُبِّ مَرَّةً
فَإِنِّي سَأُخِيهِ بِعَوْدٍ إِلَى الْحُبِّ

وَإِنْ يَهْنِي الصَّبُّ الْجَرِيحُ بَغِيَّةً كَمَا يَهْنَأُ الرَّوْضُ النَّضِيرُ بِرِيَّةٍ
فَسَوْفَ أُدَاوِي جُرْحَ قَلْبِي بِكَيْهِ وَأَعْتَاضُ عَنْ مَيْتِ الْغَرَامِ بِحْيَةٍ
هَوَى الرُّوحِ يُدْنِي الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الرَّبِّ

١٩٥٣

(١) إن الآيات الأساسية في التخميس التالية لم تذكر مع الثنائيات أو الثلاثيات دفعا للتكرار .

تَنَكَّرَ لِي دَهْرِي وَعَزَّتْ مَطَالِي وَضَاقَتْ بِأَسْبَابِ الْأَمَانِي مَذَاهِبِي
وَمَا كُنْتُ لِلْحُبِّ الرَّخِصِ بِصَاحِبٍ ، كَرَامَةُ نَفْسِي فَوْقَ كُلِّ رَغَائِبِي
فَمَنْ جُنُودُ الْمَجْدِ وَهِيَ إِمَامُ

وَمَرَّ شَبَابِي الْحُلُوءُ دُونَ مَلَامَةٍ سَوَى كَبْتِ أَهْوَاءٍ وَحُبِّ اسْتِقَامَةٍ
وَمَنْ شَرِبَ الْوَحْيَ اغْتَنَى عَنْ مُدَامَةٍ ، وَمَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا بِنِصْفِ كَرَامَةٍ
فَلَيْسَ لَهُ يَوْمَ الْفَخَارِ مَقَامُ

١٩٥٣

رَأَيْتُ رُوحَ الْفَتَى تُجْزَى بِمَا كَسَبَتْ ، فَهِيَ الَّتِي سَيَّرَتْهُ كَيْفَمَا رَغِبَتْ
فَقُلْتُ يَا صَاحِبَ ! وَالْأَوْهَامُ قَدْ ذَهَبَتْ : إِعْمَلْ لِرُوحِكَ تَسْتَأْنِسَ بِمَا وَهَبَتْ
فَالْعُمُرُ يَمْضِي ، وَبِرُّ الْمَرْءِ يَرْفَعُهُ

وَدَعَكَ مِنْ عَبْدٍ مَالٍ كَانَ يُقْلِقُهُ إِنْفَاقُ فَلَسٍ ، وَكَانَ النُّصْحُ يُؤْرِقُهُ
فَفَاعِلُ الْخَيْرِ : كُلُّ الْخَيْرِ يَعْلِقُهُ ، وَجَامِعُ الْمَالِ : بَعْضُ الْمَالِ يَنْفِقُهُ
وَجَلُّهُ لِلصُّوَصِ الْإِرْثِ مَرْجِعُهُ

فَدَعَكَ مِمَّنْ بَغَيْرِ اللَّهِ يَكْتَرِثُ أَلَا تَرَى أَنَّ أَطْمَاعَ الْوَرَى عَبَثُ ؟
كَمْ يَا كُلُّ الْمُعْتَدِي أَتْعَابَ مَنْ حَرَّثُوا ، وَلَمْ أَكُنْ بِأَجِيرٍ لِلَّذِي يَرِثُ
مَا نَفَعُ تَابِعُ مَالٍ لَيْسَ يَتَّبِعُهُ ؟

١٩٥٣

مَشِينَةٌ رَبِّي فِي جِهَادِي مُجِيرَتِي وَمِنْهُ عَزَائِي عِنْدَ حَمْلِي مُصِيبَتِي
فَإِنْ أَخَفَقْتُ فِي خِدْمَةِ النَّاسِ حِيلَتِي ، سَأَرْتِي لِحُسَّادِي وَجُهَّالِ قِيَمَتِي
رِثَاءَ فِتْيَ أَهْلِ دَافَةِ الْمَثَلِ الْعُلْيَا

بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا فَغَزَّ مَبِيتُهُمْ بِدَارَتِهِ الْعُظْمَى ، وَضَمَّ شَتِيَّتَهُمْ
فَإِنْ أَنْكَرُوا جَهْدِي ، وَلَيْسَ يُمِيتُهُمْ ، فَمَا بَلَّغُوا مَجْدِي ، وَلَوْ ذَاعَ صِيَّتُهُمْ
وَلَا أَذْرَكُوا شَأْوِي وَلَوْ مَلَكَوْا الدُّنْيَا

١٩٥٢

تَعَامَى الْغِنَى ، وَالْمُغْرِيَاتُ تَسْكَثَرَتْ ، وَقَادَةُ هَذِي الْأَرْضِ بِالْهَذَرِ فَاخْرَتْ
وَأَرَاؤُهُمْ فِي الْمُعْضِلَاتِ تَنَافَرَتْ لَقَدْ حَرَّرُوا الْأَفْكَارَ حَتَّى تَنَافَرَتْ

فَمَا جَامِعٌ بَيْنَ الْعِبَادِ سِوَى الْهَذَرِ
وَقَدْ جَرَّهُمْ ضِدَّ الْعَدَالَةِ مَغْنَمٌ فَأَطَاعَهُمْ عَنْ بَغْيِهِمْ تَتَكَلَّمُ
سَطَوَا وَاسْتَبَاحُوا بَعْضُهُمْ قَتَالُمَا وَسَادُوا بِسَوْطِ أُمَالٍ فَالْبَعْضُ مِنْهُمْ
وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْأَرْضِ مَوْتَى مِنَ الْفَقْرِ

نِظَامٌ يَبْنِي النَّاسُ مِنْ هَوْلِ جَوْرِهِ وَيَخْشَوْنَ أَنْ تَنْدَكَ أَرْكَانُ قَصْرِهِ
وَلَوْ عَقَلُوا لَاسْتَبَدَّلُوهُ بِغَيْرِهِ فَهَلْ يَعْدِلُ الْإِنْسَانُ أَثْنَاءَ عُمرِهِ
لِيَرْتَاحَ فِي الدَّارَيْنِ مِنْ وَطْأَةِ الشَّرِّ ؟

١٩٥٣

آمالُ رُوحِي بِرَوْضِ الْفَنِّ هَائِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ أَدَى الْأَيَّامِ آمِنَةٌ
وَيَدْنَمَا النَّفْسُ بِالْعَلْيَاءِ حَالِمَةٌ رَمَتْ فُؤَادِي بِسَهْمِ الْحُسْنِ فَاتِنَةٌ
فَأَعْجَبَ لِحَبِّ جَرِيحٍ ثَابِتِ الْقَدَمِ

شَكَا إِلَى رَبِّهِ أَسْرَارَ مُحَنَّتِهِ فَاقْتَادَهُ بِالْأَغَانِي نَحْوَ جَنَّتِهِ
وَعِنْدَمَا اتَّضَحَتْ أَسْبَابُ أَنْتِهِ نَدَّتْ أَنَاشِيدُهُ نِيرَانَ لَوْعَتِهِ
فَقَرَّجَتْ عَنْ عَلِيلٍ بِالْجَمَالِ رُمِي

١٩٥٣

مِنْ رِحْلَةِ الْعُمَرِ يَرْجُو ذَوِ الْحِجْبِ رَشْدًا، وَأَعْظَمُ الْخُسْرِ تَضْيِيعُ الْحَيَاةِ سُدًى
فَيَا إِلَهِي! أَنْلِنِي مِنْ عُلَاكِ هُدًى، يَا لَيْتَ أَحْلَامَ عُمْرِي لَمْ تَضِيعْ بَدَا
فِي حُبِّ قَصْرِ مِنْ الْأَوْهَامِ مُنْهَدِمِ

مَا كُنْتُ نَدَّ غُوَاةٍ بِالْتَّرَى شُغِفُوا لَسَكِنِّي ابْنُ هُدَاةٍ بِالنُّهَى وَصِفُوا
فَمُ هَذَّبُونِي، وَلِي فِي مَذْحِهِمْ طُرْفٌ، وَلِيَتْنِي لَمْ أَهْمُ إِلَّا بِمَنْ عُرِفُوا
بِرِقَّةِ الْقَلْبِ لَا بِالظُّلْمِ وَالْعَقَمِ

١٩٥٣

مَلَّتْ هَوَاهَا حِينَما أَشْتَدَّ مِئْنُهَا وَبَاتَ مِثَارَ الشَّكِّ وَالنَّقْدِ حُسْنُهَا
فَقُلْ لِلَّتِي فَتْنُ الْأَكَاذِبِ فَنُهَا : أَتَخَذَعُ مِثْلِي غَادَةً تَدَّعِي النُّهَى
وَفِكْرِي يَصِيدُ السَّرَّ مِنْ مُهْجَةِ النَّسْرِ ؟

وَلَسْتُ بِمَفْتُونٍ تَدَلَّهَ بِالثَّرَى ، فَقَدْ مَلَكَتْ نَفْسِي مِنَ الْحُسْنِ جَوْهَرَا
فَقُلْ لِلَّتِي ظَنَنْتُ هَوَاهَا هَوَى الْوَرَى : لَيْتَنِي تَسْتَعِينُ بِالْإِنْسِ وَالْجِنِّ لَنْ تَرَى
سَبِيلًا إِلَى قَلْبِي سِوَى اللَّطْفِ وَالطُّهْرِ

١٩٥٢

جَرَّتْكَ وَائِدَةُ الْقُلُوبِ إِلَى الْبَلَى فَمَضَيْتَ لَا تَلْوِي عَلَى أَحَدٍ وَلَا...
هَلْ كُنْتَ تَجْهَلُ قَوْلَ مَفْتُونٍ سَلَا : عَوْدُ فُؤَادِكَ حِينَ يَأْلَفُ مَنْزِلَا
أَلَمْ الصُّدُودِ وَحُرْقَةَ الْهَجْرَانِ !

إِنَّ الْمُتَسِيمَ يَوْمَ عَذَابِهِ الْجَوَى شَرِبَ الْيَنَابِيعَ الْعِذَابِ وَمَا أَرْتَوَى
فَاتَّبَعَ هَوَاكَ وَإِنَّمَا أَصْطَحِبِ الدَّوَا ، وَأَعَشَقَ وَلَكِنْ إِنْ سَلَكَ أَخُو الْهَوَى
فَأَثَارُ لِنَفْسِكَ وَأَجْزٍ بِالْأَسْلُوانِ

١٩٥٢

نَأَتْ هِنْدُ عَنْ رَبِيعِ الْمُحِبِّ وَلَمْ تَعُدْ، وَمَنْ يَلْقَ هَذَا الظُّلْمَ، عَنْ قَلْبِهِ يَذْدُ
كَفَاكَ هَوَى الدُّنْيَا، فَإِنْ هُدَّتْ لَمْ نَهْدُ: أَسَأْتَ فَلَمْ تَفْعَلْ، وَعُدْتَ فَلَمْ نَعُدْ
هُوَ الْقَدَرُ الْمَحْتَمُ عَاتِ بِنَادِينَا

فَوَاهَا لِنِي لُبٍّ عَلَى قَلْبِهِ قَسَا وَأَقْلَعَ عِنْدَ الصُّبْحِ عَنْ فِكْرَةِ الْمَسَا
هُوَ الْحِظُّ عَادَانَا، وَلَمَّا ارْتَضَى أَسَا وَسَيَّرَ نَاخِلَفَا، لِكَيْ نَذْكُرَ الْأَسَى
فَنَسْلُو زَهْرًا أَنْبَتَهُ رَوَيْنَا

١٩٥٣

يَا مَانِحَ الدُّنْيَا لَالِيَّ أَدْمَعِي شِعْرًا يُلَطِّفُ لَوْعَةَ الْمُتَوَجِّعِ
كَفَرَ الْعُتَاةُ بِنُورِكَ السَّارِي مَعِي: أَلْبَاحِثُونَ، وَمَا سِوَاكَ بِمُبْدِعِ
وَالْعَاشِقُونَ، وَمَا سِوَاكَ غَرَامُ

فَإِذَا صَحِبْتَ أَخَا الْجَمَالِ تَفَرَّدَا وَإِذَا الْبَرِيَّةُ قَاوَمَتْهُ تَشَدَّدَا
إِنَّ الْأُلَى جَارُوا عَلَيْهِ وَمَا أُعْتَدَى عَرَفُوا انْتِقَامَكَ يَوْمَ لَمْ يُجِدِ الْهُدَى
نَفْعًا، وَلَا غَفَرَ الذُّنُوبَ صِيَامُ

١٩٥٣

أَرَانِي وَقَدْ عَادَ الْهُوَى بَعْدَمَا جَنَى عَلِيلاً أَدَاوِي الْقَلْبِ مِنْ عَائِدِ الضُّعَى
« أَقْضِي نَهَارِي بِالْأَحَادِيثِ وَالْمُنَى وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمَّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ »
كَأَنَّ الْهُوَى لَمْ يَسْجُ وَاللَّيْلُ قَدْ سَجَا ، فَلَا أَضْلُعِي تَنْجُو وَلَا الْوَصْلُ يُرْتَجَى
« نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا دَجَا لِي اللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ »
دَهَاكِ عَقِيمُ الْحُبِّ هَلْ أَنْتِ عَلَّةٌ ؟ فَلَيْسَتْ تُسَلِّي الصَّبَّ عَنْكَ تَعَلَّةٌ
« لَقَدْ رَسَخَتْ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ مَحَبَّةٌ كَمَا رَسَخَتْ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ »

١٩٥٢

تَرَكَوْنِي وَسَرَوْا مَعَ غَيْرِي وَأَقْتَرَوْا
« لَيْتَ شِعْرِي هَلْ دَرَوْا أَيَّ قَلْبٍ مَلَكَوْا ؟ »
كُنْتُ أَشْتَاقُ السُّرَى لَوْ نَسِيتُ الْعِبْرَا
« وَفُؤَادِي لَوْ دَرَى أَيَّ شِعْبٍ سَلَكَوْا »
مَدْمَعِي لَمْ تَرَهُمْ حَائِرٌ مُسْتَفْهِمٌ
« أَتُرَاهُمْ سَالِمُوا أَمْ تُرَاهُمْ هَلَكَوْا ؟ »
فَإِذَا اخْتَارُوا النَّوَى وَشَكَا الْقَلْبُ الْجَوَى
« حَارَ أَرْبَابُ الْهُوَى فِي الْهُوَى وَأَرْتَبَكُوا »

١٩٥١

فاز المؤلف بتشطير هذه القصيدة ، في مسابقة أقامتها مجلة العروس ، وكانت لجنة التحكيم مؤلفة من الأساتذة : خليل مردم بك ، أحمد شاكر الكرمي وصاحبة المجلة ، وقد نشرت في عدد تموز ١٩٢٢ ، وقالت اللجنة في قرارها « إنها راعت الإجادة في أكثرية الأبيات ، ولم تخل بقية القصائد من أبيات شائقة إلا أنها أقل عدداً مما حوته هذه القصيدة ، فنهى ناظمها الفتى ونستبشر بفلاحه ».

« هِيَ الْأَخْلَاقُ تَنْبُتُ كَالنَّبَاتِ » وَتَنْمُو بِأَعْتِنَاءِ الْوَالِدَاتِ
تَزِيدُ رِياضُهَا بِالرَّيِّ حُسْنًا « إِذَا سُقِيَتْ بِمَاءِ الْمَكْرُمَاتِ »
« تَقُومُ إِذَا تَمَدَّدَهَا الْمُرَبِّي » وَغَذَّاهَا بِآيَاتِ الْهُدَاةِ
وَتَبْدُو مِثْلَ أَغْصَانٍ تَدَلَّتْ « عَلَى سَاقِ الْفَضِيلَةِ مُشْرِاتِ »
« وَلَمْ أَرَ لِلْخَلَائِقِ مِنْ مَحَلٍ » يُجْمَعُ شَمْلُهَا عِنْدَ الشَّتَاتِ
وَيَبْعَثُ فِي طِبَائِعِهَا حَنِينًا « يَهْدِيهَا ، كَحِضْنِ الْأُمَمَاتِ »
« فَحِضْنُ الْأُمِّ مَدْرَسَةٌ تَسَامَتْ » بِتَخْرِيجِ الْأَسَاتِذَةِ الثَّقَاتِ
وَأَهْلُ الرَّأْيِ قَدْ عَهَدُوا إِلَيْهَا « بِتَرْيَةِ الْبَنِينَ أَوْ الْبَنَاتِ »
« وَلَيْسَ رَيْبُ عَالِيَةِ الْمَزَايَا » إِذَا زَانَتْهُ أَخْلَاقُ الْأُبَاةِ
بَعِيدًا عَنْ بُلُوغِ ذُرَى الْمَعَالِي « كَمِثْلِ رَيْبِ سَافِلَةِ الصِّفَاتِ »
« فَيَا صَدْرَ الْفَتَاةِ رَحِبْتَ صَدْرًا » فَأَنْتَ أَمِينُ سِرِّ الْكَائِنَاتِ
وَيَا صَدْرَ الْفَتَاةِ سَمَوْتَ قَدْرًا « فَأَنْتَ مَقَرُّ أَسْمَى الْعَاطِفَاتِ »

« إِذَا أُسْتَنْدَ الْوَلِيدُ إِلَيْكَ لَاحَتْ » لَهُ الدُّنْيَا أَمَانِي بِاسْمَاتِ
كَأَنَّكَ مَتَّحِفٌ فِيهِ تَرَاءَتْ « تَصَاوِيرُ الْحَنَانِ مُصَوِّرَاتِ »
« فَكَيْفَ نَظُنُّ بِالْأَبْنَاءِ خَيْرًا » وَنَحْنُ نَرَى الْمَوَانِعَ قَائِمَاتِ
وَكَيْفَ تُؤْمَلُونَ رِجَالَ عِلْمٍ « إِذَا نَشَأُوا بِحِضْنِ الْجَاهِلَاتِ ؟ »
« وَأَخْلَقُ الْوَلِيدَ تُقَاسُ حُسْنًا » بِمَا يَلْقَاهُ مِنْ تَقْوِيمِ ذَاتِ
وَحَالِ الشَّعْبِ لَيْسَ تُقَاسُ إِلَّا « بِأَخْلَاقِ النِّسَاءِ الْوَالِدَاتِ »
« وَقَالُوا: إِنَّ مَعْنَى الْعِلْمِ شَيْءٌ » بَعِيدٌ عَنْ عُقُولِ الْإِنْسَاتِ
وَإِنَّ قَوَاعِدَ التَّهْذِيبِ فَنٌّ « تَضِيقُ بِهِ صُدُورُ الْغَانِيَاتِ »
« أَلَمْ نَرَفِي الْحِسَابِ الْغَيْدَ قَبْلًا » كَرَامٌ بِالْحِجْلِيِّ مُتَمَيِّزَاتِ ؟
وَكَمْ عَرَفَ الزَّمَانُ، وَإِنْ جَهَلْنَا « أَوَانِسَ كَاتِبَاتِ شَاعِرَاتِ »
« وَقَدْ كَانَتْ نِسَاءُ الْعُرَبِ قِدَمًا » إِلَى خَيْرِ الْفَضَائِلِ دَاعِيَاتِ
وَكَانَتْ بَعْضُهُنَّ ذَوَاتِ بَأْسٍ « يَرْحُنَ إِلَى الْحُرُوبِ مَعَ الْغُزَاةِ »
« فَمَا لِلْأُمَّهَاتِ جَهْلُنَ حَتَّى » نَبْذَنَ الْيَوْمَ أَسْمَى الْوَاجِبَاتِ
وَأَسْمَنَ الرِّضِيعِ لِبَائِعَاتِ « أَتَيْنَ بِكُلِّ طَيَّاشِ الْخِصَاةِ »
« حَنُونٌ عَلَى الرِّضِيعِ بَغَيْرِ عِلْمٍ » فَكُنَّ بِمِطْفَهِنَّ مُقَدِّمَاتِ
وَشَبَّ الْطِفْلُ دُونَ حُنُوٍّ أُمَّ « فَضَاعَ حُنُوُّ تِلْكَ الْمُرْضِعَاتِ »

« دَعْنِي أَقْبَلْ وَجَنَّتَيْكَ » فَيُرَوِّ دَمْعِي وَرَدَّتَيْكَ
 حَسَنِي عَذَابِي فِي الْهَوَى « حَسَنِي تَقَطَّبُ حَاجِبَيْكَ »
 « عَلَّمْتَنَا أَدَبَ الْغَرَامِ » بِآيَةٍ مِنْ أَصْغَرِيكَ
 وَمَلَكَتْ نَاصِيَةَ الْجَمَالِ « وَأَنْتَ مُغْضٍ نَاضِرِيكَ »
 « وَأَرَيْتَنَا تِيهَ الْعَزِيرِ » وَمَا أَفْتَرَى أَحَدٌ عَلَيْكَ
 أَيْهَابُنَا أَهْلُ الْعُقُولِ « وَنَحْنُ فِي ذُلٍّ لَدَيْكَ ؟ »

* * *

« لَمْ أَذِرْ أَنْ غَدَا الْفُؤَادُ » وَهَلْ يَضِيعُ هَزَارُ أَيْكَ ؟
 سَأَلَ الْأَحِبَّةُ أَنْ بَاتَ « أَفِي يَدِي أَمَّ فِي يَدَيْكَ ؟ »
 « هَبْنِي لَهُ أَوْ هَبَّهُ لِي » قَسَمًا بِيَارِي مُقْلَتَيْكَ !
 إِنْ كُنْتَ تَرْحَمُ شَاكِيًا « فَالْأَمْرُ مَوْكُولٌ إِلَيْكَ »
 « وَسُدِّي نُومَلُ رَاحَةً » مِنْ عَازِلِيٍّ وَشَاهِدِيكَ
 وَكَفِّي بِعَطْفِكَ مِنَّةً « إِنْ كُنْتَ تَمْنَعُ رَاحَتِيكَ »

١٩٥٣



« أَنَا مِنْ سُكْرِ هَوَاؤُمْ ثَمَلُ » أَتَهَادِي ، وَفُؤَادِي وَجِلُ
وَإِذَا الْحُبُّ غَدَا أَرْجُو حَتَّى « لَا أَبَالِي هَجَرُوا أَمْ وَصَلُوا »
فَبِشْعَرِي وَحَدِيثِي فِيهِمْ « مَثَلُ عَلِيَا لِقَوْمٍ عَقَلُوا
وَبِفَنِّي الْمَزْدَهِّي بَيْنَ الْوَرَى « زَمَزَمَ الْحَادِي وَسَارَ الْمَثَلُ »
« إِنَّ عُشَّاقَ الْحِمَى تَعْرِفُنِي » بَلْبِلًا يَشْدُو فَلَا يَنْتَحِلُ
غَاظَلْتَنِي فِي الدُّجَى أَنْجُمُهُ « وَالْحِمَى يَعْرِفُنِي وَالطَّلُّ »

* * *

« رَحَلُوا عَنْ رُبْعٍ عَيْنِي فَلَذَا » عِيلَ صَبْرِي وَجَفَانِي الْجَذَلُ
فَإِذَا لَمْ يَرْجِعِ الدَّهْرُ بِهِمْ « أَدْمَعِي عَنْ مُقْلَتِي تَرْتَحِلُ »
« مَا لَهَا قَدْ فَارَقَتْ أَوْطَانَهَا » مِثْلَ رُودٍ حَدَاها الْأَمَلُ :
بَحَثَتْ عَنْهُمْ فَأَعْيَاها السُّرَى « وَهِيَ لَيْسَتْ لِحِمَاهُمْ تَصِلُ »
« لَا تَظُنُّوا أَنَّي أَسْلُو فَمَا » وَكَبَّ السُّلُوانَ إِلَّا الْمَلَلُ
لَاهَوَاكُم زَائِلٌ عَنِّي وَلَا « مَذْهَبِي عَنْ حُبِّكُمْ يَنْتَقِلُ »

١٩٥٢



« غَدَاً يَتَفَرَّقُ أَهْلُ الْهَوَى » فَلَا يَجِدُ الصَّبُّ مَا يَنْفَعُ
 وَتَغْرُبُ عَنْ رُبْعِ لَيْلِ الرُّؤَى « وَيَكْثُرُ بِكَ وَمُسْتَرْجِعُ
 « وَتَحْتَلِفُ الْأَرْضُ بِالظَّاعِنِينَ « كَأَنَّ الْحِمَى بَعْدَهُمْ بَلَقَعُ
 فَيَا وَيْحَ قَلْبِي غَدَاةَ يَرَى « وَجُوهًا تَشِدُّ وَلَا تَرْجِعُ
 « وَتَفْنِي الطُّلُولُ وَيَبْقَى الْهَوَى « سَرَابًا بِأَرْجَاهُ — يَلْمَعُ
 فَيَحْسِبُهُ الصَّبُّ ظِلَّ الْحَبِيبِ « وَيَصْنَعُ ذُو الشَّوْقِ مَا يَصْنَعُ
 « أَأَنْتَ تَنُوحُ وَهُمْ جِيرَةٌ « يُغْنُونَ لَحْنًا فَلَا تَسْمَعُ
 وَتَلْهُو بِتَذْكَارِهِمْ عَنْهُمْ « فَكَيْفَ تَكُونُ إِذَا وَدَّعُوا؟
 « وَتَطْمَعُ بِالْعَيْشِ بَعْدَ الْفِرَاقِ « وَخَيْرُ الْفِرَاقَيْنِ مَا يَجْمَعُ
 وَلَا خَيْرَ فِي الْهَجْرِ لِلْعَاشِقِينَ « لَبِئْسَ لَعْمَرُكَ مَا تَطْمَعُ »

١٩٥٢

« لَمْ يَبْقَ لِي أَمَلٌ سِوَاكَ فَإِنْ يَفَتْ » مَضَتْ الْأَمَانِي كَالسَّنِينَ سِرَاعًا
 وَكَأَنَّنِي الْيَأْسُ الْمُجَسِّمُ بَعْدَمَا « وَدَّعْتُ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ وَدَاعَا
 « لَا أَسْتَلِدُّ لِفَيْرٍ وَجْهَكَ مَنْظَرًا « فَالْبَدْرُ يَحْسُدُ حُسْنَكَ اللَّمَاعَا
 وَبِغَيْرِ دَارِكَ لَمْ يَطِبْ لِي مَوْقِفٌ « وَسِوَى حَدِيثِكَ لَا أُرِيدُ سَمَاعَا »

١٩٥٣

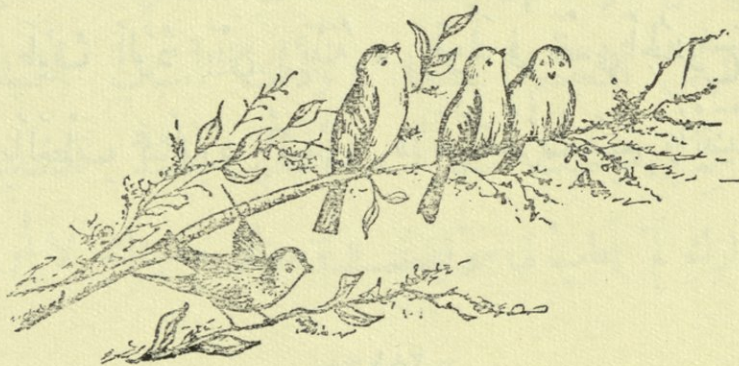
« إِذَا رُمْتَ أَنْ تَحْيَا سَلِيمًا مِنَ الْأَذَى » وَفَضْلُكَ فِي دُنْيَا الْمَحَامِدِ بَيْنُ
 وَعَيْشُكَ مَرْضِيٌّ، وَبَابُكَ مُرْتَجَى « وَدِينُكَ مَوْفُورٌ، وَعِرْضُكَ صَيُّرٌ »
 « فَلَا يَنْطِقَنَّ مِنْكَ اللِّسَانُ بِسَوَاقٍ » فَشَرُّ الْوَرَى مَنْ بِالْعُيُوبِ يُطْنَطِنُ
 وَإِنْ خِلْتَ تَعْيِيرَ الْفَتَى لَا يَضِيرُهُ « فَكُلُّكَ سَوَاءٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنُ »
 « وَعَيْنُكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَعَايِبًا » فَتَسِيَانُ وَجْهِ الْعَيْبِ أَجْدَى وَأَهْوَنُ
 وَإِنْ طَلَبْتَ مَا لَا يَحِلُّ مِنَ الرُّوَى « فَدَعْمَا، وَقُلْ: يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنُ »
 « وَعَاشِرٌ بِمَعْرُوفٍ وَسَامِعٌ مَنِ اعْتَدَى » فَسَرَفٌ يُثِيبُ الْمُصْلِحِينَ الْمُهَيِّمِينَ
 وَأَحْبَبُ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْيَأْسُ حَدَّهُ « وَفَارِقٌ، وَلَكِنْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ »

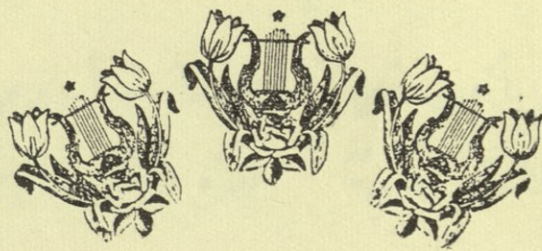
١٩٥٢

« إِذَا خَانِي خِلٌّ قَدِيمٌ وَعَقْنِي » ذَكَرْتُ لَهُ فَضْلًا، وَأَتَّبَعْتُهُ حِلْمِي
 وَإِنْ زَيْنَ الشَّيْطَانُ لِي أَنْ أَكِيدَهُ « وَفَوَّقْتُ يَوْمًا فِي مَقَاتِلِهِ سَهْمِي »
 « تَعَرَّضَ طَيْفُ الْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ » فَوَلَدَ فِي نَفْسِي الْجُنُوحَ إِلَى السَّلْمِ
 وَكَلَّلَنِي بِالْعَطْفِ كَالْوَرْدِ بِالْنَدَى « فَكَسَّرْتُ سَهْمِي وَأَنْثَنَيْتُ وَلَمْ أَرْمِ »

١٩٥٣

« حَوَاءُ ! هَلْ نَلْتَقِي يَوْمًا عَلَى هَدَفٍ » حَتَّى نَصُونَ الْهَوَى بِالصِّدْقِ وَالشَّرَفِ ؟
 وَهَلْ يُوَحِّدُنَا فِي الْحُبِّ نَهْجٌ هُدًى « أَمْ نَحْنُ فِي دَرْبِنَا ، كُلٌّ عَلَى طَرَفٍ ؟ »
 « نَسْرِي وَنُعْمِنُ فِي الْمَسْرَى وَلَا قَبَسٌ » يَجْلُوْنَا الْفَرْقَ بَيْنَ الدُّرِّ وَالصِّدْفِ
 وَلَا دَلِيلٌ نَبِيلُ الْقَصْدِ نَأْمَنُهُ « يَهْدِي لِدَرْبِكَ ، أَوْ يُوْدِي لِمُنْمَظَنِي »
 « كَمْ تَشْمَخِينَ ، وَنَارُ الْوَجْدِ قَدْ حَرَقَتْ » أَعْمَاقَ صَدْرِكَ فَاسْتَضَحَكْتَ مِنْ أَسْفَى
 وَكَمْ تَلَاقِينَ مِنْ هَمْ سَرَى فَبَرَى « مِنْكَ الْفُؤَادُ وَكَمْ تُخْفِينَ مِنْ كَلْفٍ »
 « أَنْتِ الْأَيَّةُ ، فِي جَنْبِكَ لَاهِبَةٌ » نَارُ الْغَرَامِ ، فَمَا قَوْلِي لَهَا أَنْصَرِفِي !
 وَفِي ضُلُوعِكَ أَشْوَاقٌ مُبَرَّحَةٌ « مِنْ كِبْرِيَاءِ الْهَوَى تَذْكُومِنِ الْأَنْفِ »
 « فِيكَ الْإِبَاءُ وَهَذَا الْوَصْفُ مِنْ شَيْمِي » وَقَدْ رَمَانَا شُمُوحُ الْأَنْفِ بِالْتَلَفِ
 نَهْوَى وَذُلُّ الْهَوَى يَطْفَى فَيَمْنَعُنَا : « بِي مِثْلُ مَا بِكَ يَا حَوَاءُ مِنْ صَلَفٍ »
 « أَهْفُو إِلَيْكَ ، وَمَا فِي الْجِسْمِ جَارِحَةٌ » تَهْفُو لِفَيْزِكَ ، فَالْقَلْبُ الْوَفِيُّ وَفِي
 وَلَيْسَ فِي الشَّعْرِ مِنْ مَقْطُوعَةٍ حَسُنَتْ « إِلَّا وَتَنْطِقُ عَنْ حُبِّي وَعَنْ شَفَافِي »





زهر الربى

الروصه الثالث

شقائق النعمان

شائيات وثلاثيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جاء معظم هذه القطع خلال ١٩٥١ - ١٩٥٤

ثنائيات

فخر الهزار

١

مَزَجْتُ رِيًّا فُوَادِي بِأَحْمَرِ دَمِي وَصُنْتُ شِعْرًا بِرُوحِي غَيْرَ ذِي كَلِمِ
أَنَا الْهَزَارُ الَّذِي لَا طَيْرَ يَشْبِهُهُ بِقُوَّةِ اللَّحْنِ وَالْإِبْدَاعِ فِي النِّعَمِ

الروح الاسير

٢

أَخْلَقَ بِفِكَرِكَ أَنْ يَحْيَا مَعَ الشَّهْبِ ، مُزَّهًا عَنْ هَوَايَ الْأَوْهَامِ وَالرَّيْبِ
فَالشَّعْرُ رُوحٌ سَمِعِي حَتَّى أَرْتَدِي حُمَلًا ، لَفْظِيَّةً فَاسْتَحَقَّ السَّجْنَ فِي الْكُتُبِ

رسالة

٣

كَفَانِي مِنَ اللَّذَاتِ عَيْشِي كَغَرِيدِ ، فَذِكْرِي جَرَى فِي النَّاسِ كَالْمَاءِ فِي الْعُودِ
أَتَيْتُ إِلَى الدُّنْيَا لِنَشْرِ رِسَالَةٍ فَهَلْ أَصْلَحَتْ أَبْنَاءَ عَادٍ وَنُورُودِ ؟

الفاني والباقي

٤

أَلْمَالُ يَفْنَى فَنَاءَ التَّيْنِ فِي النَّارِ وَالْفَنُّ يَبْقَى بَقَاءَ الْعِطْرِ فِي الْغَارِ
وَفِي الْحَيَاةِ مُلُوكٌ كَانَ مَجْدُهُمْ نَسَجَ الْغُبَارِ عَلَى سَلَالِهَا الْجَارِي

درهم عمل خير من فنطار كلام

٥

أَهْوَى لِقَايَ بُلُوغِ الْمَجْدِ بِالْعَمَلِ فَكَثْرَةُ الْقَوْلِ مَدْعَاةٌ إِلَى الزَّلَلِ
إِنْ كَانَ حُبُّ التَّسَامِي مَحْضَ ثَرْتَرَةٍ فَهَيْبَةُ الصَّمْتِ فَاقَتْ ضَجَّةَ الدُّوَلِ

مِنْ حَدِيثِ بَيْنِ الدُّجَى وَالْدَّرَارِي : أَوَّلُ اللَّيْلِ نِدُّ بَدْءِ النَّهَارِ
وَكَانَ الزَّمَانُ ذِكْرِي مُرُورِي فِي أَنْتِقَالِي مَا بَيْنَ دَارٍ وَدَارٍ

أَيْهَذَا الشَّادِي عَلَى الْأَوْتَارِ مَغْرِيَاتِ الْأَلْحَانِ فِي الْأَسْحَارِ !
أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ اخْضِرَارِ الْأَمَانِي وَأَصْفِرَارِ الْعِيدَانِ بَعْدَ ازْدِهَارِ

ثَبَاتُ عَزْمِكَ مِثْلَ الصَّخْرِ يُظْهِرُ لِي
إِنْ كَانَ بِأُسْكَ خَلَى الْبَحْرَ مُصْطَخِبًا
وَالْمَوْجُ هَدَأَتْهُ ضَرْبٌ مِنَ الْمَلَلِ
فَالْحَقُّ يُظْهِرُهُ الْإِمْعَانُ فِي الْجَدَلِ

جَاهِلُ الْحَقِّ بِالتَّعَصُّبِ فَاخِرُ وَالَّذِي أَدْرَكَ الْحَقِيقَةَ حَازِرُ
كَانَ شَرْقًا، لَكِنَّهُ الْغَرْبُ، بِالنِّسْبَةِ لِلشَّرْقِ فِي مَكَانٍ آخَرَ

خَلَدَتْ فَنَّاكَ فِي بَيَانِ صِفَاتِي يَا مَنْ تَفَرَّدَ بِالْجَمَالِ الدَّائِي
وَلَسَوْفَ تُذَكِّرُ فِي الْمَوَالِدِ كُلِّهَا غَنَى الْمَجُودِ رَائِعَ الْأَيَّاتِ

تَغَاوَى دَعْيُ الْفَهْمِ فِي رَهْطِ خُلَانٍ بِشِعْرِ كَهْذَرِ الْخَارِجِينَ مِنْ الْحَانِ
فَمَعْنَى سَقِيمٍ فِي تَفَاهَةِ غَايَةٍ وَلَفْظُ رَكِيكٍ فِي تَخْلُوعِ أَوْزَانِ

تَعَوَّدْتُ حُبَّ الصَّفْحِ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ ، فَظَنَّ الْعِدَى أَنِّي أَعِفُّ لِمَأْرَبِ
فَجَازَاهُمْ الْقَاضِي بِعَكْسِ الَّذِي بِهِ ، جَزَانِي وَأَمْسَتْ رِقَّةُ الْقَلْبِ مَذْهَبِي

إِذَا رُحْتَ تَرَعَى عُهْدَ الْوَلَاءِ أَظَلَّتْكَ أَفْيَاؤُهُ الْوَارِفَةُ
فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِثْلَ الْإِخَاءِ لِضَمِّ قُلُوبِ الْوَرَى عَاطِفَةُ

وَشَجَرُورِ أَيْكَ كَمْ تَغْنَى بِالْحَنَانِي وَشَيْدَ عِشَا مِنْ حَنَانِي عَلَى الْبَانِ
فَفَجَأَهُ الصِّيَادُ بِالْغَدْرِ وَادَّعَى بِحَقِّ عَلَيْهِ ، كَمَا لَقَتِيلِ عَلَى الْجَانِي !!

وَمَنْ يَدْرِغُ بِالْعُنْفِ يُدْرِكُ مُرَادَهُ إِذَا ضَيَّعَ الشَّعْبُ الضَّعِيفُ اتِّحَادَهُ
وَلَكِنَّ رَبَّ النَّاسِ يَقْضِي بَعْدْلَهُ وَيُنْقِذُ مِنْ جُبِّ الْأَسْوَدِ عِبَادَهُ

خَلَّ السَّيَّاسَةَ تَسْلَمَ مِنْ هَوَى الزَّلَلِ فَكَمْ تَرَدَّى جَبَانٌ حُلَّةَ الْبَطَلِ
وَدَعَكَ مِنْ خَطَا تَزْهُو مَلَابِسُهُ إِنَّ الصَّوَابَ لَعُرْيَانٌ مِنَ الْحُلَلِ

يَبْنَا الْأَرَامِلُ تَأْبَى ذِلَّةَ الْعَارِ « وَتَسْتَجِيرُ مِنْ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ »
أَعْطَى الْغَنِيِّ (حَبِيبُ اللَّهِ) غَانِيَةً لَيْسَتْ بِذَاتِ عَفَافٍ أَلْفَ دِينَارٍ

يَا أَبْنَ الْقُسَاةِ اتَّعَظْ بِالمَوْتِ وَالنَّارِ وَأَرْضَ النُّظَامِ الَّذِي يَرْضَى بِهِ الْبَارِي
أَتَشْرَبُ الدَّمْعَ مِنْ أَجْفَانٍ مُنْتَحِبٍ وَتَسْتَلِدُّ أُنَيْنَ الْجَائِعِ الْعَارِي؟

تَبَاعَدَ عَنِ الْأَشْرَارِ إِنْ كُنْتَ شَاعِرًا فَمَنْ وَنَهُمُ لَمْ يَذْبَحِ الْحَقُّ سَاخِرًا؟
أَقَامَ ابْنُ آوَى عِنْدَ ذَنْبٍ قَضِيَّةً عَلَى الثَّعْلَبِ الْمَكَّارِ فَأَرْتَدَّ خَاسِرًا...

أَرْضُنَا ذَرَّةً مِنَ الْكَائِنَاتِ فَإِلَامَ التَّفْرِيقِ بَيْنَ اللَّدَاتِ؟
وَحْدَةُ الْحَقِّ وَحَدَّتْ كُلَّ رَأْيٍ وَقَضَى الْحُبُّ بِاتِّحَادِ الْعُدَاةِ

أَيُّهَا النَّاسُ ! نَحْنُ كَالذَّرَاتِ نَثَرَتْهَا الرِّيحُ فِي الْغَابَاتِ
وَقَضَتْ شِدَّةُ الْجَهَالَةِ فِينَا بِاخْتِلَافِ الْأَدْيَانِ وَالْغَايَاتِ

قُلْ لِحَدِّي الْأَعْلَى أَبِي الْعَنْعَنَاتِ وَمُعْذِّي الْأَبْنَاءِ بِالثَّرَاهَاتِ
لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَسْلِكَ فِي الْأَرْضِ حُدُودٌ وَلَا اخْتِلَافٌ لُغَاتِ

أَيُّهَا الشَّاعِرُ ذُو الرَّأْيِ الْحَكِيمِ دَاوِ مَا فِينَا مِنَ الْبُؤْسِ الْمُقِيمِ
فَأَجَبْتُ : أَتَبَعُونِي وَأَشْرَبُوا خَمْرَ فِكْرِي تُدْرِكُوا سِرَّ النِّعَمِ



ثلاثيات

بمع الخلود

١

سَنُبَدِّعُ بِالْفِكْرِ النِّعِمَ الْمُخَلَّدَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْرًا جَلِيًّا مُوَيَّدَا
فَمَا قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ إِنْ كَانَ زَائِلًا
وَمَا نَفْعُ مَنْ فِي عُمْرِهِ جَارٍ وَأَعْتَدَى؟
يُلَاحِقُهُ التَّبَكُّيْتُ طَوْلَ زَمَانِهِ
وَمَا أَضْعَبُ التَّكْفِيرِ إِنْ غَالَهُ الرَّدَى

الخمسة الرومية

٢

لَا تَسْأَلُونِي: أَنَا سَكْرَانٌ أَمْ صَاحٍ
سَلُوا الدُّنَانَ الَّتِي كَمْ عَتَقَتْ رَاحِي
وَكَرَّمُوا الْحِكْمَةَ الْعُلْيَا الَّتِي وَهَبَتْ
لِلْكَوْنِ كَرَمِي، وَلِلْعُشَاقِ أَقْدَاحِي
يَعِيشُ مَنْ ذَاقَهَا إِنْ رَاحَ يُنَبِّئُكُمْ
عَمَّا يُلَاقِيهِ مِنْ سَلَوَى وَأَفْرَاحِ

مبابة العنادل

٣

غَدَاً سَتَرَشِفُ أَسْمَاعُ وَأَلْبَابُ
شِعْرِي، وَيَنْقُدُ هَذَا السَّفَرُ كِتَابُ
وَيَهْرِفُ الْمُدَّعِي عِلْمًا وَمَعْرِفَةً
وَالْفَهْمُ كَالنَّاسِ أَسْيَادُ وَأَذْنَابُ
كُنْ كَالْعِنَادِلِ مَا صَانَتْ قِصَائِدَهَا
وَهَلْ يَضِنُّ بِنَشْرِ الْفَنِّ مِطْرَابُ؟

ضفف وعزم

٤

يَا لَهَا مَلْحَمَةٌ اعْتَرَفُ
أَنَّهَُا عَنْ سِرِّ قَلْبِي تَكْشِفُ
تِلْكَ آيَاتُ إِذَا رَدَّدْتُهَا
هَزَاتُ مِمَّا اعْتَرَانِي الْأَحْرَفُ
وَأَنَا مَنْ حَدَّثْتُ عَنْ عَزَمِهِ
سُورُ الْمَجْدِ وَغَنَى الشَّرَفُ

نَبَتَتْ بَعِيداً عَنْ مَجَارِي الْمَاءِ وَأَتَتْ بِعِطْرِ مَالِي الْأَرْجَاءِ
وَالزَّهْرُ فِي شَطِّ الْغَدِيرِ بِلَا شَذَى لَكِنَّهُ رِيَّانٌ بِالْأَفْيَاءِ
وَمَعَامِلُ الْعِطْرِ الَّتِي أُغْتَرَّتْ بِهِ أَذْرَى بِسِرِّ الشُّهْرَةِ الْجَوْفَاءِ

كُلُّ يَوْمٍ فِيهِ لِلْخَلْقِ عِبرٌ وَأَجَلُ النَّاسِ قَدْرًا مَنْ ذَكَرَ
قَوَّلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ أَهْمَلَ الرُّوحَ فَأَغْوَاهُ الْحَجَرُ
كَيْفَ يَنْسَى عِظَةً بِالْغَةِ خَطَّهَا الْمَوْلَى جَزَاءً لِلْبَشَرِ؟

غَنِيٌّ، وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَنْ أُشَارِكُهُ، كَنَسِرِ عَلَا الْأَمْوَاجِ ضَاقَتْ مَسَالِكُهُ
وَكَمْ رَاوَدَتْنِي الْمُغْرِيَاتُ عَلَى الْغِنَى وَأَوْحَتْ بَأَنَّ الْمَالَ يَنْحَطُّ تَارِكُهُ
فَهَلْ جَهِلْتُ أَنَّ الْفَضَاءَ مَلِيئَةٌ نَوَاحِيهِ بِالرُّوحِ الَّذِي عَزَّ مَالِكُهُ؟

هَوَى الْمَالِ كَالشَّرِّيرِ تَذَهَبُ رِيحُهُ وَأَمَّا هَوَى الصَّدِّيقِ فَهُوَ مَدِيحُهُ
وَفَخْرُ الْفَتَى فِي الْأَرْضِ تَرْدِيدُ ذِكْرِهِ، وَإِلَّا، فَهَلْ تُخَيِّ الْغَنَى صُرُوحُهُ؟
إِذَا ذُكِرَ الْإِنْسَانُ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِخَيْرٍ، فَقَدْ تَهَيَّزَ فِي الْخُلْدِ رَوْحُهُ

هَيَّ لِنَفْسِكَ أَنْ تَضِيَ، قَلِيلًا لَيْسَ الظَّلَامُ إِلَى الْكَمَالِ سَبِيلًا
وَالْفَوْزُ عِنْدَ اللَّهِ لِلرُّوحِ الَّتِي تَرَكَتْ بِمُعْتَرِكِ الْفَنَاءِ جَمِيلًا
وَكَأَنَّمَا نَارُ الْعَذَابِ نَدَامَةٌ عَلِقَتْ بِمَنْ تَخَذَ الضَّلَالِ خَلِيلًا

١٠ أَكْنُزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ

يَكْرَهُ الدِّينُ كَثْرَةَ الْأَقْوَالِ وَيُرِيدُ الْبُرْهَانَ بِالْأَفْعَالِ
فَاقْتَسِمِ وَالْفَقِيرَ حِصَّتُهُ فِي الْخُلْدِ، بِالْعَدْلِ فِي الزَّمَانِ الْحَالِي
لَا تَضُنُّوا عَلَى الْخُلُودِ بِبَذْلِ فَازَ مَنْ يَشْتَرِي الْهُدَى بِالْمَالِ

١١ زِيَمَةُ الْعَدْلِ

مَنْ يَنْصُرِ اللَّهَ كَانَ اللَّهُ نَاصِرَهُ وَمَنْ يُحَارِبُهُ لَا يَأْمَنُ مَقَادِرَهُ
وَمَا أَنْتَ صَارُكَ فِي الدُّنْيَا سِوَى شَرِّكَ يَوْذُ كُلِّ خَبِيرٍ أَنْ يُحَازِرَهُ
فِيَا إِلَهِي! اقْتَبِلْ شَرِّ مَرِي كَتَقَدِّمَةِ تَلَطَّفُ الْمَوْتِ إِنْ يُنْسَبُ أَظَافِرُهُ

١٢ أَوْلَادِي الشَّرِّ

أَنْصَفْتُ طُولَ حَيَاتِي، لَمْ أَدْعُ أَحَدًا يَشْكُو أَذَايَ، سِوَى أَوْلَادِي الشُّهَدَا
هُمْ فَلَذَةُ الْفِكْرِ فِي الْأَوْرَاقِ قَدْ سَجَنْتُ، فَهَلْ يَضِيعُ نَصِيصِي مِنْ بَنِي سُدَايَ؟
يُقَالُ: قَدْ نَلْتَ حَظَّ الْخَالِدِينَ بِهِمْ وَلَمْ أَجِدْ أَنَّهُمْ مَدُّوا إِلَيَّ يَدَا

تَأَخَّوْا كَمَا قَالَ الْمَسِيحُ وَأَخَذَ فَمَا الْحُبُّ إِلَّا ثَرْوَةٌ لَا تُحَدِّدُ
وَأِنْ هَامَ قَوْمٌ بِالْثَّرَى فَبِلَادُنَا لَهَا فِي مَجَالِ الرُّوحِ إِرْثٌ مُخَلَّدٌ
فَوَاجِبُنَا اسْتِمَارُهُ، ثُمَّ نَشْرُهُ عَلَى النَّاسِ طُرًّا، فَأَلِإِخَاءُ يُوَحِّدُ

لَا أَظْلِمُ النَّاسَ فَلَمَظْلُومٌ مَعْدُودٌ فِي الرَّاجِحِينَ، وَبَعْضُ الظُّلْمِ تَحْلِيدُ
وَلَا أَرُومُ اغْتِصَابَ الْحَقِّ مُتَّخِذًا سَيْفِي أَدَاةً، فَحُكْمُ السَّيْفِ مَرْدُودُ
وَكَيْفَ أَظْلِمُ؟ وَالْإِنْصَافُ مَوْطِنُهُ فُؤَادُ مَنْ فِي ظِلَالِ الْمَدْلِ مَوْلُودُ

عَاشَ الْجَهْلُ مَعْظَمًا مَرْفُوعًا وَالْعَالَمُ الْمُسْكِينُ مَاتَ وَضِعًا
لَمْ يَتَّخِذْ زَوْجًا وَلَا وَلَدًا لِكَيِّ يَبْقَى مُجْبَاً لِلْأَنْسَامِ جَمِيعًا
عَافَ الْأَنَانِيَّةَ الَّتِي هَامُوا بِهَا فَطَوَى الشِّتَاءَ وَلَمْ يُلَاقِ رَبِيعًا

لَا تَسَلْ مَنْ رَحَلُوا كَيْفَ الْمَلَأَ جَهْلَ الْعَالَمِ مَا أَخْفَى الزَّوَالُ
نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأُلَى مَا حَصَدُوا مِنْ هَوَى الدُّنْيَا سِوَى شَرِّ الْفِعَالِ
إِنَّهَا الْحَسَنَاءُ فِي أَوْصَافِهَا وَلَكُمْ أَغْرَى الْفَتَى عِشْقُ الْجَمَالِ

أَيْسَتْهُوَيْكَ فِي الدُّنْيَا جَمَالُ؟ وَمَا فِيهِ—: عَوِيلٌ وَأَقْتِتَالُ
لَوْ أَنَّ الْعَدْلَ يَمْلَأُهَا نَعِيماً لَمَّا أَنْسَاكَ مَا يَطْوِي الزَّوَالُ
فَكَيْفَ وَأَنْتَ فِي هَمٍّ مُقِيمٍ وَعَيْشٍ كُلُّهُ قِيلٌ وَقَالَ

كَانَ التَّلَذُّذُ بِالْأَوْهَامِ مَسْرَايَا فَأَظْهَرَ الْبَحْثُ مَا أَخْفَتْهُ دُنْيَايَا
رَشَفْتُ مِنْ جَرَّةٍ مَلَأَى، عَلَى ظَمَأٍ مَاءُ الدَّمُوعِ، وَلَمْ تُبْصِرْهُ عَيْنَايَا
وَعِنْدَمَا زَالَ سِتْرُهُ كَانَ يَحْجُبُهُ أَذْرَكْتُ كَمْ كَانَتْ الْأَوْهَامُ مَرَعَايَا

طَرِيقَيْنِ يَلْتَقِي الْمَرءُ فِي مَطْلَعِ الْعُمُرِ، سَتَوَصِلُهُ الْأُولَى إِلَى الْيَأْسِ وَالْكَفْرِ
وَقَدْ تُوَصِّلُ الْأُخْرَى إِلَى الْغَيْبَةِ الَّتِي، تُرَافِقُ رُوحَ الْمَرءِ إِنْ بَاتَ فِي الْقَبْرِ
وَلَيْسَ اخْتِلَافُ النَّاسِ عِنْدَ اخْتِيَارِهَا، سِوَى جَهْلِهِمْ سِرَّ الْحَيَاةِ الَّتِي تُغْرِي

لَيْسَ الثَّوَابُ وَلَا الْعِقَابُ جَنَانًا وَجَهَنَّمَ، بَلْ عِزَّةٌ وَهَوَانًا
فَالرَّوْحُ تَصْعَدُ كَالسَّحَابِ بِطُحْرُهَا، وَتَعُوضُ حِينَ تُصَاحِبُ الْأَذْرَانَا
فَهَنَؤُهَا وَعَذَابُهَا بِمَقَامِهَا وَالْحِسُّ كَانَ وَلَمْ يَزَلْ مِيزَانَا

مِنَ الشَّعْرِ أَشْبَاحُ تُعَرِّدُ فِي الْفِكْرِ وَتَبْدُو بِأَثْوَابِ كَأَنِّيَةِ الْخَمْرِ
فَيُولَعُ قَوْمٌ بِالْخَيَالِ وَغَيْرُهُمْ بِحُلِّ رُمُوزٍ سَطَّرَتْهَا يَدُ الْهَذَرِ
وَمَا الْقَوْلُ إِلَّا نِسْبَةُ الْحِسِّ فِي الْفَتَى ، إِلَى مُطْلَقِ الْإِبْدَاعِ فِي عَالَمِ الشَّعْرِ

أَرَأَيْتَ الْمَوْجَ فِي الشَّطِّ يَثُورُ كَنُحْيُولٍ زَحَفَتْ فَوْقَ الصُّخُورِ ؟
غَرَّهَا النَّصْرُ وَأَغْيَاهَا الشَّرَى فَتَلَاشَتْ كَأَنَّاشِيدِ الدُّهُورِ
إِنَّمَا الْأَمَالُ فِي هَذَا الْوَرَى زَبَدُ الْأَمْوَاجِ وَالشَّطُّ الْقُبُورِ

لَيْسَ مَنْ يَدْعُو إِلَى اللَّذَاتِ ذَا عَقْلٍ كَبِيرٍ
غَبْطَةُ الرُّوحِ هِيَ الْفَوْزُ عَلَى اللَّهِ وَالْحَقِيرِ
وَأَنْطِلَاقٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَجِدٌّ فِي الْمَسِيرِ

لَسْتُ أَرْضَى مِنْ حَيَاتِي بِالْأَمَانِي الْفَانِيَةِ
غَايَةُ الرُّوحِ مَلَذَاتُ الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ
وَهُنَا دَارُ أَمْتِحَانِ الرُّوحِ ، فَأَعْلَمْ مَا هِيَ

أَرَى قُوَّةَ الْمَوْلَى تُشَدُّ سَاعِدِي وَتُدْنِي إِلَى قَلْبِي قُلُوبَ الْأَبَاعِدِ
فِيَا لَيْتَهَا تُدْنِي بَنِي وَطَنِي الْأَلَى تَرَكْتُ لَهُمْ فَنِي وَدُرَّ قَلَائِدِي
وَهَلْ كَافًا النَّاسُ الْمَسِيحَ لِأَرْتَجِي، ثَوَابَ الْأَلَى ضَائَتْ عَلَيْهِمْ قَصَائِدِي؟

الاطماع الشهامة

تَعَلَّمُوا الْعَدْلَ يَا مَنْ غَرَّهُمْ طَمَعٌ ! وَلَا تَظَلُّوا كَمَنْ أَغْوَتْهُمْ الْضَمْعُ
وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ التَّعْوِيزِ عَنْ ضَرَرٍ، فَسَوْفَ يَحْمِلُهُ الْأَبْنَاءُ وَالتَّبِعُ
أَلَمْ يُحَدِّثْكُمْ التَّارِيخُ عَنْ فِتْنَةٍ لَمَّا اسْتَبَدَّتْ تَوَلَّى هَدْمَهَا الْجَشْعُ؟

المفسرون

عَزَلُوا الْكُفَّاءَ مِنَ الْحِصْنِ الْحَصِينِ، فَغَدَا مُسْتَوْدَعًا لِلْمُدَّعِينَ
لَيْسَ هَذَا الْعَهْدُ كَمَا لَمَاضِي الَّذِي خَضَعَ الْفِكْرُ بِهِ لِلْمُعْتَدِينَ
يَا لَعَصْرِ فَضَحَتْ آيَاتُهُ هَذَرُ أَرْبَابِ النُّفُوزِ الْمُفْسِدِينَ

سارق السارق

أَعْلَنُوهُ سَارِقًا خَانَ ذَوِيهِ ! مَنْ هَجَاهُ بِالَّذِي فِيهِ سَفِيهِ
سَارِقُ السَّارِقِ مَعْدُودُ كَمَنْ وَرِثَ الْمَالَ بِعَدْلِ عَنْ أَبِيهِ
كُلُّ مَنْ يَمْلِكُ مَالًا زَائِدًا سَلَبَ الزَّائِدَ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ

أَرُومُ لِكُلِّ النَّاسِ أَنْ يُدْرِكَوا النُّورَ ، فَلَا خَيْرَ فِي حَقِّ إِذَا ظَلَّ مُسْتَوْرًا
وَمَا الْحَقُّ إِلَّا وَحْدَهُ عَافَهَا الْوَرَى فَبَاتَتْ رَشَاشًا فِي الْأَبَاطِيلِ مَنْشُورًا
إِذَا مَحَّصَ النَّاسُ الْأُمُورَ بِعَرْضِهَا ، عَلَى النُّورِ أَضْحَى الْحَقُّ بِالْعَقْلِ مَنْظُورًا

تَرَاهُ رَقِيقًا ، كَالنَّسِيمِ عَوَاطِفُهُ لَهُ قَلْبُ طِفْلِ كَمْ سَبَتَكَ لَطَائِفُهُ
وَإِنْ جَاشَ حُبُّ الْحَقِّ فِي صَدْرِهِ غَدَا كَجُلُودِ صَخْرٍ كَمْ تَحَطَّمَتْ قَاضِفُهُ
فَلَا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ تَبْرَحُ قَلْبُهُ وَلَا الْحَقُّ يَرْضَى صَاحِبًا مَنْ يُخَالِفُهُ

وَقَمْتُ عَلَى نَفْعِ الْأَنَامِ كَلَامِي وَفِي رَدْعِ أَهْلِ الشَّرِّ كَانَ غَرَامِي
فَهَبْنِي إِلَهِي ! مِنْ عِلَاكَ مَكَانَةً لِإِقْنَاعِ أَخْصَامِي وَنِيلِ مَرَامِي
وَلَيْسَ مَرَامِي غَيْرَ فَوْزِي بِرُتَبَةٍ لَدَيْكَ ، وَمَرَّ آيِ الْوَرَى بِسَلَامِ

الْمَرْءُ مَأْخُودٌ بِأَوْهَامِهِ مُسْتَنْكِفٌ عَنْ بَحْثِ آيَامِهِ
لَوْ أَنَّهُ حَطَّمَ أَصْنَامَهُ لَمَّا شَكَ ضِيَاعَ أَيَّامِهِ
فَسَلَّمَ الْأَمْرَ لِمَنْ خَطَّهْ فَقَبِضَتْهُ الْمَرْءُ بِإِسْلَامِهِ

لا تعذلوها فهي غمياء محتاجة للغير بلها
أرض ين العالمون بها وجزاؤهم غمط وإيذاء
أرض تعامت عن عباقرها لا أنفك عنها ذلك الداء

ويح النبوغ فما ألفتى بالخاذق إن لم يكن بمجدل ومنافق
داء النوابيع أنهم فضحوا الألى ملأوا المناصب بالهراء ألفتق
فكانهم حرب على أهل النهى حرب النبوغ تحرش بالخالق

مهارة المرء في الدنيا استقامته وأسمد الخلق من صينت كرامته
والناس قسمان: مقصود ومقتصد، وأقصد أن ترفع الإنسان غايته
يُمسي الذي يجمع الخيرات معتدياً لو أصبح المرء مضموناً كفايته

إن الذي ملأ الورى شغراً وفناً مشمراً
ما زال يمشي بينهم مستنجداً مستغفراً
زرع الجواهر فأجتني فحماً، وبات كما ترى

أَبْكَى عَلَى الْعِلْمِ وَالْإِخْلَاصِ فِي بَلَدٍ سَطَا الْغِنَى بِهِ بِالْمَالِ وَالْعَدَدِ
أَضْحَى وَزِيْرًا فَمَا بَارَتْ تِجَارَتُهُ وَأَفْلَسَ الْعَالَمُ الْمُزْدَانُ بِالرَّشْدِ
فَالْوَيْلُ لِلنَّاسِ إِنْ بَاتَتْ مَوَاهِبُهُمْ أَسِيرَةَ الْقَيْدِ كَمَا لَمْ يَخْشَوْهُمْ لِلْأَبَدِ

أَتَصَوِّغُ أَشْعَارًا وَجُلُّ النَّاسِ زَهْدُوا بِمَا يُدْنِي عَلَى الْقِرْطَاسِ ؟
وَمُهَنْدِسُ الشُّعْرِ الَّذِي قَتَنَ الْوَرَى مَلِكٌ بِلَا تَاجٍ وَلَا حُرَّاسِ
يَدْنِي قُصُورًا فِي الْهَوَاءِ وَبَعْضُهُمْ يَدْنِي قُبُورَ الْفِكْرِ وَالْإِحْسَاسِ

وَقَوْمٍ رَأَوْا أَنَّ السُّمُوقَ قَدْ انْخَصَرَ بَعْنُ أَنْطَقَ الْأَوْتَارَ أَوْ جَسَدَ الْحَجَرِ
وَرُبَّ خَيَالِيٍّ تَصَوَّرَ بِدَعَاةٍ فَخَالَ بِهَا الشُّعْرَ الَّذِي يُذْهِلُ الْفِكْرَ
وَمَا الشُّعْرُ إِلَّا حِكْمَةٌ أَزَلِيَّةٌ تُؤَثِّرُ فِي الْأَرْوَاحِ كَالنُّورِ فِي الْبَصَرِ

يَا صَاحِبَ الْفَنِّ لَا تَحْزَنْ لِمَا ذَهَبَا فَمَا مَضَى كَانَ أَسَا يَبْعَثُ الْعَجَبَا
وَمَا سَتَبْنِيهِ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ أَدَبٍ سَيُذْهِلُ الْخَالِدِينَ : الْعِلْمَ وَالْأَدَبَا
وَسَوْفَ تَغْدُو مَلَاذَ الطَّالِبِينَ هُدًى وَسَوْفَ تَحْيَا إِلَى أَنْ تُدْرِكَ الْأَرَبَا

طغى المالُ فأنحطَّ الأديبُ المهذبُ وأفلحَ بينَ الناسِ من يتذبذبُ
ونادى مُنادٍ: لا تُحاولِ تملصاً فرزقك مقسومٌ ودهرك قلبُ
وأتعبُ خلقِ اللهِ جامعُ ثروةٍ وليسَ له من سَطوةِ الموتِ مهربُ

هل تُنبتُ الأرضُ أحكاماً وأدياناً أم أنهم فتَحوا لِلشرِّ ميداناً؟
كم غنماتِ أخوالِ الطماعِ أوجدَها ليَجعلَ الناسَ ساداتٍ وعبداناً
ولستُ ذا جنةٍ صُلِّيَ على صنمٍ وصاغَ للباطلِ الملموسِ برهاناً

شعورُ الفتيِّ بِالعدلِ يسمو بنفسِهِ فأكرمَ بمن أنصافِهِ أَسُ حِسِهِ
ولمَ أكُ بمن فاتهُ جورُ ظالمٍ ولكنني ذكَّرتُ يومِي بِأَمْسِهِ
وأتبعتهُ الصِّدِّقُ الَّذي كانَ قاتلي وقد تَنمَّذُ المَظلومُ شِدَّةَ بَأْسِهِ

يَدِسْتُ مِنَ الأصحابِ ، وَالْحُبُّ زائلٌ ، وَأَسبابُ يَأْسِي أَنِّي لا أُخاتِلُ
وَضَعْتُ نِظاماً نَصَبَ عَيْنِي صَارِماً فَإِنْ عَقَّنِي الأصحابُ فَاللهُ عادِلُ
أَجورُ عَلَى نَفْسِي بِحَمَلِ ذُنُوبِهِمْ فَحَتَّى مَتَى يَسْتَمَذُّ الْجورَ عاقلُ؟

قَدْ يَسْتَعِضُّ الْفَتَى عَنْ نُبْلِ مُحْتَدِهِ بِسَطْوَةِ الْمَالِ فَهُوَ السَّيْفُ فِي يَدِهِ
يَقُولُ إِنَّ الْوَرَى بَاتُوا سَوَاسِيَةً ؛ وَغَيْرُهُ عُرْضَةٌ لِلْجُوعِ فِي غَدِهِ ؟
وَمَا الْذُلُّ إِصْغَاءُ الْفَقِيرِ إِلَى قَوْلِ الْغَنِيِّ، كَوَاعٍ «صَوْتِ سَيِّدِهِ»

أَتَهْذِي وَتُغْرِينَا طُيُوفَ الْمَحَاسِنِ ؟ وَأَصْدَقُ مَنْ يَرُوي تُرَابُ الْمَدَائِنِ
يَبْدُدُ مَا تَبْنِي حَيَاةٌ قَصِيرَةٌ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ مَنْ بَاتَ فِيهِ بِكَائُنِ
وَيَجْمَعُ بَيْنَ النَّاسِ مَهْمَا تَفَرَّقُوا وَفِيهِ أَسْتَوَتْ قَدْرًا جَمِيعُ الْمَعَادِنِ

الْوَرَى فِي الْأَرْضِ مِثْلَ الْعَنْكَبُوتِ، نَسَجَتْ لَيْلًا خُيُوطًا فِي الْبُيُوتِ
كَمْ طَرِيقٍ فِي الْهَوَاءِ افْتَتَحَتْ فَأَزَالَتْهَا حُمَا الْجَبَرُوتِ
طُرُقٌ نَسَبَتْهَا فِي عُرْفِهَا نِسْبَةُ الْمَيِّتِ إِلَى مَنْ لَا يَمُوتُ

حَصَلَ انْقِلَابٌ فِي الْحَيَاةِ عَظِيمٌ زَالَ الْفَسَادُ، وَأُحْكِمَ التَّنْظِيمُ
وَقَضَى الْإِخَاءُ، فَأَنْصَفَ الْقَوْمَ الْأَلَى افْتَرَشُوا الْحَصِيرَ، وَأَعْلَنَ التَّائِمُ
وَتَعَاوَنَتْ كُلُّ الْقُوَى فَكَأَنَّمَا شَمَلَ الْأَنَامُ تَقَاهُمْ وَنَعِمُ

لَا تُكْثِرُوا هَذِرًا عَلَى مَسْمَعَةٍ فَكُنَّا مَاضٍ إِلَى مَرْجَعَةٍ
وَلَيْسَ مِنْ عَيْبٍ بِإِبْدَاعِهِ لَكِنَّا نَعِثُ فِي مَصْنَعَةٍ
وَالْأَرْضُ فِرْدَوْسٌ إِذَا أَحْسَنَ الْإِنْسَانُ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي مَوْضِعِهِ

٥٠

التسامح

تَدُلُّ عَلَى نُبْلِ الْكِرَامِ الْمَلَامِحُ وَثَرَوَتُهُمْ يَوْمَ الْفَخَارِ الْمَدَائِحُ
وَكَمَ أُمَّةٍ لَمْ تَجْمَعْ أُمَالَ خَلَفَتْ مِنْ النِّفَعِ مَا تَهْفُو إِلَيْهِ الْجَوَانِحُ
غِنَانَا أُنْحَادُ الْعُرْبِ فِي ظِلٍّ وَخَدَةٍ تَعْلَمُ أَهْلَ الْأَرْضِ كَيْفَ التَّسَامُحُ

٥١

التأزر

فِي الدَّوْحِ صَقْرٌ يَسْتَعِجُ وَيَرْقُبُ خَطْفَ الطُّيُورِ، وَقَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ
وَحَمَامَتَانِ تَتَبَّهَتَ إِحْدَاهُمَا لِلْغَدْرِ وَالْأُخْرَى أَشْرَابَتْ تَشْرَبُ
لَيْتَ الْوَرَى تَخَذُوهُمَا مَثَلًا فَكَمْ دَفَعَ التَّأَزُّرُ عَادِيًا يَتَوَثَّبُ

٥٢

رثاء

لَوْ كَانَ يَنْجَحُ مُصْلِحٌ بِلِسَانِهِ لَأَرَحْتُ هَذَا الْخَلْقَ مِنْ ثَوْرَانِهِ
هَلْ بَعْدَ قَوْلِ الصِّدِّيقِ مِنَ الْكُذُوبَةِ، لَتَرَدُّ ذَا الْأَطْمَاعِ عَنْ طُغْيَانِهِ ؟
أَسْفًا عَلَى بَشَرِيَّةٍ لَمْ يُجِدْهَا نَفْعًا نَهَاكَ، وَلَا بَدِيعُ بَيَانِهِ

أَعْظَمُ النَّاسِ مَنْ يَبُوحُ بِعَارِهِ وَيُجِيدُ الْخِلَاصَ مِنْ أَسْرَارِهِ
فَأَسَاسُ الْفَسَادِ سِرٌّ مَصُونٌ أَتَرَى الْخَيْرَ يَسْتَحِي بِأَشْتِهَارِهِ؟
لَيْسَ يَهْوَى الْكَيْمَانَ إِلَّا مُسِيءٌ وَدَوَاءُ الظَّلَامِ كَشْفُ سِتَارِهِ

مَنْ يَعْشَقُ الْأَوْهَامَ لَا يُلَامُ فَالْمَرءُ وَنَهْمُ أَسْهُ الْعِظَامِ
وَكَمْ حَقِيقَةٌ هِيَ الْخِيَالُ إِنَّ صَحَّ مَا أَثْبَتَهُ الزَّوَالُ
وَكَمْ خِيَالٍ قَدْ غَدَا حَقِيقَةً مَا أَلَوْهُمْ إِلَّا فِكْرَةٌ رَشِيقَةٌ

جَدِّدُوا، فَالْجَدِيدُ فَرَحَةٌ نَفْسِي عَلِمْنَا الْيَوْمَ غَيْرُ مَا كَانَ أَمْسِي
أَوْجَدَ الْحِسُّ بِالْحَيَاةِ شُعوبًا وَأَنْطَوَى مَنْ يَعِيشُ مِنْ دُونِ حِسٍّ
بَاتَ حِسُّ الْأَجْدَادِ مِلْكَ سِوَانَا وَأَدْعَيْنَا تَرَاهُمْ لِلتَّاسِي

حَازِرِ الْفَاجِرِ إِنَّ عَاشِرَتَهُ وَلَتَيْمِ الطَّبَعِ إِنَّ أَكْرَمَتَهُ
وَشَرِيكَ السُّوءِ إِنَّ حَاسِبَتَهُ وَكَرِيمِ النَّفْسِ إِنَّ أَغْضَبَتَهُ
وَالْفَتَى الْأَحْمَقَ إِنَّ مَازَحَتَهُ وَأَخَا الْمَكْرِ إِذَا أَخْرَجَتَهُ

يَنْثُرُ الشَّاعِرُ آيَاتِ الْغَرَامِ وَهُوَ لَمْ يَعْشَقْ، وَلَا عَانِي السَّقَامِ
وَلَقَدْ يُعْنَى بِكَاسَاتِ الطُّلَى وَهُوَ لَمْ يَسْكُرْ، وَلَا ذَاقَ الْمُدَامِ
يَا لَهُ مِنْ حَالِمْ أَحْيَا الرُّؤَى وَمَضَى يُلْبِسُهَا ثَوْبَ الْكَلَامِ

يَا طُيُوفَ الْمُنَى وَأَنْتِ بِخَيْلِهِ لَا تَضَيِّي عَلَى عَلِيلِ بِحَيْلِهِ
زَوْدِيهِ عِطَرَ الْأَزَاهِ—بِيرِ فَالْعِطْرُ مَزِيحٌ مِنَ الْفُنُونِ الْجَمِيلَةِ
وَأَرِيهِ أَلْوَانَهَا فَهِيَ شِعْرٌ وَضَعْتَ لِحْنَهُ طُيُورُ الْخَمِيلَةِ

غَرَّدِي كَالْبُلْبُلِ اسْتَحْلَى الصَّبَاحَ وَأَنْثُرِي الْأَلْحَانَ فِي أَقْدَاحِ رَاحِ
وَأَطْرُدِي عَنْ حُبِّنَا كَيْدَ الْعِدَى فَالْهُوَى يُذْكِهِ إِنْصَافُ الْمِلَاحِ
بَهْجَةُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَفْعَلِي كَضِيَاءِ النَّجْمِ إِمَّا الْفَجْرُ لَاحِ

مَا عَلَيْنَا بَعْدَ تَوْدِيْعِ الْمُنَى غَيْرُ تَقْبِيلِ الرِّيَّاحِ السَّارِيَةِ
عَلَيْهَا تَحْمِلُ مَا يُؤْنِسُنَا مِنْ بَقَايَا الذِّكْرِيَّاتِ الْمَاضِيَةِ
كُلُّ مَا مَرَّ انْقَضَتْ لَذَاتُهُ إِنَّمَا الذِّكْرُ حَيَاةٌ ثَانِيَةِ

يَا ابْنَةَ الشَّعْرِ مُبْهِجِ الْأَكْوَانِ ! غَرْدِي لِلْمُتَيْمِّمِ الْوَلْهَانِ
بِالَّذِي أَسْكَرَ الْخَمِيلَةَ بِالشَّدْوِ وَهَزَّ الْأَغْصَانَ بِالْإِرْنَانِ
لَا تُغْنِي لِي غَيْرِ قَلْبِي نَشِيدًا أَنْتِ أَذْرِي بِغَيْرَةِ الْخُلَانِ

عَادَ زَهْرُ الرُّبَى، وَعَاوَدَتِ الذِّكْرَى فُؤَادِي، فَهَلْ نَأَتْ عَنْ فُؤَادِكَ ؟
إِنْ قَسَوْتَ فَسَوْفَ يَأْتِيكَ يَوْمٌ فِيهِ تَسْتَعْرِضِينَ عَهْدَ وِدَادِكَ
وَتُنَادِينَ الْحُبَّ : هَلْ مِنْ مَعَادٍ فَتَرُدُّ الْأَصْدَاءَ : يَوْمَ مَعَادِكَ

سِيرِي حَتَانِيكَ ! سَيْرَ الزَّهْرِ فِي الْمَاءِ بِجَنَّةٍ مِنْ رِيَاضِ الْحُبِّ غَنَاءِ
وَأُنْشِدِي بَعْضَ أَشْعَارِي لِتَلْمَعَ فِي نَفْسِي بَوَارِقُ تَحْنَانٍ وَإِغْرَاءِ
وَهَلْ يَمَلُّ الْهَوَى قَلْبَانِ ضَمَّهْمَا فَهَمُّ الْجَمَالِ وَإِحْسَانُ الْأَحْبَاءِ ؟

لَا تَحْسَبِي الْأَلَامَ مَرَّ شِهَابٍ ! مَرُّ الْحَيَاةِ صَبَابَةُ الْمُرْتَابِ
وَالْمُفْسِدُونَ، وَلَا أَرَاهُمْ كَثْرَةً إِلَّا لِفِرْطٍ تَأْثُرِي وَعَذَابِي
فَعَسَاكَ أَنْ تَضَعِي لَهُمْ حَدًّا فَمَا أَشَقَى الْبَرِيءِ بِفِرْحَةِ الْمُغْتَابِ

وَضَعْتِكَ فِي قَلْبِي فَأَغْرَاكِ إِفْلَاتُ وَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الْأُلَى أَفْلَتُوا مَاتُوا
أَنَا الْأَرْضُ غَذَّتْ زَهْرَهَا مِنْ فُؤَادِهَا، لِيَقْطِفَهُ مَنْ رَاوَدَتْهُ الْمَلَذَاتُ
وَلَوْ كَانَ يَدْرِي الزَّهْرُ مَا بَعْدَ قَطْفِهِ، لَفَضَّلَ رَوْضًا فِيهِ أَسْرٌ وَإِعْنَاتُ

إِذَا طَالَ حُبُّ الْمَرْءِ طَالَ اكْتِسَابُهُ وَأَصْبَحَ كَالْمَسْجُورِ ضَاعَ صَوَابُهُ
أَلَيْسَ الْهَوَى كَالْمَاكِرِ اشْتَدَّ بَأْسُهُ، وَكَالْسَاحِرِ الْمَمْلُوءِ خَلَطًا كِتَابُهُ؟
فَلَا تَشْكُ أَوْهَامًا أَطَالَتْ زِيَارَةَ فَمَا لَطَفَ الضَّيْفِ الثَّقِيلِ ذَهَابُهُ

كُتِبَتْ عَلَيْهَا فِي الْغَرَامِ ذُنُوبُ وَغَرَامُهَا الْمَعْكُوسُ وَالْمَقْلُوبُ
وَتَلَاعَبَتْ بِالْعَاشِقِينَ فَظَنُّهَا كُلُّ حَبِيبَتِهِ، وَرَاحَ يَلُوبُ
وَالْعُمْرُ يَمْضِي مُسْرِعًا وَلَعَلَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرْعَوِي وَتَتُوبُ

إِيَّاكَ يَا صَاحِبِي أَنْ تُكْثِرَ الْجَدَلَا مَعَ الَّتِي أَصْبَحَتْ فِي هَذَرِهَا مَثَلَا
قَالَتْ: عَلِقْتُ بِعَادَاتٍ وَأَنْظِمَةٍ فِي الْغَرْبِ، لَا أَرْتَضِي عَنْ حُبِّهَا بَدَلَا
وَحِشْمَةُ الشَّرْقِ كَالْأَغْلَالِ فِي نَظَرِي - وَهَلْ يُحَاكِي الطَّلِيْقُ الْحُرَّ مَنْ عُقْلَا؟

تَرَنَحْتُ كَالسَّكَرَانِ، وَالسُّكْرُ إِغْرَاءٌ - فَهَلْ ذُقْتَ خَمْرًا أَمْ تُرَى يُسْكِرُ الْمَاءُ ؟
 إِذَا قُلْتُ : قَلَدْتُ السَّكَارَى وَلَمْ أَذُقْ - فَمَا النَّاسُ جُهَّالٌ ، وَلَا أَنْتِ بَلَاءُ
 وَمَنْ أَشَبَّهَتْ بِنْتَ الْهَوَى بِمَسِيرِهَا - فَقَدْ سَكِرَتْ شَكْلًا ، وَلِلطُّهْرِ سِيَاءُ

المندوع

٧٠

يَا ابْنَةَ الشَّرِّ لِمَ جَرَحْتَ شُعُورَهُ ؟ إِنَّهُ شَاعِرٌ جَهِلٌ نَظِيرُهُ
 ظَنَّ فِيكَ التُّقَى وَأَغْرَاهُ حُسْنٌ مَا كَرُّ، خَالَهُ أَخُو الْفَنِّ صُورُهُ
 لَا عَرَفْتَ الْإِخْلَاصَ فَهُوَ جَمَالٌ فِيهِ عِطْرٌ لَا تُدْرِكِينَ عَيْبَهُ

للهم ما زرعت بدماء

٧١

أَحْزَنْتِ قَلْبًا لَيْسَ فِيهِ سِوَى إِخْلَاصِهِ لِلْمَكْرُمَاتِ هَوَى
 فَلْيَفْرِحِ الْمَحْزُونُ، إِنَّ لَهُ يَوْمَ الشَّمَاتَةِ رَاحَةً وَدَوَا
 وَلْتَحْصِدِ الْحَسَنَاءُ مَا زَرَعْتَ فِي صَدْرِهِ مِنْ حُرْقَةٍ وَجَوَى

انتقام المريبقار

٧٢

إِذَا الْحُبُّ وَلَّى وَالْأَسَى أُحْتَلَّ دَارُهُ فَلَا تَتَقَبَّلْ بَعْدَ ذَلِكَ أَعْتِذَارُهُ
 فَلَيْسَ بِذِي وَدٍّ حَبِيبٌ مُعَذِّبٌ وَلَيْسَ بِجَارٍ مَنْ كَرِهْتَ جِوَارُهُ
 كَفَاكَ مِنَ الْإِثَارِ أَنَّكَ عَفْتُهُ وَصِرْتَ جَوَابًا مُذْ عَرَفْتَ قَرَارُهُ

غَرَّهَا الْحُسْنُ فَيَا بُؤْسَ الْمَصِيرِ وَتَوَلَّى أَمْرَهَا حَظٌّ قَصِيرُ
فَقَامَلْ مُنْتَهَى عَابِثَةٍ كَمْ عَظِيمٍ عَامَلَتْ مِثْلَ الْأَجِيرِ
وَأَخِيرًا عَاشَرَتْ عَبْدًا لَهَا فَغَدَتْ عَبْدَةً ذِيكَ الْحَقِيرِ

إِذَا سَايَرْتُ أَوْهَامَكَ فَلَا تَهْزَأْ بِأَوْهَامِي
فَقَدْ ضَيَّعْتُ أَيَّامَكَ كَمَا ضَيَّعْتُ أَيَّامِي
وَعَنَى الدَّهْرُ أَنْعَامَكَ فَكَانَتْ مِثْلَ أَنْعَامِي

فِي فِيهِ شَيْءٌ مِنْهُمْ مُتَّارِجِحٌ يَتَأَلَّمُ
وَكَلَّاهُ الصَّمْتَ الْمُجَسِّمُ فَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ
لَا تَرْحَمُوهُ لَأَنَّ مَنْ كَتَمَ الْهَوَى لَا يُرْحَمُ

أَيَا جَارَتَا! نَادِيَ الْهَوَى كَانَ نَادِينَا وَلَكِنَّ صَرْفَ الدَّهْرِ مَازَالَ يُقْصِينَا
وَلَمَّا قَضَيْنَا الْعُمَرَ إِلَّا سُوَيْعَةً تَرَاوَى لَنَا أَنَا بَلَعْنَا أَمَانِينَا
وَلَيْسَ بُلُوغُ الْقَصْدِ إِلَّا نِهَايَةً فَهَلْ أَدْرَكْتَ سِرَّ الْحَيَاةِ أَغَانِينَا؟

تَرَكْتَ دُنْيَاكَ لَمْ تَحْمِلْ بِهَجَّتِهَا وَهَمْتَ بِالرُّوحِ إِقْرَاراً بِعِزَّتِهَا
فَأَنْتَ يَوْمَ أَطْمَأَنَّ النَّاسُ قَائِدُهُمْ وَأَنْتَ يَوْمَ الْمُلَمَّاتِ ابْنُ بِمَجْدَتِهَا
وَأَجْهَلُ الْخَلْقِ مَنْ عَادَاكَ مُتَّبِعاً ضَلَالَةَ النَّفْسِ فِي إِبَّانِ ثَوَرَتِهَا

إِنْ كَانَ حُبِّي مِثْلَ حُبِّ فَتَاةٍ فَرَكْتُ ، فَأَيْنَ عَزِيمَتِي وَثَبَاتِي ؟
إِنِّي مَنَعْتُ الْقَلْبَ عَنْ وَادِ الْهَوَى لَمَّا أَذْكَرْتُ قِيَامَةَ الْأَمْوَاتِ
وَإِذَا الْمُفَكِّرُ قَيَّدَتْ أَمَالَهُ دُنْيَا الزَّوَالِ يَلُودُ بِالْإِفْلَاتِ

مِنْ بَعْدِ أَنْ ذُقْتُ الْهَوَى الْمَشْبُوبَا ، عَاهَدْتُ قَلْبِي : لَا يَمَسُّ لَهْيَا
إِنْ كَانَ مَاتَ وَعَادَ حَيًّا مَرَّةً فَلَسَوْفَ يَأْبَى أَنْ يَزُورَ طَيْبَا
وَهُوَ الَّذِي غَلَبَ الْغَرَامَ بِطُهرِهِ مَلَأَ الْوَرَى حُبًّا وَظَلَّ أَدْيَا

يُحْسَبُ الْمَرْءُ فِي رَيْعِ شَبَابِهِ أَنَّ مَعْنَى الْهَوَى بُلُوغُ طِلَابِهِ
وَإِذَا كَرَّتِ اللَّيَالِي يَرَاهُ عَمَلًا بَاقِيًا خَيْرِ صِحَابِهِ
وَإِذَا شَارَفَ النِّهَايَةَ أَمْسَى رَغْبَةَ الرُّوحِ فِي لِقَاءِ ثَوَابِهِ

إِذَا رَازَنِي نَاقِدٌ حَادِلٌ فَإِنِّي بِإِنْصَافِهِ قَابِلٌ
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَقُّهُ يَدِنَا فَلَسْتُ بِمَنْ هَزَهُ الْبَاطِلُ
مُسْكُوتِي جَزَاءٌ لِأَمْثَالِهِ وَهَلْ يُنْصِفُ الْعَالَمَ الْجَاهِلُ؟

هَامَ الْجَهْلُ بِجَمْعِ الْمَاسِ وَالذَّهَبِ وَعَاشَ مُفْتَقِرًا لِلْفَنِّ وَالْأَدَبِ
وَأَنْفَقَ الْعُمَرَ يَسْمَى فِي مَنْاكِبِهَا... وَهِيَ الَّتِي لَوَّعَتْ مَنْ جَدَّ فِي الطَّلَبِ
وَاهَا لِمَنْ لَمْ يَنْلُ مِنْ حُبِّهَا أَرْبًا وَقَدْ رَأَى مَنْ قَضَوَا فِي ذَلِكَ الْأَرْبِ

أَبْنَاءُ أُمِّي! أَيْنَ عَهْدُ وَلَايِي؟ هَلْ سَبَبَ الْحَسَدُ الدِّينَ عِدَائِي؟
لَا تَغْمِطُوا حَقِّي! فَلَيْسَ يَضِيرُكُمْ أَنْ يَبْلُغَ الْعَالِي ذُرَى الْعُلِيَاءِ
إِنْ كُنْتُ فِي دَارٍ «أَمْلَكْتُ» وَهَبْتُكُمْ، مُلْكِي، أَلَا أَنْكِرُ حَقَّكُمْ بِسَمَايِي؟

نُورٌ مِنَ اللَّهِ إِبْدَاعِي وَإِلَهَامِي وَإِنْ شَجَانِي مُقَامِي بَيْنَ أَصْنَامِ
ضَحَّوْا بِمُبْتَكِرِ فَاضَتْ مَوَاهِبُهُ خَوْفَ الْفَضِيحَةِ مِنْ إِنْتَاجِهِ السَّامِيِّ...
وَعَرَّهُمْ يَوْمَ وَأَدِ الْحَقُّ أَنَّهُمْ نَجَّوْا بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ سَيْفِهِ الدَّامِيِّ؟

مَنْ لِي بِكَفٍّ كَيْ أَمَدَّ لَهُ يَدِي وَأَرْبَحَ نَفْسِي مِنْ دَعِيٍّ مُعْتَدِي !
فَالْكَفُّ إِنْ تَطْمُسُهُ كَالنُّورِ الَّذِي - لَفَّوهُ ظُلْمًا بِالْحِجَابِ الْأَسْوَدِ
رَضِيَ إِلَهُ عَنْ الْأَلَى أَنْتَفَعُوا بِهِ وَقَضَى عَلَى الْفِتَّةِ الَّتِي لَمْ تَهْتَدِ

رُدَّ لِلنَّاسِ حَقُّهُمْ فِي الْحَيَاةِ ! سَالِبُ الْمُعْوزِينَ أَذْهَى الْجُنَاةِ
أَوَلَيْسَ الْإِحْسَانُ رَدَّ سَلِيبٍ مُذْ عَصَى الْأَغْنِيَاءُ فَرَضَ الزَّكَاةَ ؟
كَوْبُ مَاءٍ زَادَ الْحَرِيقَ احْتِدَامًا وَالْأَنْايِبُ نَحَتْ أَمْرَ الطُّغَاةِ

إِذَا اسْتَوْجَبَ الْإِصْلَاحُ بَذْلًا وَتَضَحَّيَةً ، فَخَيْرُ كَرِيمٍ سَوْفَ يَحْتَاجُ تَرْكِهَ
وَمَا مِنْ ثَمَرِيٍّ ، إِنْ طَلَبْتَ عَدَالَةً تَعْمُ بَنِي الدُّنْيَا ، يَجِيءُ بِتَسْوِيَةٍ
وَيَفْضَحُ تَدْجِيلًا تَرَى الْجِدَّ ثَوْبَهُ فَإِنْ تَحْتَبِرُهُ أَرْتَدَّ لَهْوًا وَتَسْلِيَةً

رَدَّ بَعْضَ الْأَسْلَابِ لِلْبُؤْسَاءِ فَاسْتَحَقَّ التَّلْقِيبَ « بِابْنِ السَّمَاءِ » ...
قُلْتُ : لَوْ كَانَ عَائِشًا فِي كِفَافٍ هَلْ يَعْدُونَهُ مِنْ الرُّحَمَاءِ ؟
وَيَنْحَ مَنْ فَضَّلُوا سَلِيلَ الْأَصْوَصِ الْمُحْسِنِينَ عَلَى « أَخِي الْأَنْبِيَاءِ » !

أَلَيْسَ مَنْ بَاتَ فِي أَلْحَانَاتِ مَطْرُوحَا - يُعَاقِرُ الْخَمْرَ، غِرّاً أَهْمَلِ الرُّوحَا؟
فَالرُّوحُ كَالْجِسْمِ يَهْتَمُّ الْحَكِيمُ لَهُ - فَلَا تَذَرُهُ كَدَمْعِ الْعَيْنِ مَسْفُوحَا
وَالْجِسْمُ يَنْحَلُّ، وَالْأَرْوَاحُ لَوْ فُحِصَتْ، لَبَاتَ سِرُّكَ يَا ابْنَ الْأَرْضِ مَفْضُوحَا

أَوَّلَعَ الْأَغْرَارَ بِاللَّدَاتِ زَنْدِيقُ جَهَوْلٍ
قَالَ: يُنَمِّي الْجِسْمُ طِينًا، فَتَلَهَّى بِالشَّمُولِ
وَيَنْجَهُ! إِنْ ظَلَّ حَيًّا رُوحُهُ، مَاذَا يَقُولُ؟

يَبْنِي الْمُقَامِرُ كُلَّ يَوْمٍ قَبْرَهُ وَيَهْدُ مَرْكَزَهُ وَيَهْدِمُ فَخْرَهُ
فَإِذَا مَرَرْتَ بِهِ فَحَيَّ جُنُونَهُ وَكَفَاكَ، مَنْ بِالشَّعْرِ زَانِكٌ، شَرُّهُ
لَوْلَاهُ مَا عَرَفَ الْوَرَى فَضْلَ أَمْرِي أَفْنَى عَلَى نَشْدِ الْحَقِيقَةِ عُمرُهُ

ضَلَّ رَهْطُ الْأَثْرِيَاءِ فَاحِصِي أَهْلِ الذِّكَا
سَيَسِيرُونَ طَوِيلًا وَمَسَاعِيهِمْ هَبَاءُ
فَسَيَبِيلُ الْفَهْمِ فَنٌ لَا يَرَاهُ الْأَغْبِيَاءُ

ما علمهم غير تعريب وتقليد والعلم إجماد شيء غير موجود
وما الكتابة إلا فن مبتكر يعيش بين السكارى عيش غريب
فإن صحوذكروا إبداع منشدهم أو لا ، فدينهم وأد الأناشيد

مُتَلِّدُ أَهْلِ الْفَنِّ قَالَ لَهُمْ : هَاتُوا ! وعاش حسوداً أغوزته الكفآت
يروم لحاق الملهمين ، ويسأل الأساتذة الفحاص : كيف العلامات ؟
تباهى ولم ينتج ، فبات مدجلاً ولما ثوى لفت عليه الشهادات

وَقَفَ الْعَتَاةُ أَمَامَ شِعْرِي فَادَّعَوْا مُلْكَ الثَّرَى ، وَأَسْتَهْزَأُوا بِالرُّوحِ
فَاجَلَّتْ فِيهِمْ نَظْرَةُ النَّسْرِ الَّذِي عَرَفَ الْجُنَاةَ مِنَ الدَّمِ الْمَسْفُوحِ
فَإِذَا بِهِمْ كَعُصَافَةٍ لَعِبَتْ بِهَا نَارُ الْمَهَابَةِ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ

مُنْذُ الْقَدِيمِ — هَامَ الْأَنَامُ بِكُلِّ مَكَارٍ لَتِيمِ
وَالْمُسْتَقِيمِ — سَيَظَلُّ مَنبُوداً كَأَشْوَاكِ الْهَشِيمِ
أَيْنَ الْعَلِيمِ — بِعِلَاجِ أَهْلِ الظُّلْمِ وَالْفَهْمِ السَّقِيمِ ؟

تَفَلَسَفَ بِاللَّهِ أَمْرُوهُ مُتَطَرِّفٌ كَمَا أَخَذَ الْجُرْتُومُ يَهْذِي وَيَهْرِفُ
وَمَا الْأَرْضُ فِي الْأَكْوَانِ إِلَّا كَذَرَّةٍ - فَمِنْ أَيْنَ يَأْتِي بِالْهَرَاءِ الْمُصَنَّفُ ؟
يُصَدِّقُ كَالْمَأْفُونِ تَخْرِيفَ نَفْسِهِ وَيَنْقُلُ عَنْهُ الْإِفْكَ مَنْ هُوَ أَخْرَفُ

أَمِنْ خَطِيئَةٍ مَنْ يُدْعَى أَبَا الْبَشَرِ، حُكِمَتْ بِالْمَوْتِ وَالْإِنْقَاءِ فِي الْحُفْرِ ؟
إِنْ كَانَ هَذَا صَحِيحًا فِي عَقِيدَتِنَا فَمَا خَطِيئَةُ دُنْيَا الطَّيْرِ وَالشَّجَرِ ؟
وَأَيْنَ بُرْهَانٌ مَنْ لَا شَيْءَ يَرُدُّعُهُمْ عَنْ نَشْرِ أُسْطُورَةٍ مِنْ أَغْرَبِ السَّيْرِ ؟

كَفَّاكَ بِحُكْمًا فَلِلْمَوْضُوعِ عُنْوَانٌ : قَدْ أَلَبَّ النَّاسَ ضِدَّ الْعَقْلِ إِيمَانُ
وَأُثْبِتَ النَّصُّ أَنَّ الْأَرْضَ قَدْ خُلِقَتْ، مِنْ عَهْدِ آدَمَ، فَلَا نِكَارُ كُفْرَانُ...
وَأَجْهَلَ النَّاسِ قَوْمٌ سَيَّرُوا قِصَصًا - وَهَمِيَّةٌ مَا لَهَا أَصْلٌ وَبُرْهَانٌ

يُؤْمِنُ بِالْأَوْهَامِ غَرٌّ جَهُولٌ وَمُعْظَمُ الْإِيمَانِ : « فِعْلُنْ فَعُولٌ »
فَلَا تَقُلْ : أَوْمِنْ ، إِلَّا إِذَا رَأَيْتَ وَأُسْتَوْثِقْتَ مِمَّا تَقُولُ
وَهَاتِ بُرْهَانَكَ فَهُوَ الَّذِي يَغْنِيكَ عَنْ كُلِّ الشُّهُودِ الْعُدُولِ

سَمِعْتُ مَنْ شِعْرُهُ هَذَرٌ وَتَدَجِيلُ وَحَوْلُهُ مِهْرَ جَانَاتٍ وَتَطْيِيلُ...
فَكُنْتُ مِثْلَ الْأَلَى فِي مَثَبِنِ بَحْثُوا عَنِ الْجَوَاهِرِ، وَالْتَبَنُ الْأَقَاوِيلُ...
وَضَاعَ وَقْتِي سُدَى، وَأَنْتَابَنِي سَأَمٌ كَمَنْ يُحَاوِلُ أَنْ تَحْيَا التَّمَائِيلُ

فِي السُّوقِ آلاَفٌ مِنَ الْأَدْبَاءِ نَظَمُوا بِقَصْدِ الْكَسْبِ شِعْرَ هُرَاءِ
جَعَلُوا الْقَصَائِدَ آلَةً لِبُلُوغِهِمْ بِأَقْلٍ جُهْدٍ دَارَةَ الْعُظْمَاءِ
وَجَعَلْتُ شِعْرِي كَالْهُوَاءِ لِمَنْ دَرَى، أَنْ لَا حَيَاةَ لَهُ بِدُونِ هَوَاءِ

قَالَتْ جَمَاعَةُ مَغْرُورِينَ: نَحْنُ هُنَا أئِمَّةُ الْمَعْهَدِ الْعَالِي، فَكُنْ فَطْنًا!
إِذَا أَرَدْنَا طَمَسْنَا مَا أَتَيْتَ بِهِ وَإِنْ أَجَزْنَاكَ فَاشْكُرْ فَضْلَنَا عَلْنَا
فَقُلْتُ: مَا أَجْدَرَ الْأَغْرَارَ أَنْ يَلْجُوا - دَارَ الْفَنَاءِ، وَأَنْ لَا يَنْفُضُوا الْكَفْنَا

ذَرَانِي أُعَانِي الْعَمَاطَ حَظًّا الْأَمَاجِدِ فَقَدْ مَلَأَ الدُّنْيَا أَنْيُنُ الْمَحَامِدِ
وَلَا يَحْسَبُ الْحُسَادُ أَنِّي أَخَافُهُمْ كَمَا خَشِيَ السَّارِي عَزِيفَ الْفَدَافِدِ
ذُنَابُ عَوْتٍ لَيْلًا، وَكَانَ جُنُونُهَا مَخَافَةَ نَارٍ أَطْلَقَتْهَا قَصَائِدِي

دَعْنِي أَلَا قِي اضْطِهَادًا مِنْ بَنِي بَلَدِي وَمِنْ سُلَالَةِ أَهْلِ الْأَوْثَمِ وَالْحَسَدِ
فَالذَّنْبُ أَنِّي ضِيَاءٌ، بَاتَ شَمُّهُمْ إِزَاءً إِشْرَاقِهِ، كَمَا الْأَمْسُ فِي الْأَبَدِ
وَبَاتَ فَخْرُهُمُ الذَّاوِي أَسِيرَ يَدِي وَهَلْ يُبَاهِي عَدِيمُ الْحِسِّ بِالْجَسَدِ؟

قُلْ يَا أَخِي! لِلشَّاعِرِ الْغَرِيدِ: حَرَمُوكَ إِنْشَادًا بِأَبْهَجِ عِيدِ
هَذَا هُوَ الدَّاءُ الدَّفِينُ بِهِمْ، وَكَمْ حُرٌّ أَرَاهُ النُّكْرَ رَهْطُ عَبِيدِ
يَتَشَدَّقُونَ بِحُبِّهِمْ حُرِّيَّةً نَصَبُوا لَهَا سِرًّا سِتَارَ حَدِيدِ...

أَعْمَالُهُمْ مَحْدُودَةٌ قَاصِرَةٌ كَحِظِّ تِلْكَ الْأُمَّةِ الْعَائِرَةِ
تَشْقَى، وَتَدْرِي أَنَّ آمَالَهَا رَهْنٌ بِتَوَجُّهِ الْقُوَى الْغَادِرَةِ
عَالِمُهَا مُغْضٍ، وَجْهٌ لَهَا سَارُوا وَرَاءَ الزُّمَرَةِ الْفَاجِرَةِ

لَا يَرْتَقِي بَلَدٌ مَا فِيهِ إِنْتَاجُ لِلنَّاسِ فِي الْبَحْثِ وَالْإِنْتَاجِ مِنْهَا جُ
وَنَحْنُ إِنْ قَامَ فِينَا مُنْتَبِجٌ نَحْمِطُ حُقُوقُهُ، وَهُوَ لِلتَّشْجِيعِ مُحْتَاجُ
وَالْأَدْعِيَاءُ قُضَاءُ فِي مَجَامِعِنَا وَالْأَغْيَاءُ عَلَى الْأَبْوَابِ أَفْوَاجُ

عِنْدَمَا كُنْتُ صَغِيرًا قَالَ لِي عَقْلِي الصَّغِيرُ :
لَيْسَ لِلْفَنِّ مَلِكٌ لَيْسَ لِلشُّعْرِ أَمِيرُ
أَعْظَمُ النَّاسِ إِزَاءَ الْفَنِّ كَالْعَبْدِ الْحَقِيرِ

يُبْدِعُ الْعَامِلُونَ شَيْئًا مُفِيدًا وَتَرَانَا نَهْوِي الْعَتِيقَ الْبَلِيدَا
عَسْكَرَتْ فِي أَذْهَانِنَا تَرْهَاتٌ وَمَشِينَا بَيْنَ الشُّعُوبِ وَثِيدَا
مَعْبُدٌ لِلْإِنْبَاءِ يُفْنِيكَ عَنْ تَجَمُّعِ عِلْمٍ ، لَمْ يَأْتِ بِدَعَا جَدِيدَا

سَأَلُوهُ : مَا إِنْتَاجُكَ الْمَشْهُورُ ؟ هَاتِ الْأَدِلَّةَ أَيُّهَا (الدُّكْتُورُ) !
فَأَجَابَهُمْ : فَهَرَسْتُ مَا حَقَّقْتُ مِنْ كُتُبٍ قَدَامِي ، بِمَضَاهَا مَنْشُورٌ ...
فَارْتِ الْبِلَادَ إِذَا مَجَامِعُهَا خَلَتْ مِنْ مُنْتَجِينِ ، جَدِيدُهُمْ مَأْتُورُ

إِذَا تَقَدَّنَا بِلُطْفِ (قَادَةِ الْعِلْمِ) - أَبْدَى « السَّمَرُ مَرُ » مَا أَخْفَوْا مِنْ الْفَهْمِ
وَقَالَ مُخْتَرِعُ الشُّطْرَيْنِ بَيْنَهُمَا - بَعْضُ الْكَوَامِيسِخ : هَذَا الصَّيْدُ مِنْ كَرَمِي ...
فَهَنَى النَّاسَ بِالْقَوْمِ الْأَلَى فَتَحَتْ أَبْجَاهُهُمْ أَعْيُنَ الْعُمَيَّانِ وَالضُّمِّ

منحف ...

١١٣

زَالَ الْأُلَى نَهَضُوا بِهِ فَأَقَامَا هَزَلُ الزَّمَانِ مَسَاكِنُهُمْ أَضْنَامَا...
كَانَتْ رُؤُوسًا كَالْحِمَامِ صَغِيرَةً رَكِبَتْ جُسُومًا كَالنَّعَامِ جِسَامَا
فَرَأَى بِهَا الْجِبَّالُ خَيْرَ نَمُودَجٍ يَسْتَنْزِلُ الْإِبْدَاعَ وَالْإِلْهَامَا

شبيه النيفة

١١٤

يَا رَبُّ! هَا قَائِدُ الْقَوْمِ الْمَآفِيكِ يَخْتَلُ فِي رَوْضِ أَهْلِ الْفِكْرِ كَالدِّيَكِ
وَهُوَ الْعَقِيمُ، فَلَا إِنْتِاجَ يَعْزِضُهُ عَلَى مَوَائِدِهِمْ غَيْرَ الْمَسَاوِيكِ
فَأَحْسَبُهُ يَوْمَ يُبَاهِي تَدْنَةً يَدَسَتْ وَأَجْعَلْ عَوَاقِبَهُ عُقْبَى الْمَمَالِيكِ

الدمالونه

١١٥

مَنْ كَانَ يَجْهَلُ شَيْئًا كَيْفَ يَقْدِرُهُ وَمَنْ يَفُوزُ بِصَيْدٍ كَيْفَ يَهْجُرُهُ؟
وَمَنْ تَعَوَّدَ هَضْمَ الْحَقِّ كَانَ لَهُ فِي دَوْلَةِ الظُّلْمِ أَسْبَابُ تَبَرُّرُهُ
وَالْجَاهِلُونَ إِخَاءَ الْجَهْلِ يَنْصُرُهُمْ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْعِلْمَ يَقْهَرُهُ

المطعم الخاري

١١٦

عَلَى بَابِهِ لَوْحَةٌ بِالْيَةِ وَفِيهِ (الْأَبَارِيقُ) وَالْآنِيَةُ...
وَلَيْسَتْ بِهِ لُقْمَةٌ تُشْتَهَى وَتَبَعَتْ فِي الْجَائِعِ الْعَافِيَةُ
وَيُشَبِّهُهُ مَجْمَعٌ تُهْدِيهِ الضَّرْبَةُ الْقَاضِيَةُ
مُفْلِسٌ

أَفَخَرُّ بِالْإِنْتِاجِ وَالْإِغْرَابِ مَا الْفَخْرُ بِالتَّهْرِيجِ وَالْأَلْقَابِ
وَالْخَالِدُونَ هُمْ الْأَلَى إِنْتَاغُهُمْ يَسْمُو وَيُحْرَزُ غَايَةَ الْإِعْجَابِ
إِنْ أَخْطَأَ الْفَانُونَ فِي تَقْدِيرِهِمْ فَالْحَقُّ كَمَا التَّارِيخُ لَيْسَ يُحَابِي

شَغَلُوا الْوَرَى بِتَصَارُعِ الثَّيْرَانِ... وَتَسَابَقُوا فِي الْمَكْرِ وَالْبُهْتَانِ
دَارُوا وَلَفُّوا وَالطَّرِيقُ قَوِيَّةٌ وَسَبِيلُهُمْ أَغْنِيَّةُ الشَّيْطَانِ
لَا تَعْجَبُوا إِنْ حَرْتُ فِي تَقْوِيَعِهِمْ قَوْلُ الْحَقِيقَةِ أَضَعَفُ الْإِيمَانِ

رُفِعَ السِّتَارُ وَأُتْقِنَ التَّمْثِيلُ... شَعْبٌ يَتُّ وَحَاكِمٌ مَخْبُولُ
يَبْدُو كَدُمِيَّةَ لَاعِبِينَ مُرَادُهُمْ جَرُّ الْمَغَانِمِ ، وَالْدَّمَاءُ تَسِيلُ
أَمَّا الْخِتَامُ فَمَشْهُدٌ عُنوانُهُ : أَيْنَ الْخَنَافِسُ وَالْمُسَيْطِرُ فِيلُ؟

تَقَاسَمَ السَّاسَةُ الْلاهُونَ مَا طَابَا وَأَخْرَزُوا مِنْكَ تَصْفِيْقًا وَإِعْجَابَا
وَكَرَّمُوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَوْسَمَةِ لَمَّا تَجِدُ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ طُلَابَا...
مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَلَى عَاشُوا مَلَائِكَةً - وَبَيْنَ مَنْ مَلَأُوا الْأَفَاقَ إِرْهَابَا؟

هَرَجُوا يَا أَيُّهَا الْحُكَّامُ ! فَالْوَرَى تَنْفَعُهُ الْأَسْقَامُ...
وَأَجْمُوا الْأَمْوَالَ مِنْ أَوْصَابِهِ قَبْلَ أَنْ تَوْقِظَهُ الْأَخْلَامُ
لَيْسَ فِي الْأَفْلَاقِ تَسْمِيرٌ وَكَمْ سَلَبَتْ مَا أُعْطِيَ الْأَيَّامُ

مَلَكَ الظَّالِمُ أَرْضًا وَاعْتَصَبَ لُقْمَةَ الْمُسْكِينِ ، وَالْمَالُ اسْتَلَبَ
تِلْكَ إِقْطَاعِيَّةً أَلْبَسَهَا ثَوْبَ قَانُونٍ تَدَاوَى فَاقْتَلَبَ
وَرَأَى الْمَظْلُومُ فِي يَقْظَتِهِ مَضْرَعَ الْفُجَّارِ عُبَادِ الذَّهَبِ

أَرَى النَّاسَ لَا يَرْضَوْنَ أَنْ يَسْمَعُوا الْعَدْلَ - كَانَ هَوَى الْأَطْمَاعِ مِنْ عَدْلِهِمْ أَحْلَى
ذِنَابٌ تَهَاوَتْ كَيْ تُمَزَّقَ جِيْفَةٌ - أَلَمْ تَكْ تَكْفِيهَا لَوْ اخْتَارَتْ الْعَدْلَ ؟
نِظَامٌ مَقِيَّتٌ كَانَ بِالْوَحْشِ لَانْقَاً وَأَجْدَرُ بِالْإِنْسَانِ أَنْ يَتَّبَعَ الْعَقْلَ

إِنْ أَمْسَتْ الْأَرْضُ دَارَ أَلْهَمٍ وَالْحَزَنِ ، فَأَهْلُهَا مَلَأُوا الْأَفَاقَ بِالْفِتَنِ
لَوْ أَقْلَعُوا عَنْ نِظَامِ الْغَابِ وَاتَّمَطَّوْا ، لَبَاتَ دَرْبُ الْمَآسِي مِنْبَعِ الْمِنَنِ
وَإِنْ سَهَا النَّاسُ ، فَالْمَسْئُولُ مَنْ حَكَمُوا الْبِلَادَ ، عَمَّا بِهَا مِنْ دَائِمِ الشَّجَنِ

تَخَاصَمَتِ الثَّعَالِبُ ثُمَّ سَنَّتْ نِظَامًا لِلتَّفَاهُ فَاطْمَأَنَّتْ
وَنَفَذَهُ بِرُوحِ الْعَدْلِ لَيْتَ أَرَادَ صَلاَحَهَا ، فَأَبَتْ وَجُنَّتْ
وَأَلْفَتْ أَنَّهَا بَاتَتْ دَجَاجًا لَدَى أَسَدٍ بِصَوْلَتِهِ تَغْنَّتْ

* *

وَقَالَ زَعِيمُهَا : هَذَا كَثِيرٌ ... فَمَا أَحَدٌ بِتَوْجِيهِي جَدِيرُ
أَلَيْسَ نِظَامُنَا مِنْ نَسِيجِ فِكْرِي يَنْفُذُهُ مُدَبِّرُنَا الْكَبِيرُ ؟
فَهَيَّا لِلتَّخَلُّصِ مِنْ أَذَاهُ فَدَيْدَنُهُ الصَّرَامَةُ وَالزَّيْرُ ...

* *

وَعَافَ اللَّيْتُ مَمْلَكَةَ الثَّعَالِبِ فَقَامَتْ بَيْنَهَا حَرْبُ الْمُثَالِبِ
وَزَالَ الْعَدْلُ ، وَأَجْرُذَانُ هَبَّتْ تَعِيثُ ، فَلَا رَقِيبَ وَلَا مُحَاسِبَ
وَسَاءَتْ حَالُ شِرْذِمَةٍ تَهَاوَتْ عَلَى جَرِّ الْمَغَانِمِ وَالْمَكَاسِبِ

نِكَايَةً بِالسَّلَامِ انْقَادَتِ الْأُمَمُ إِلَى الْخِصَامِ ، وَأَعْمَى الْقَادَةَ النَّهْمُ
وَقَدْ تَنَاهَى جُنُونُ النَّاسِ فَأَنْدَفَعُوا - فِي غِيهِمْ ، وَأَسْتَبَدَّ الْفَقْرُ وَالْأَلَمُ
وَنَالَ إِعْجَابَهُمْ مَنْ حَلَّ مُشْكِلَةً - صُغْرَى ، فَمَا بَرَحُوا فِي الْفَهْمِ حَيْثُ هُمْ ...

سَادَ الشَّقَاءُ الْأَرْضَ فَاخْتَلَفَ الْمَلَا وَجَنَوْا بِعَرَبْدَةِ السِّيَاسَةِ حَنَظَلَا
 إِنَّ الْمَبَادِيءَ أَسُّ كُلِّ سِيَاسَةٍ وَالسَّرُّ تَحْدِيدُ الْمَطَامِعِ أَوَّلًا
 فَدَعُوا الضَّلَالَةَ وَاتَّبِعُوا الْعَدْلَ الَّذِي - يَكْفِي الْفَقِيرَ وَيُقْنِعُ الْمُتَمَوِّلًا

سَمِعْتُ شَكَوَى النَّاسِ مِنْ حَالِ دُنْيَانَا، فَلَمْ لَا نُدَاوِيهَا بِتَغْيِيرِ مَسْرَانَا؟
 إِذَا لَمْ نُبَدِّلْ مَا بِنَا لَا تَوَمَّلُوا نِظَامًا لِهَذَا الْعَيْشِ غَيْرَ الَّذِي كَانَا
 سَنَقْضِي حَيَاةً لَا نَذُوقُ خِلَالَهَا، سِوَى أَلْهَمٍّ وَالْآلَامِ، فَاسْتَيْقِظُوا الْآنَا!

رَأَيْ الْعَلِيمَ إِذَا تَدَخَّلَ فِي انْتِخَابٍ، مِثْلُ الْجَهُولِ، فَكَيْفَ يَتَضَحَّ الصَّوَابُ؟
 وَلَكُمْ شَكَا الْمُسْكِينِ ظُلْمَ أَخِي الْغَنِيِّ، وَاخْتَارَهُ لِيَنُوبَ فِي حُكْمِ الرِّقَابِ...
 وَالْفِرُّ صَوْتٌ لِلْغَنِيِّ بِلُقْمَةٍ أَشْقَى مِنَ الْأَسْمَاكِ فِي شِصِّ الْعَذَابِ

لَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ عَدْلًا كَانَ مَنْ نَابُوا عَنَّا كَمَجْمُوعِنَا، وَالنَّاسُ مَا خَابُوا
 لَكِنَّ مُعْظَمَ أَهْلِ الْأَرْضِ يَحْكُمُهُمْ، بِقُوَّةِ الْمَالِ أَسْيَادٌ وَأَذْنَابُ
 يُمَجِّدُونَ (دِمُقْرَاطِيَّةً) كَذَبَتْ وَكُلُّ مَنْ مَجَّدَ الْكَذَّابَ كَذَّابٌ

كَمْ طَاعِينَ بِاتِّخَابِ أَنْتَ تَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ زَائِفٌ، نُؤَابُهُ اقْتَرَفُوا ؟
غَدُوا الصَّنَادِيقَ، فَاجْتَا حَتَّ قَوَائِمُهُمْ، مَنْ لَا نَصِيرَ لَهُ، حَتَّى إِذَا انْصَرَفُوا
بَدَأَ اتِّخَابُهُمْ تَمَثِيلَ مَهْزَلَةٍ يَضِيعُ، يَوْمَ تَثُورُ، الْحَقُّ وَالشَّرَفُ

يَقُولُونَ لِي: بَادِرْ إِلَى خِدْمَةِ الْوَطَنِ وَكَمْ مَرَّةٍ قَدَّمْتُ رَأْيِي بِلَا ثَمَنٍ
فَأَهْمَلَهُ جُهَّالُ قَدْرِي سَفَاهَةً، كَمَا حَاوَلَ الْبَغْلُ الْخِلَاصَ مِنَ الرَّسَنِ
كَأَنَّ الْهُدَى وَقَفَ عَلَى كُلِّ طَامِعٍ يُرَدِّدُ فِي الْأَسْوَاقِ أُنْشُودَةَ الْوَطَنِ

حَكَمُوا وَمَا بَحَثُوا فَيَا لِلشَّوْءِ مِنْ عَدْلِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَوْجُوءِ
عَرَفُوا الْخَفَايَا بِالظُّنُونِ كَسَاحِرٍ يَرُوي كِتَابًا لَيْسَ بِالْمَقْرُوءِ
وَنَحِ الْحَقِيقَةَ مِنْ دُعَاةِ غَرَامِهَا وَالْأَدْعِيَاءِ مِنَ الْهُدَى الْمَخْبُوءِ

الْأَرْضُ دَارِي، وَمَا الْأَوْطَانُ فِي نَظْرِي، إِلَّا النُّجُومُ اللَّوَاتِي لَحْنُ كَالْزَمْرِ
رُمنَ اتِّحَادًا، وَرُمنَا نَحْنُ تَفْرِقَةً بِالرَّغْمِ مِنْ صِلَةِ الْإِغْرِيقِ بِالْفَجْرِ...
فَمَنْ يُفَرِّقُنَا؟ وَالْأَرْضُ وَاحِدَةٌ ! هَلِ الْمَمَالِكُ كَالْمَرِيخِ وَالْقَمَرِ ؟

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ السِّيَادَةَ بِالْمَالِ أَشْرُّ مِنْ اسْتِعْبَادِ شَعْبٍ بِأَغْلَالٍ؟
وَأَعْجَبُ هَذَرٍ فِي تَسَاوِي تُمَثُّلٍ غَنِيٍّ بِمُسْتَعْطٍ، قَوْوُلٍ بِفِعَالٍ
فَإِنْ ضَمَّهِمْ لِلْبَحْثِ فِي الْحَقِّ مَجْلِسُ فَكَمْ فَرَّقَتْهُمْ سَطْوَةُ الْعِلْمِ وَالْمَالِ!

أَنَا شَقِيقٌ إِنْ تَرَكْتُ شَقِيقِي فِي لُجَّةِ التَّيَّارِ شِبْهَ غَرِيقٍ؟
إِنَّ الْمَطَامِعَ لَا حُدُودَ لَهَا وَلَا مَحْصُولَ تَنْتَاجِهَا سِوَى التَّفْرِيقِ
وَمِنْ السِّيَاسَةِ أَنْ يُضْحِيَ رَبُّهَا بِوَدَادٍ أَيْ أَخٍ وَأَيِّ صَدِيقٍ

قِيلَ الْعُرُوبَةُ مَوْطِنٌ وَحُدُودٌ وَعَوَائِلُ مَنْسُوبَةٌ وَجُدُودٌ
وَأَضَافَ قَوْمٌ: أَنَّهَا لُغَةٌ سَمَّتْ بَيَانِهَا، وَالْمُنْصِفُونَ شُهُودٌ
وَأَجَبْتُ: بَلْ هِيَ فِكْرَةٌ مَوْضُوعَةٌ، لِلْخَلْقِ أَجْمَعَ قَصْدُهَا التَّوْحِيدُ

نَحْنُ قَوْمٌ نُرِيدُ عَيْشًا كَرِيمًا وَلِكُلِّ الْوَرَى نَوْدُ النِّعْمَا
فَإِذَا ضَمَّتِ الْعُرُوبَةُ أَبْنَاءَ بِلَادِي نِلْنَا الْمَرَامَ الْعَظِيمَا
وَمَتَى وَحَدَّ الْإِخَاءُ بَنِي الدُّنْيَا اتَّبَعْنَا صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَا

أَصَوْغُ فِي مَدْحِ الْعُتَاةِ قَصِيدِي وَحُرُوفُهُ كَمَا الْوُلُوءُ الْمَنْضُودِ
وَعُرُوشُهُمْ تَفْنَى وَيَبْقَى عَرْشُهُ كَالْبَذْرِ تَحْتَ بِسَاطِكِ الْمَمْدُودِ
يَتْلُو عَلَى الدُّنْيَا الْهُدَى فَكَأَنَّهُ بَابُ النِّجَاةِ مِنَ الدَّوَاهِي السُّودِ

قِيلَ: السِّيَاسَةُ مَهْنَةٌ - وَتَخَصُّصٌ عِشْرِينَ عَامَ
وَأَنَا أَرَاهَا الْعَدْلَ وَالْإِخْلَاصَ فِي حُكْمِ الْأَنَامِ
سِرُّ السِّيَاسَةِ أَنْ يَسِيرَ النَّاسُ فِي دَرْبِ السَّلَامِ

عَلِيلٌ لَهُ عِنْدَ الطُّغَاةِ رَجَاءٌ ... وَهَلْ يُسْمِعُ الْمُسْتَكْبِرِينَ نِدَاءً؟
يُخَاطِبُهُمُ بِاللِّينِ، وَالْحَقُّ حَقُّهُ وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْقُبُورَ دَوَاءً
فَرَحَّبَ بِحُكْمِ السَّيْفِ إِنْ كَانَ عَادِلًا، فَفِيهِ لَآلِمُ الْعَلِيلِ شِفَاءً

سَوْسُ الْوَرَى: أَنْشُودَةُ الْأَوْطَانِ وَهَوَى اللُّغَاتِ وَفِتْنَةُ الْأَدْيَانِ
يَتَخَاصِمُونَ عَلَى النُّفُوزِ كَصَبِيَّةٍ وَيَلِ الْأَنَامِ مِنَ النُّفُوزِ الْفَانِي!
وَلَكُمْ بِلَادٍ بَدَلَتْ أُمَمًا كَمَا خَلَعَ ابْنُ آدَمَ بِالِي الْقُمُصَانِ

مَصِيرُكَ يَا « طَاغُوتُ » وَعَظُّ مُؤَبَّدٌ - لِمَنْ هَامَ بِالدُّنْيَا ، وَرَاحَ يَعْرِبِدُ
وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ أَمْرًا قَدَرَ ذَرَّةٍ فَمَا يَزْرَعُ الْإِنْسَانُ فِي الْأَرْضِ يَحْصُدُ
وَيَنْدُكُ عَرْشُهُ لَمْ يَصْنَعْهُ مَلِيكُهُ كَطَيَّارَةٍ تَهْوِي ، وَفِي الْيَمِّ تَرْقُدُ

يَطِيبُ لِبَعْضِ النَّاسِ إِبْدَاءُ تَحْيِيدٍ - لِمَنْ يَجْعَلُ الْمُسْكِينَ فِي حُكْمٍ مَنبُودٍ
وَأَفْطَعُ تَدْجِيلٍ دَهْتَنَا شُرُورُهُ صِيَاغَةُ قَانُونٍ وَإِهْمَالُ تَنْفِيدٍ
أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ شَرِّ مَكْرِهِمْ - وَهَلْ يَنْفَعُ الْمَظْلُومَ حَمْلُ التَّعَاوِيدِ ؟

عَجِبْتُ لِمَنْ يَسْعَى لِرَاحَةِ نَسْلِهِ وَأَوْضَاعُهُ تُعْطِيكَ بُرْهَانَ جَهْلِهِ
دَعَا الدَّسَلَ يَخْتَرُ مَا يُؤَاتِي زَمَانَهُ وَلَا تَوَرَّثُوهُ مَا تَعَبْتُمْ بِحَمْلِهِ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُصْلِحْ نِظَامًا سَمِئْتَهُ فَأَنْتَ أَمْرٌ يَسْعَى لِتَعْذِيبِ نَسْلِهِ

تَعَوَّذْتُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ عُصْبَةِ الْغَدْرِ - وَدَاءُ فَشَى فِي النَّاسِ كَالسَّلِّ فِي الصَّدْرِ
وَبَاعَةَ هَذِرٍ يَرْغَبُونَ تَخَلُّصًا مِنَ الْمَرَضِ الْفَتَّاكِ وَالْجَهْلِ وَالْفَقْرِ
يُنَادُونَ بِالطَّبِّ الْحَدِيثِ وَإِنَّمَا يَسِيرُونَ فِعْلًا بِالْعَمَلِ إِلَى الْقَبْرِ

أَيْطَلُبُ رَبُّ السَّيْفِ مِنْ صَاحِبِ الْقَلَمِ - مِمَّا لَاقَى جَوْفَاءَ كَيْ يَخْدَعُ الْأُمَمَ ؟
وَمَا كَانَ أَهْلُ الرَّأْيِ إِلَّا أَعْمَةً لِإِنْقَاذِ قَوْمٍ سَائِرِينَ إِلَى الْعَدَمِ
وَمَا كَانَ رَبُّ السَّيْفِ إِلَّا مُنْفِذًا فَكَيْفَ غَدَا أُسْتَاذَ مَنْ زَانَهُ الْقَلَمُ ؟

تَحْتَاجُ دُنِيَ—إِنَّا إِلَى عِلَاجٍ يُصْلِحُ مَا فِيهَا مِنْ أَعْوِجَاجٍ
فَإِنْ تَخِذْنَاهُ وَقَيْنَا—نَسْلُنَا مِنْ عِلَلٍ مُخِيفَةٍ أَوْدَتْ بِنَا
وَإِنْ أَيْدِنَا وَرَثَ الْأَبْنَاءِ أَمْرَاضَنَا—، وَأَعْوَزَ الدَّوَاءَ

أَنْحِيَا وَتَقْضِي فِي شَقَاءٍ مَدَى الدَّهْرِ أَمِ الْعَقْلُ يَهْدِينَا فَنَنْجُو مِنَ الْأَسْرِ ؟
هَوَى الشَّرِّ يَهْوِي بِالْأَنْفُسِ فَهَلْ تَرَى، سَبِيلَ رَشَادٍ لِلصُّعُودِ إِلَى الْخَيْرِ ؟
وَمَنْ يَتَّبِعُ أَلْهَمَ الْبَعِيدِ مَتَى رَأَى جُوعًا تَمُصُ الشَّهْدَ مِنْ بُؤْرَةِ الشَّرِّ ؟

لَمَّا رَأَيْتُ الْغِنَى وَالْفَقْرَ قَدْ سَلَبَا - أَمِنْ الْحَيَاةِ تَبِعْتُ الْفَنَّا وَالْأَدْبَا
وَرُحْتُ أَسْعَى إِلَى إِجَادِ تَسْوِيَةٍ لَعَلَّهَا عَنْ بَنِينَا تَذَرُّ الْعَطْبَا
فَإِنْ أَرَادَ الْغِنَى حَرْبَ الْفَنَاءِ فَقُلْ : قَضَى عَلَى نَفْسِهِ الْجَانِي وَلَوْ غَلَبَا

لَيْسَ السَّلَامُ دِعَايَاتٍ وَتَدَجِيلاً بَلْ حِكْمَةٌ بِنْتَ فِكْرٍ يَبْهَرُ الْجِيلاً
وَهَلْ يُنْفِذُ الْوَرَى تَقْدِيمُ جَائِزَةٍ لِمَنْ يُؤَدِّي لَهُمْ هَذَا وَتَدَجِيلاً ؟
إِنَّ السَّلَامَ الَّذِي بِالْعِلْمِ أَدْعَمُهُ يُغْنِي بَنِي أَرْضِنَا عَنْ كُلِّ مَا قِيلاً

كَفَانَا نَغْنِي كَالْحَمَامِ الْمُطَوَّقِ .. فَعَيْشُ بَنِي الْإِنْسَانِ لَيْسَ بِمُشْرِقٍ
صَحَا النَّاسُ مِنْ جَهْلِ الْقُرُونِ فَهَالَهُمْ ، تَمَزَّقُ هَذَا الْكَوْنُ شَرَّ مُمَزَّقٍ
لُغَاتٌ وَأَذْيَانٌ وَأَطْمَاعٌ سَاسَةٌ فَهَلْ نَفَعَ الْمَجْمُوعَ حُبُّ التَّفَرُّقِ ؟

دَعْنِي مِنَ الْأَطْمَاعِ فَالْحَيَاةُ تَمَثِيلُ أَذْوَارٍ وَتُرْهَاتُ
وَلَيْسَتْ الْأَوْطَانُ وَاللُّغَاتُ وَمَا تَرَى الْأَحْزَابُ وَالْهَيْئَاتُ
إِلَّا هُرَاءَ فِيهِ عَنَعَنَاتُ لَوْحَدَةِ الدُّنْيَا مُهَدَّمَاتُ

فِي النَّاسِ حُسْنٌ وَقُبْحٌ فِي النُّفُوسِ وَفِي - أَعْضَاءِ أَجْسَادِهِمْ وَالْفَرْقُ غَيْرُ خَفِيٍّ
وَكُلُّنَا وَاحِدٌ يَأْتِي عَلَى صُورٍ كَالسَّرِّ فِي ثَمَرٍ بِالطَّعْمِ مُخْتَلِفٍ
وَمَا اتِّفَاقَاتُنَا إِلَّا مُلَاءَمَةٌ بَيْنَ الْعَوَامِلِ وَالْأَسْلُوبِ وَالْهَدَفِ

لَا يَدْفَعُ الْحَرْبَ تَخْدِيرٌ وَإِزْهَابٌ فَلِلْخُصُومَاتِ أَحْكَامٌ وَأَسْبَابُ
وَمَا أَلْسَلَامُ الَّذِي بِالْهَذَرِ تَنْشُدُهُ إِلَّا سَرَابٌ، فَمَنْ هَامُوا بِهِ خَابُوا
أُسُ أَلْسَلَامِ رُجُوعُ النَّاسِ عَنْ خَطَا - تَعَوَّدُوهُ، لِأَنَّ الْحَقَّ غَلَابُ

مِسْكِينَةٌ جَمْعِيَّةُ الْأُمَمِ بَاتَتْ مِنَ الْعَثَرَاتِ كَمَا لَعَدَمَ
لَقِيتَ قُرُوحًا كَانَتْ مَنَشُوهَا فِي جِسْمِ دُنْيَانَا فَسَادَ دَمِ
كُلِّ الْمَرَامِ لَا تُفِيدُ إِذَا لَمْ تَخْلُصُوا مِنْ فَاسِدِ النُّظْمِ

عَشِقَ النَّاسُ أَلْسَلَامَ بِالْأَغَانِي وَالْكَلامِ
وَمَضَوْا فِي غِيَمٍ يَسْتَطِيبُونَ الْخِصَامِ
فَإِذَا لَمْ يَخْلُصُوا فَعَلَى الدُّنْيَا أَلْسَلَامُ

تَظُنُّ السِّيَاسَةَ أَنَّ أَلْسَلَامَ يَبْذُلُ مَسَاعٍ لَوْقَفِ أَصْطِدَامِ
وَمَا أَلْسَلَامُ إِلَّا بِتَعْيِينِ حَدٍّ لِشِدَّةِ أَطْمَاعِ بَعْضِ الْأَنَامِ
وَيُمْكِنُ بِالْإِلْمِ تَشْيِيدُ سَلَمٍ مَتَى وَحَدَّ النَّاسَ هَذَا النُّظَامِ

فَرَّقَتْ الْأَوْطَانُ وَالْمَطَامِعُ شُعُوبَ دُنْيَانَا، فَنَادَى الْجَامِعُ :
 الْأَرْضُ كَوَكَبٌ، وَلَيْسَتْ عَشْرَةٌ عَلَى مَدَارٍ وَاحِدٍ مُنْتَشِرَةٌ ...
 وَسَوْفَ يَرْتَدُّ الْوَرَى إِلَى الصَّوَابِ حِينَ يَرَى التَّفْرِيقَ مَدْعَاةَ الْخَرَابِ

قُلْ إِنَّمَا جَاءُوا هَذَا الْوَرَى وَأُسْتَسَاغُوا تَرْكَهُ كَمَا تَرَى :
 حَدَّثُونِي عَنْ مَرِيضٍ شَفِيَا وَبِهِ الْجُرْثُومُ حَيًّا بَقِيَا !
 فَمِنْ الْجَهْلِ أَنْتَظَرُنَا السَّلَامَ قَبْلَ أَنْ نُزِيلَ أَسْبَابَ الْخِصَامِ

* * *

فَإِذَا قَالُوا: سَنُذَرِكَ الْأَمَلُ دُونَ أَنْ تُنْجِزَ ذِيكَ الْعَمَلُ
 فَأَعْتَقَادِي أَنَّهُمْ مُضَلَّلُونَ فَأَنْشُرُوا عَنْ مَكْرِهِمْ مَا تَعْلَمُونَ
 وَالْوَرَى لَا يَنْثَنِي عَنْ فِتْنَةٍ مَا سَرَتْ أَسْبَابُهَا فِي بَدَنِهِ



شذرات

١

الفناء

« يَتَمَنَّيَنَّ وَهْنُ الرَّاغِبَاتِ » وَيُحَدِّثَنَّ وَهْنُ الْكَاذِبَاتِ
كَمْ تَسَلِّينَ بِأَنَاتِ الْهَوَى سَاخِرَاتٍ مِنْ دُمُوعِ هَامِلَاتٍ
وَسَلَبِينَ أَلْبَّ مِنْ أَهْلِ النُّهَى تَارِكَاتٍ لِلْمَعْنَى الْحَسَرَاتِ
فَأَبْتَعِدْ مَا أَسْطَعْتَ عَنْ هَذَا الضُّعْفَى - لَيْسَ آلامُ الْهَوَى سَرْدَ نُكَاتٍ
يَشْرَبُ السَّاقِي عَذَابًا كُلَّمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ مِنْهُ الْعَبْرَاتِ
يَا لَقَلْبٍ مُغْرَمٍ أَوْدَتْ بِهِ نَظَرَاتٍ مِنْ عُيُونِ الْغَانِيَاتِ

١٩٥١

٢

حب الغراب

دَعِ عَنْكَ لَوْحِي وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْخَبَرِ
كَفَرْتُ بِالْحُبِّ وَأَسْتَغْنِي عَنْ وَطْرِي
وَزَهَّدَتْنِي بِحُسْنِ الشَّكْلِ فَاتِنَةٍ
تَهْوَى غُرَابًا قَبِيحَ الْوَجْهِ وَالْأَثَرِ
كَأَنَّمَا نَفْسُهَا مِنْ رِيَشِهِ أُنْبَشَقَتْ
فَأَسْتَخْسِنَتُهُ ، وَلَيْسَ السَّرُّ بِالصُّورِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ لِلْهَوَى الرُّوحِيَّ قِيَمَتُهُ
فَلَيْسَ لِلْحُبِّ مَعْنَى يَا بَنِي الْبَشَرِ

١٩٤٢

ما أختيالي بحُسن وجهٍ ومالٍ إنَّ فنيَّ الجميلَ يُبدي جمالي
كلُّ شكلٍ يفني فأكرمَ بذكرٍ أنتَ تحيا به مدي الأجيالِ
حُسنُ أيارٍ بالنَّسيمِ المُحلي بعيرِ النَّارِنجِ والبرُّقالِ
يا لطيبٍ مِنَ الأزاهرِ يغني عن بديعِ الألوانِ والأشكالِ
مثلاً أغني الفجرُ عن طلعةِ البدرِ وحبُّ الهدى عن العذالِ

١٩٥٠

كِتابُ الكُفرِ يفلتُ واضِعوه ويحكمُ بالجريمةِ قارئوه !!
فواهاً للقضاءِ إذا أدلَّمت قضاياهُ ، وضلَّ محكموه
ويا لهفَ الضَّعيفِ بما يلاقي ! أيهمُ حقهُ ويحكمُ فوه ؟
كفَّاكمُ يا بني الأرضِ أدَّاءُ فإنَّ العدلَ يظلمُه بنوه
وما الدُّنيا بمنبئةٍ قضاءٍ كعدلِ اللهِ - حتَّى تحمدوه

١٩٣٥



أَيْنَ كُنْتُ وَمَنْ أَنَا؟ كَيْفَ يُعْصِي الَّذِي أَرَاهُ؟
 كَيْفَ يَسْتَلْهِمُ الرُّؤْيَى مَنْ غَرَامُ الثَّرَى مُنَاهُ؟
 إِنَّ يَنْبُوعَ فِكْرَتِي دَلَّ رُوحِي عَلَى الْمِيَاهِ
 فَهِيَ تَحْيَا لِأَنَّ فِي هَيْكَلِ النُّورِ لِي صَلَاةُ
 هَلْ يَزُولُ الزَّوَالُ إِنْ مَرَّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ؟

١٩٢٧

تَغْرُ الْمُنَى يَفْتَرُ عَنْ رُؤْيَى الْجَمَالِ
 وَالْمَرْءُ مَهْمَا أَغْتَرَّ يُدْرِكُ الْمَلَأَ
 فَالْعَمْرُ مَا أَسْتَمَرَ وَالْهَوَى ظِلَالُ
 وَالْبَرْدُ يَتَلَوُ الْحَرَّ وَالْهُدَى الضَّلَالُ
 كَيْ لَا يَظَلَّ الشَّرُّ عَادِمَ الزَّوَالِ

١٩٥٢



(١) وزن جديد : يراجع كتاب بدائع العروض للمؤلف .

المزمور الاول لداود النبي الملك

طُوبَى لِمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ مَشُورَةَ الْأَشْرَارِ
وَلَمْ يَسِرْ فِي طُرُقِ الْخَطَاةِ الْفُجَّارِ
وَلَمْ يَقِفْ فِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِ الْمِهْذَارِ

لَكِنَّمَا سُرورهُ بِرَبِّهِ الْفَقَّارِ
يَهْدُهُ فِي نَامُوسِهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

فَهُوَ كَغَرْسَةٍ نَمَتْ عَلَى حِجَارِي الْمَاءِ
ثَمَرُهَا يَانِعَةٌ أَوْرَاقُهَا خَضِرَاءُ

وَكُلُّ مَا يَصْنَعُهُ مَصِيرُهُ النَّجَاحِ
كَأَنَّمَا أَصْدَادُهُ عَصَافَةُ الرِّيحِ
فَالشَّرُّ يُعْجِى كَالدُّجَى أَذْرَكَهُ الصَّبَاحُ

وَلَيْسَ لِلْأَشْرَارِ أَنْ يَقُومَ فِي الدِّينِ
وَلَنْ تُرَى الْأَشْوَاكُ مَا بَيْنَ الرِّيحَيْنِ

فَرَبُّكَ الْجَبَّارُ يَدْرِي طُرُقَ الْأَبْرَارِ
وَقَدْ رَمَى إِلَى الْبَلَى طَرَائِقَ الْأَشْرَارِ

عَرَفْتُكَ يَا قُدُّوسُ جُهْدَ اسْتِطَاعَتِي
وَضَاقَتْ بِإِدْرَاكِ الْكَمَالِ وَسِيلَتِي
وَأَنْتَ الَّذِي حَدَدْتَ مِقْدَارَ طَاقَتِي
فَلَا تُغْفِرْ عَنِّي، وَأَغْتَفِرْ لِي تَقِيصَتِي
لَعَلِّي إِذَا أَمْسَى نَعِيمُكَ غَايَتِي
أُطَهِّرُ نَفْسِي مِنْ بَقَايَا خَطِيئَتِي
فَهَبْنِي بِإِقْرَارِي بُلُوغَ سَعَادَتِي
وَوَجِّهْهُ إِلَى نَفْعِ الْعَالَمِ بِإِدْمَانِي

١٩٥٤



Zahr-ur-Ruba

« HIGHLAND FLOWERS »

A BOOK OF ARABIC POETRY

BY

MICHAEL ALLAWERDI

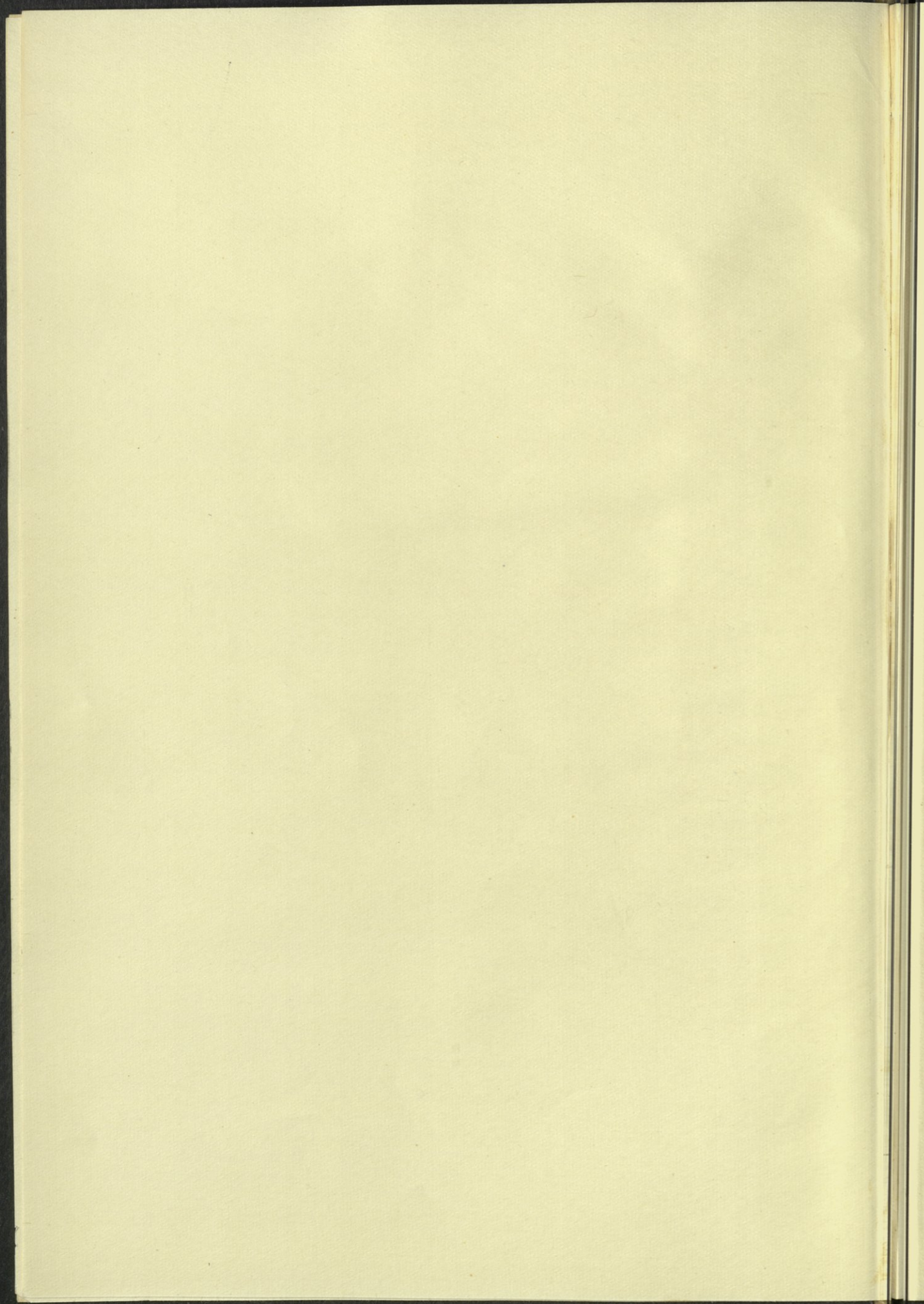
Author of « The PHILOSOPHY of ORIENTAL MUSIC »



Adress all communications to **M. ALLAWERDI**

P. O. Box N° 323 — DAMASCUS (Syria)

Printed by « The Hashimiya Press » Damascus



Zahr-ur-Ruba

WILLIAM B. BROWN

OF THE

MICHAEL ALLARD

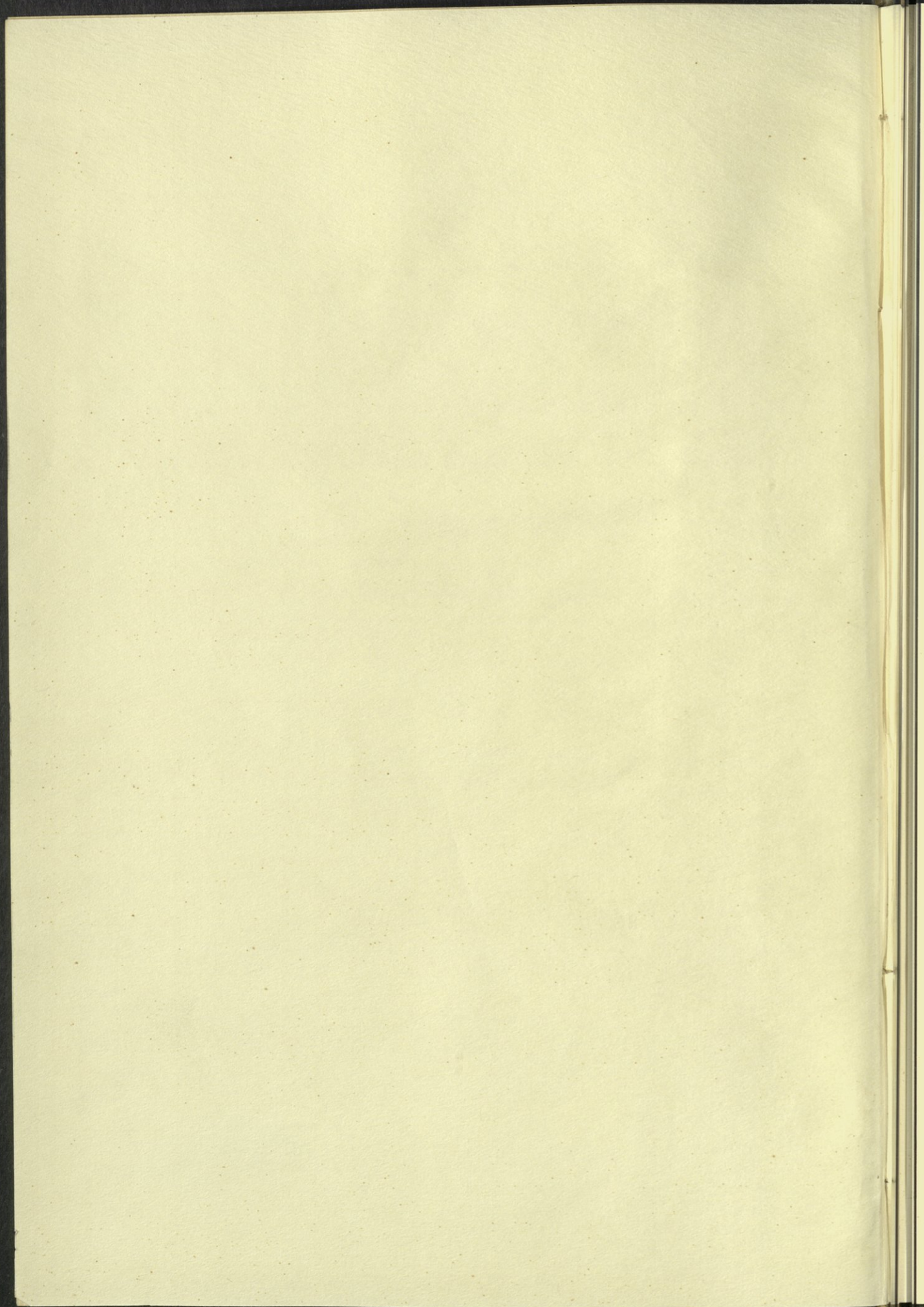
AND THE

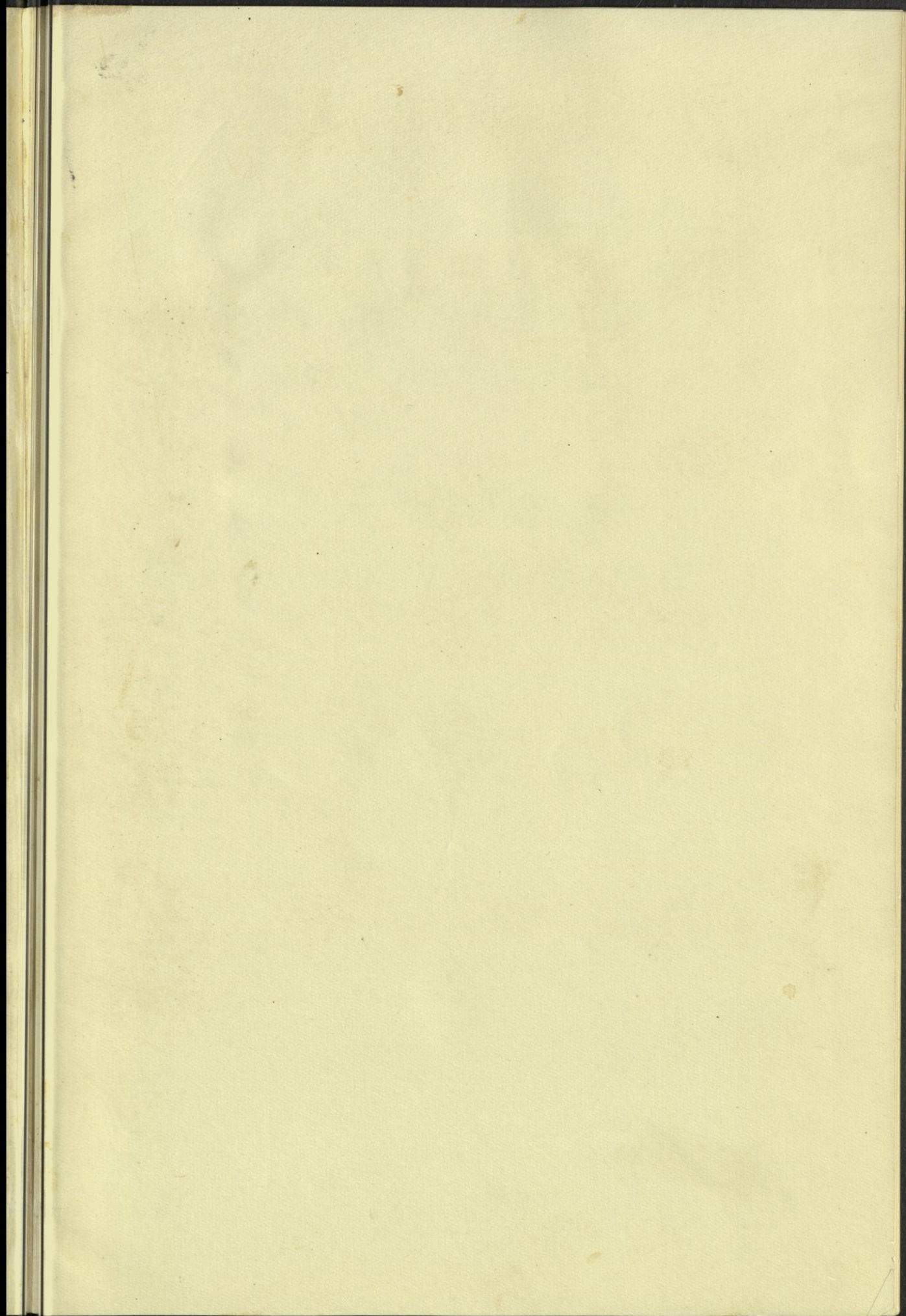


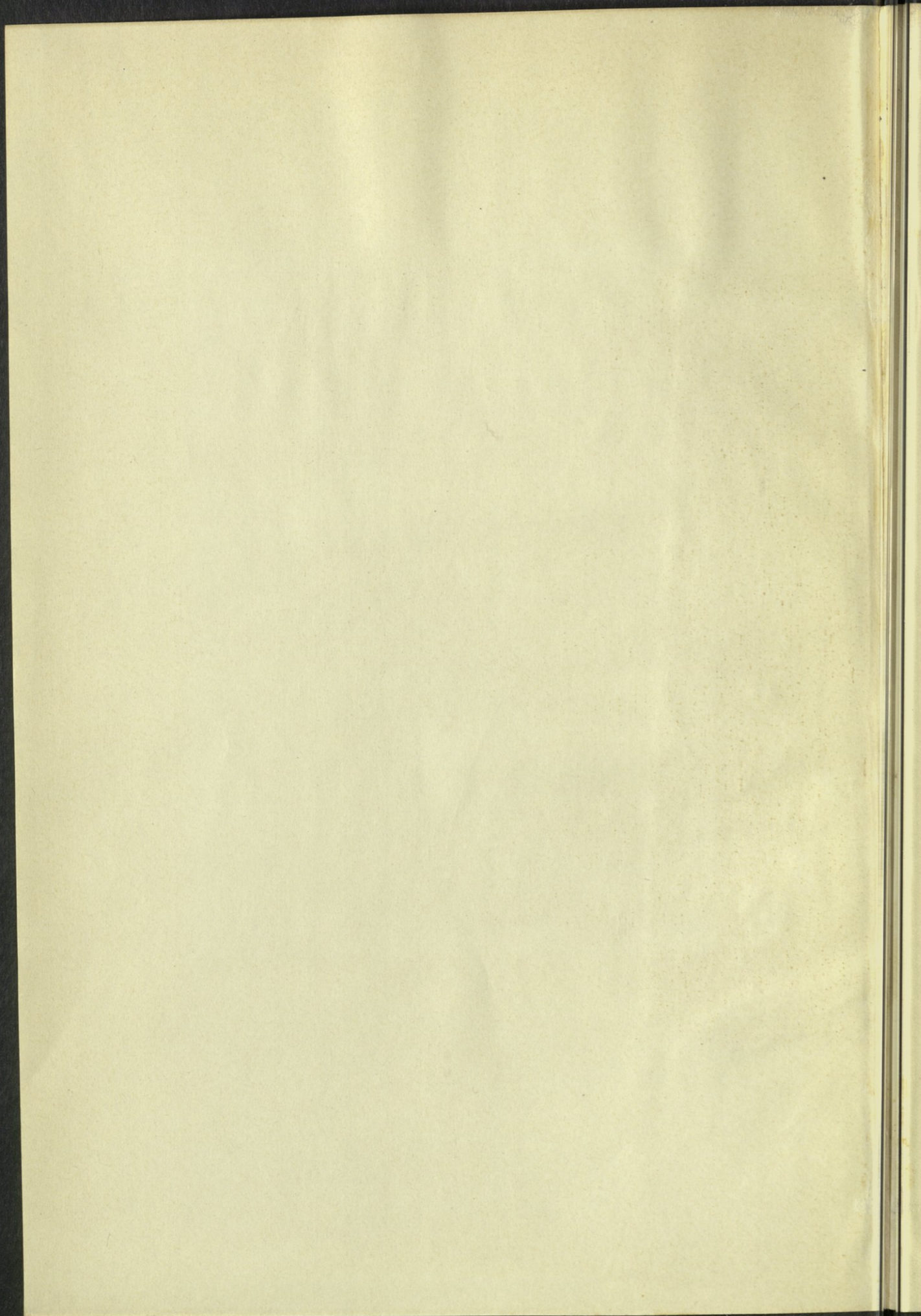
THE

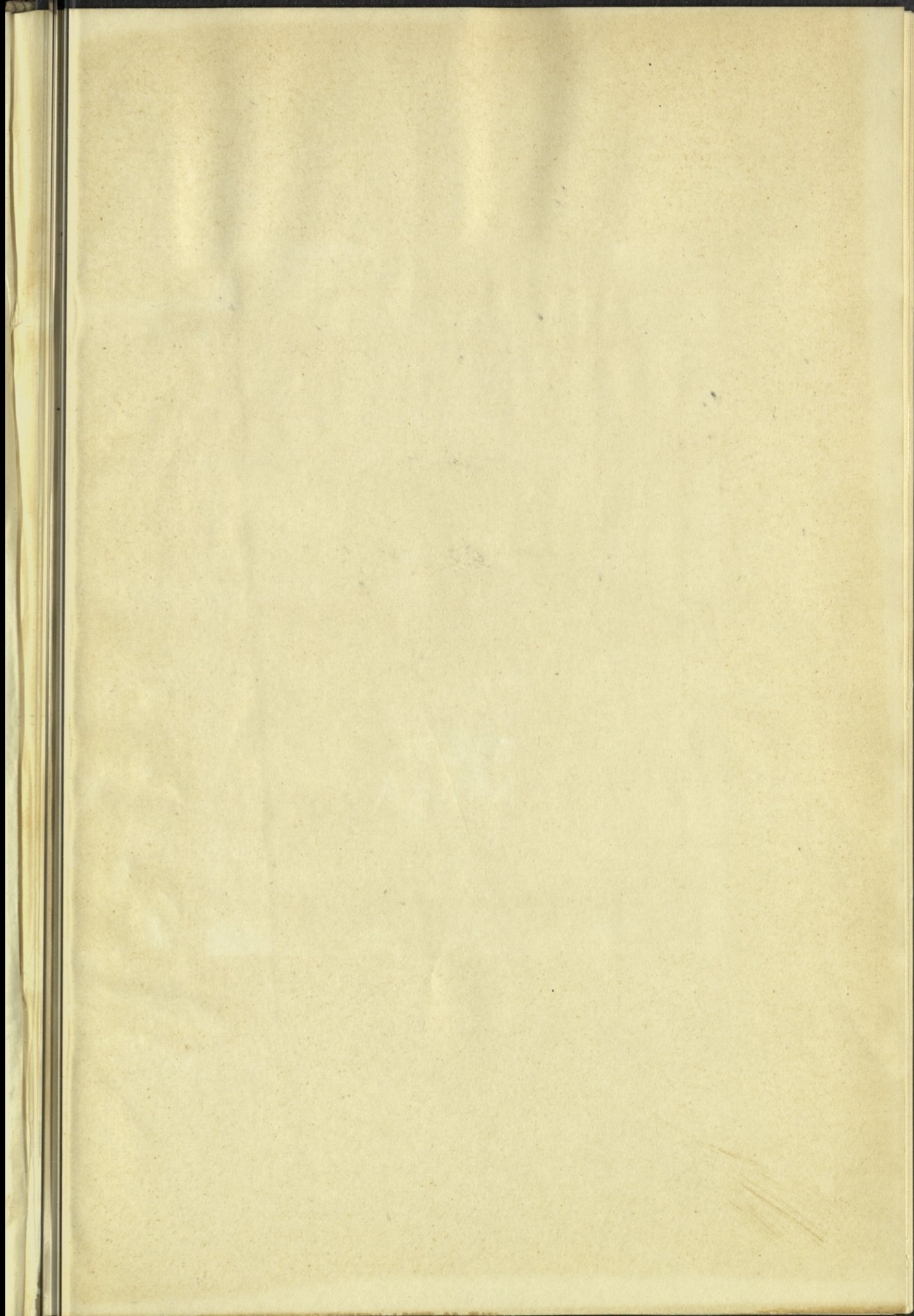
OF THE

THE









الله ويردى، ميخائيل خليل

زهر الربيع: شعر

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01034929

American University of Beirut



General Library

